

اللغة وعلم اللغة

تأليف
چون ليونز

ترجمة وتعليق

ركتور
مصطفى التوني
كلية التربية جامعة عين شمس

الجزء الأول

١٩٨٧

دار النهضة العربية
٣٢ شارع الخالد شروت
القاهرة

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الإهداء

إلى زوج والدي

مقدمة المترجم

يسعد جون ليونز من أهم اللغويين للمعاصرين في بريطانيا عرف بعدد من الكتب في مقدمتها : علم اللغة التركيبي ١٩٦٣ ، وعلم اللغة النظري ١٩٦٨ ، وآفاق جديدة في علم اللغة ١٩٧٠ ، ونشومسكي ١٩٧٠ ، وعلم الدلالة ١٩٧٧ ، واللغة وعلم اللغة ١٩٨١ .

ونقدم في هذه الطبعة (الجزء الأول) من كتاب (اللغة وعلم اللغة) وهو كتاب ألف لجمهور المثقفين إلى جانب المتخصصين في علم اللغة ، وصدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٨١ ، وأعيد طبعه عام ١٩٨٢ ، و ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، و ١٩٨٥ ، وربما ، كانت إعادة طبعه صنوياً على النحو المشار إليه أصراً له دلالاته ، ويضم هذا الكتاب عشرة فصول هي على الترتيب : اللغة ، وعلم اللغة ، وأصوات اللغة ، والنحو ، والدلالة ، والتغير اللغوي ، وبعض المدارس والاتجاهات الحديثة ، واللغة والعقل ، واللغة والمجتمع ، واللغة والثقافة ، ويضم (الجزء الأول) الفصول الخمسة الأولى وهي تدور في إطار علم اللغة البحث الوصفي الذي يعتبره علماء اللغة لب تخصصهم العلمي بينما تدور الفصول الخمسة الأخرى في إطار علم اللغة التاريخي وعلم اللغة للموضع وقد نُشر الكتاب هذه السطور ترجمة لفصلين منها في مجلة البيان التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت في العددين ٢٥٠ يناير ١٩٨٧ ، و ٢٥١ فبراير ١٩٨٧ نُشر في العدد الأول الفصل السابع (بعض المدارس والاتجاهات الحديثة) ، ونشر في العدد الثاني الفصل للعاشر (اللغة والثقافة) .

ويتناول الفصل الأول (اللغة) سبع نقاط هي : ما اللغة ؟ ، وبعض

تعريفات اللغة ، والسلوك اللغوي والنظم اللغوية ، واللغة والكلام ، ووجهة نظر سيميولوجية ، وتصور التجانس ، ولا توجد لغات بدائية .

ويتناول الفصل الثاني (علم اللغة) ست نقاط هي : فروع علم اللغة ، وهل (علم اللغة) علم ؟ ، والمصطلحات والرموز ، وعلم اللغة وصفي وليس معيارياً ، وأولية الوصف التزامي ، والبلية والنظام .

ويتناول الفصل الثالث (أصوات اللغة) ست نقاط هي : الوسيلة الصوتية ، والتمثيل الصوتي والمجهائي ، وعلم الأصوات النطقي ، والوحدات الصوتية والصور الصوتية ، والملاحح للميزة والفونولوجيا التطريزية ، والبنية الفونولوجية .

ويتناول الفصل الرابع (النحو) ست نقاط هي النحو والتصرف والصرف ، والصواب النحوي والإنتاجية والاعتباطية ، وأجزاء الكلام وأصناف الصبيغ والفصائل النحوية ، وبعض التصورات النحوية الإضافية ، ومكونات البنية ، والنحو التوليدي .

ويتناول الفصل الخامس (الدلالة) ست نقاط هي : اختلاف المعنى ، والمعنى المعجمي وتعدد للمعنى والترادف ، والمعنى للمعجمي : المعنى والدلالة الذاتية ، والدلالة والنحو ، ومعنى الجملة ومعنى القول ، وعلم الدلالة الشكلى .

وفي النهاية أثبت قائمة بالمصطلحات الواردة في هذا الجزء باللغتين العربية والإنجليزية تلك التي ترجمها كاتب هذه السطور لأول مرة والتي يرجو لها القبول من قبل المتخصصين .

وقد آثرت في هذه الترجمة أن أكون دقيقاً وملتزماً إلى أقصى حد

ممكـن وقد اعتمدت في التعليقات للثبـتة في هـوامش الـكتاب على العديد من
 للراجع أخص منها (A First dictionary of linguistics and phonetics)
 لدافيد كرسـتال ، وللعجم الفلسفي للدكتور مراد وهبة وقد ميزت التعليقات
 الخاصة بالمؤلف — وهي نادرة — بإضافة نسبـتها إليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تنويه

يود المترجم أن ينوه بالفضل الذي حظى به وحظيت معه هذه الترجمة
 من الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي ، ويتقدم له بجزيل الشكر والعرفان ،
 كما يتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور مراد وهبة على ما اقتطعه
 من وقته الثمين في مناقشة بعض المفاهيم والمصطلحات الفلسفية .

المترجم

مصطفى أزكى [حسن التوفى

القاهرة ١٩٨٧

الفصل الأول

اللغة

أولاً : ما اللغة ؟

بعد علم اللغة الدراسة العلمية للغة ، ومن الوهلة الأولى فإن هذا التعريف - وهو أحد التعريفات الموجودة في أكثر الكتب الأساسية وفيما يهالج هذا الموضوع معالجة عامة - تعريف واضح وضحاً كافياً ، لكن ما الذي تعنيه بالضبط كلنا لغة ، وعلمية ؟ وهل يمكن أن بعد وصفنا لعلم اللغة كما يمارس اليوم بالعلم وصفاً صحيحاً ؟ .

ويمكن مقارنة السؤال « ما اللغة ؟ » بالسؤال « ما الحياة ؟ » وهناك من سيقول إن السؤال الأول قد يكون أقل عمقاً من الثاني الذي تدور افتراضاته المسبقة حول العلوم البيولوجية وتوحيدها ، وبطبيعة الحال فإن هذا السؤال ليس من هذا النوع الذي يحمله عالم الأحياء سلفاً في ذهنه دائماً أثناء عمله اليومي ، فإن لذلك أكثر من إطار فلسفي له ، وعالم الأحياء - كغيره من العلماء - يتعمق عادة في تفصيل بعض المشكلات الدقيقة لينعم النظر في متضمنات هذه الاسئلة العامة ، ومع ذلك فإن المعنى للسلم به سلفاً الذي يتضمنه السؤال : « ما الحياة ؟ » - الافتراض المسبق الذي يذهب إلى أن كل الكائنات الحية تشترك في خاصة ما أو في مجموعة من الخصائص التي تميزها عن الكائنات غير الحية - يرسم حدود اهتمامات عالم الأحياء ، ويبرر الاستقلال أو الاستقلال الجزئي لتخصصه ، ومع أنه من الممكن أن يقال عن سؤال : ما الحياة ؟ بهذا المعنى أنه بعد علم الأحياء بالمبرر القوي لوجوده ، وهذا السؤال في حده ذاته لا يحدد وكونه

تفسيراً خاصاً يستغله عالم الأحياء ، وكشف منضماته الأكثر تفصيلاً داخل عدة أطر نظرية مقبولة ينمى في الوقت الحاضر تأملات عالم الأحياء وبحته من يوم لآخر ، وهو ما ينطبق أيضاً على اللغوى^(١) في علاقته بالسؤال : ما اللغة ؟

وأول ما يلاحظ من السؤال : « ما اللغة ؟ » أنه عند صياغته باللغة الإنجليزية « What is Language ? » تستخدم كلمة اللغة « Language » في المفرد وبدون أداة التعريف ، وصياغة السؤال بهذا الشكل يختلف نحوياً - إن لم يكن دلالياً - عن السؤال الذي يشبهه من حيث الظاهر « What is a Language ? » وتحتوى لغات أوروبية على كلمتين وليس كلمة واحدة لترجمة الكلمة الإنجليزية Language في اللغة الفرنسية Langue ، و Language في اللغة الإيطالية Lingua ، و Linguaggio ، وفي اللغة الأسبانية Lengua ، و Lenguaje ، وفي كل حالة يرتبط الاختلاف بين الكلمتين بالاختلاف الموجود في معنى الكلمة الإنجليزية « Language » فعلى سبيل المثال تستخدم في اللغة الفرنسية كلمة « Langage » لتشير إلى اللغة بصفة عامة وتنطبق كلمة Langue على اللغات المحددة ، ولا تسمح اللغة الإنجليزية للمتكلمين بها بأن يقولوا عن شخص ما : « He Possesses a Language » (الإنجليزية ، الصينية ، المالوية ، السواحلية .. الخ) فحسب ، ولكن أيضاً « He Possesses Language »^(٢) ، ويجعل الفلاسفة ، وعلماء النفس ، وعلماء اللغة عموماً من معرفة اللغة أوضح ما يميز الإنسان عن غيره من سائر الحيوان ،

(١) اللغوى (Linguist) مصطلح يشير إلى من يدرس أو يمارس البحث في اللغة ، وعالم اللغة (Linguistician) بعد المرجع لهذا الغرض إلا أن اللغوى المتخصص لا يستخدم مصطلح « عالم اللغة » للإشارة إلى نفسه ، وثمة خاطب بين ما يدل عليه هذا المصطلح وما يشير إلى من يتقن لغات عديدة .

(٢) He Possesses a Language = He Possesses Language (اللغة)

وستناول جوهر هذا الادعاء في هذا الفصل ، وأحب أن أؤكد هنا على حقيقة واضحة لكنها هامة ذلك أن أحداً لا يستطيع معرفة لغة طبيعية أو استخدامها دون أن يكون قد عرف لغة طبيعية معينة أو استخدمها .

وقد استخدمت منذ لحظة مصطلح لغة طبيعية وهو ما يضمننا أمام نقطة أخرى ، فكلمة لغة لا تنطبق على الإنجليزية ، والصينية ، والملاوية ، والسواحلية . الخ فحسب وهو ما يتفق الجميع على أنه من المناسب تسميتها باللغات لكنها تنطبق كذلك على مختلف نظم الاتصالات الأخرى المتنوعة سواء أ كانت تلك النظم مجموعة رموز أم مجموعة أرقام وهي موضع جدال ، فعلى سبيل المثال أسس الرياضيون ، والمناطقة ، وعلماء الكمبيوتر حديثاً ولأغراض خاصة نظاماً رمزية وسواء أ كان من الصواب تسميتها لغات أم لا فإنها صناعية أكثر منها طبيعية ، ويكون الأمر كذلك حتى لو كانت مؤسسة على اللغات الطبيعية الموجودة سلفاً وصارت لغة بلا نزاع مثل الإسبرانتو التي اخترعت في نهاية القرن التاسع عشر بهدف الاتصال العالمى ، وهناك نظم أخرى من الاتصالات الخاصة بالإنسان وبغيره ينطبق عليها وصف طبيعية أكثر من وصف صناعية لكنها لا تبدو لغات بالمعنى الضيق لهذا المصطلح حتى ولو استخدمت كلمة لغة للإشارة إليها بشكل عام ، لاحظ في هذا الشأن العبارات الآتية : لغة الإشارة ، ولغة الجسد ، ولغة النحل ، وربما يذهب معظم الناس إلى أن كلمة لغة تستخدم هنا استعمالاً مجازياً أو استعارياً ، ومن الطريف أن كلمة Langage لا كلمة Langue تستخدم هادة عند ترجمة مثل هذه العبارات إلى اللغة الفرنسية ، والكلمة الفرنسية « Langage » (مثل الكلمة الإيطالية Linguaggio ، والكلمة الأسبانية Lenguaje) أكثر عمومية من الكلمة الأخرى التي تتزوج معها ليس لأنها

تستخدم للإشارة إلى اللغة عموماً فحسب ولكن أيضاً لأنها تنطبق على نظم الاتصال سواء أكانت طبيعية أم صناعية ، خاصة بالإنسان أو بغيره ، وتستخدم لها الكلمة الإنجليزية Language فيما يبدو أنه معنى مجازي .
ويهتم اللغوي - في المقام الأول - باللغات الطبيعية ، والسؤال : ما اللغة ؟ يحمل في طياته افتراضاً مسبقاً أن كل لغة من آلاف اللغات الطبيعية المميزة بوضوح المنطوقة في أنحاء العالم مثال نوعي لشيء ما أكثر عمومية ، وما يريد اللغوي معرفته ما إذا كانت اللغات الطبيعية كلها تشترك فيما لا تشترك فيه معها نظم الاتصال الأخرى الخاصة بالإنسان أو بغيره ومن ثم يكون من الصواب أن نطلق عليها كلمة لغة وأن ننسك إطلاق هذا المصطلح على نظم الاتصال الأخرى باستثناء ما يتعلق بما تأمس على لغات طبيعية موجودة من قبل مثل الإسبرانتو وهو الأمر الذي ستناوله في هذا الفصل .

ثانياً - بعض تعريفات اللغة

المعثور على تعريفات لغة ليس صعباً ، فلنلق نظرة على بعضها ، وكل تعبير من التعبيرات التالية التي تدور حول اللغة سواء أكان مقصوداً به أن يكون تعريفاً أم لا يثير نقطة أو أكثر مما سيشتغلنا فيما بعد ، وهذه التعبيرات مأخوذة كلها من الأعمال الأساسية لمشاهير اللغويين ، وإذا ما أخذت في مجموعها فسوف تقدم بعض الإشارات التمهيدية للخصائص التي يميل اللغويون - على الأقل - إلى الاعتقاد بضرورتها لغة :

١ - تعريف سابير • Sapir • (١٩٢١ : ٨) :

« اللغة طريقة إنسانية بحتة غير غريزية لتواصل الأفكار والانفعالات وال رغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجاً إرادياً » ، ويصاني هذا التعريف من

عُيُوب عديدة ، فهما مثيرنا المصطلحات : فكرة ، وانفعال ، ورغبة إجمالاً
فن الواضح أن هناك كثيراً مما تنقله اللغة لا يدخل في إطار أى منها كما أن
مصطلح « فكرة » بصفة خاصة غير دقيق بشكل متأصل ، ومن الناحية
الأخرى توجد نظم كثيرة من الرموز المنتجة إرادياً لانهدا لغات إلا بالمعنى
المجازى لكلمة لغة ، فعلى سبيل المثال ما تشير إليه الآن بشكل شائع عبارة
« لغة الجسد » - التى تستخدم الإيماءات ، وحركات الجسم ، وحركة العين
.. .. الخ - قد تبدو ملائمة لتعريف سابير ، وما إذا كانت اللغة الإنسانية
بمحنة غير غريزية يفتح - والحق يقال - مجالاً للشك ، غير أن القضية
كما سنرى هى ما إذا كان من المناسب أن نصف اللغات بالإسائية بالمحنة وبانتفاء
الغريزية منها ، وهذه هى النقطة الرئيسية التى تؤخذ على تعريف سابير .

٢ - تعريف بلوخ وتراجر (Bloch & Trager) :

ورد عن بلوخ وتراجر فى كتابهما « Outline of Linguistic Analysis »
التعريف التالى : « اللغة نظام اجتماعى من الرموز المنطوقة الاعتبائية تتعاون
به مجموعة اجتماعية » ويلفت النظر فى هذا التعريف أنه على العكس من
تعريف سابير لا يعطى أى اهتمام للوظيفة الاتصالية إلا على نحو غير مباشر
وعلى سبيل التضمن ، وبدلاً من ذلك يضع التأكيده على الوظيفة الاجتماعية
وهو لاذ يفعل ذلك - كما سنرى بعد - يأخذ وجهة نظر أكثر ضيقاً للدور
الذى تلعبه اللغة فى المجتمع ، ويختلف تعريف بلوخ وتراجر عن تعريف سابير
من حيث إنه قدم خاصة العرفية ، وحصر بشكل واضح اللغة فى اللغة المنطوقة
(الأمر الذى يجعل ثمة تناقضاً فى عبارة « اللغة المنطوقة ») ، ويستخدم
مصطلح اعتبائية هنا استخداماً خاصاً إلى حد ما سنعود إليه مرة أخرى ،
وسنعود كذلك إلى قضية العلاقة التى تربط بين اللغة والكلام ، ويتطلب كل
ذلك أن يقال فى هذه النقطة إنه بقدر ما نأتى اللغات الطبيعية من اهتمام فإن

هناك علاقة وثيقة بين اللغة والكلام ، ومنطقيا فإن الأخير (الكلام) يفترض سلفا الأول (اللغة) أى أن المرء لا يستطيع الكلام دون استخدام اللغة (أى بدون النكلم بلغة معينة) ، لكن من الممكن أن يستخدم اللغة دون أن يتكلم ، ومع ذلك فمن المسلم به أن اللغة مستقلة استقلالاً منطقياً عن الكلام ، وهناك مبرر جيد لأن نقول إنه فى كل اللغات الطبيعية — كما نعرفها — أولوية تاريخية — وربما بيولوجية — للكلام على الكتابة ، وهو ما يأخذ به معظم اللغويين .

٣ - تعريف هاله (Hall)

ورد عن هاله فى كتابه : (Essay on Language) التعريف الآتى : «اللغة نمط اجتماعى منظم يتواصل بها البشر ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بواسطة الرموز الاعتبارية المسبوقة - المنطوقة للعتاد استخدامها» ، وفيما بين انقاطاتى نلاحظ هاهنا أولها على الإحلاق : حقيقة وجود كل من «التواصل» ، «التفاعل» فى التعريف (والتفاعل أكثر شحولا من التعاون الواردة فى التعريف السابق) ، والثانى : إن مصطلح «مسبوقة - منطوقة» يمكن أن يكافئ مصطلح «منطوقة» ولا يختلف عنه إلا فى إشارته إلى السامع وللتكلم على حد سواء (أى إلى المرسل والمستقبل الرموز المنطوقة التى نتعرف عليها بوصفها أقوالا لغوية) ، ويتعامل هاله مع اللغة - مثل سابير - على أنها نظام لاسانى بحت ، ومصطلح نمط اجتماعى منظم يوضح صراحة وجهة النظر التى تذهب إلى أن اللغة التى يستخدمها مجتمع بعينه جزء من ثقافته ، ومرة أخرى اختصت خاصة الاعتبارية من ضمن مجموعة الخصائص بملاحظة موجزة .

وأكثر العناصر الواردة فى تعريف هاله أهمية - رغم ذلك - استخدامه مصطلح «عتاد استخدامها» ، ونمة أسباب تاريخية لهذا الأمر فاقده تأثر كل من

علم اللغة ، وسيكولوجية اللغة . بنظريات السلوكيين في المثير والاستجابة تأثراً قوياً حوالي ثلاثين عاماً لاسيما في أمريكا ، واكتسب مصطلح « عادة » في الإطار النظري للسلوكية دلالة خاصة إلى حد ما ، وقد استخدم هذا المصطلح للإشارة إلى جوانب سلوكية يمكن تمييزها بالاستجابات التي تقابل مثيرات معينة كما يمكن التنبؤ بها إحصائياً ، وكثير مما لا نعتقد فيه عادة أنه « عادة » يقع في إطار مصطلح السلوكيين ، وكثير من الكتب الأساسية في علم اللغة تعكس هذا الاستخدام التخصيصي إلى حد ما مع ما تثاره وتلزم نفسها - على الأقل - بشكل أو بآخر من أشكال نظرية المثير والاستجابة الخاصة بالسلوكيين فيما يتصل بالاستخدام اللغوي واكتساب اللغة ، ومن المفجول الآن بشكل عام أن هذه النظرية إن لم تكن قابلة للتطبيق تماماً فإمكانية تطبيقها محدودة للغاية في علم اللغة وسيكولوجية اللغة على حد سواء .

ومن المفترض أن هاله يعنى باللغة « الرموز » الإشارات المنطوقة التي تنتقل بالفعل من المرسل إلى المستقبل في عملية الاتصال والتفاعل ، وأصبح واضحاً الآن أنه ليس هناك معنى لمصطلح « عادة » - بالمعنى التخصيصي أو غير التخصيصي - تكون أقوال اللغة فيه عادات أو مؤسسة من خلال العادات ، وإذا كانت كلمة رمز لم تستخدم للدلالة على أقوال اللغة فحسب وليكنها استخدمت كذلك للدلالة على الكلمات والعبارات التي تكونها فإنه سيظل من الخطأ أن تتضمن أن المتكلم يستخدمها ككون من العادات في مناسبات خاصة بها ، ومن أكثر الحقائق أهمية عن اللغة أنه لا توجد - بصفة عامة - علاقة بين الكلمات والسياقات التي تستخدم فيها للدرجة التي يمكن أن نتنبأ بذكر كلمات معينة - مثلاً يمكن أن يتنبأ به عن السلوك المعتاد - من السياقات نفسها ، فعلى صبيل المثال لا ننطق عادة قولاً يتضمن كلمة طائر كلما وجدنا أنفسنا في موقف نرى فيه طائراً

أنه أكثر السياقات مدعاة للذكر هذه الكلمة وعليه فإن الافة كما سنرى بعد
تجاية حرة .

٤ - تعريف روبنز (Robins)

لم يقدم لنا روبنز (14 . 9 : 1979 a) تعريفا لافة مطابقا للمواصفات فقد
، على حق حين رأى أن مثل هذه التعريفات « تنجيه نحو الابتذال وعدم
ثمة ما لم تفترض سلفا بعض النظريات العامة في الافة وفي التحليل اللفوى »
لنه صنع قائمة من الحقائق البارزة « الواجب أخذها في الاعتبار لدى أية
ية جادة وهادفة » ، وناقشها ، وقد ذكر في الطبعات المتتابعة لهذا الكتاب
م أن الافة نظام من الرموز . يتأسس معظمها على العرف البحث أو الاعتبار
- أنه أكدنا كيدا خاصا على صرونة تلك الرموز وقابليتها للتغير والتكيف ،
بالم تكن هناك مخالفة منطقية بين الرأي الذي يذهب إلى أن اللغات نظم
دة (مع تفهيم العادة بالمنعى الخاص) والرأي الذي أوضحه روبنز ، ونظام
دة - رغم كل ما يمكن إدراكه - يتغير عبر الزمن بما يتفق مع الاستجابة
ير احتياجات مستخدميه ، لكن مصطلح « عادة » ليس مصطلحا من
طلحات التي تربطها عادة بالسلوك القابل للتعديل والتكيف ، وسنكون
حاجة إلى التركيز على فكرة الممدودية غير المحدودة فيما بعد ، وسنرى حينئذ
يجب أن نفصل بين ممدودية نظام ما وقدرته على التحوير وممدودية مخرجات
النظام وقدرتها على التحوير ، ومن الأهمية كذلك أن ندرك أنه بقدر
لمنى النظام من عناية فإن بعض أنواع الممدودية والتحويرية — نظريا —
ر أهمية من غيرها ، فعلى سبيل المثال حقيقة أن الكلمات الجديدة تدخل
عة مفردات لافة من اللغات في أى وقت من الأوقات أقل كثيرا في الأهمية
من اللغاحية النظرية — من حقيقة أن الابنية التحويرية الجديدة يمكن أن
أ - ونشأ - بمعنى الوقت ، وأحد الموضوعات الرئيسية في علم الافة ما إذا

كانت هناك أية حدود لهذا النوع الأخير من إمكانية النحوي وإذا كان الأمر كذلك فما هي تلك الحدود .

٥ - تعريف تشومسكى (Chomsky) :

والتعريف الأخير الذى نقنيسه هنا يشير ملاحظة مختلفة تماماً : « من الآن سأعتبر اللغة مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل ، كل جملة محدودة من حيث الطول وتركيب من مجموعة محدودة من العناصر » وهذا التعريف مأخوذ من كتاب تشومسكى « Syntactic Structures » الذى أحدث نشره الحركة التى عرفت باسم النحو التحويلي ، ويقصد هذا التعريف - بخلاف التعريفات السابقة - تغطية جوانب كثيرة من اللغات الطبيعية ، فهو أن اللغات الطبيعية كلها - تبعاً لتشومسكى - فى صورتها المكتوبة والمنطوقة لغات حسب تعريفه مادام اكمل لغة طبيعية عدد محدود من الأصوات (وعدد محدود من الحروف الأبجدية - على افتراض أنها ذات نظام ألقبائى للكتابة) ، وطالما أمكن تمثيل الجمل فيها - والتى ربما كانت غير محدودة - بنماذج محدودة من هذه الأصوات (أو الحروف) ، ومهمة اللغوى أن يصف لغة طبيعية ما حتى يمكن التمييز بين العناصر المتتابعة المحدودة التى يمكن اعتبارها جملة والتى لا يمكن اعتبارها كذلك ، وهى أيضاً مهمة اللغوى النظرى الذى يفسر سؤال : « ما اللغة ؟ » كما لو أن مناه : « ما اللغة الطبيعية ؟ » ليسكتشف - إن استطاع - الخصائص البنيوية - إن وجدت - التى تتميز بها اللغة الطبيعية عن تلك التى تقابلها وتسمى لغة غير طبيعية .

وما اعتقده تشومسكى وأكد عليه بشكل متزايد فى عمله الأخير ليس

حقيقة وجود هذه الخصائص البنيوية فحسب ، ولكن كونها تجريدياً ومعقدة

كذلك ، وأنها خاصة بدرجة عالية لأداء أغراضها حتى إنه قد لا يمكن بدء تعلمها بعد الفترة التي يواجه فيها الطفل الصغير مشكلات اكتساب لغته القومية ويجب أن تكون مبرومة للطفل بدرجة ما بشكل سابق عن خبرته بأي لغة طبيعية ومستقل عنها ، ومستخدمة منه في عملية اكتساب اللغة ، ولهذا يتسكك تشومسكى بوجهة النظر هذه حتى إنه ليصف نفسه بأنه عقلاني أكثر منه تجريبي ، وسنعود مرة أخرى إلى هذه القضية (انظر ٧ - ٤) .

وتعريف تشومسكى للغة المقتبس هنا يختلف كثيراً عن التعريفات الأخرى من حيث المحتوى والأسلوب ، فهو لا يذكر شيئاً عن الوظيفة الانه لية لخاصة باللغات الطبيعية واللغات غير الطبيعية ، ولم يذكر شيئاً عن الطبيعية الرمزية لعناصرها أو لانتباعاتها ، وغايته أن يركز الانتباه على الخصائص البنائية للبحث لغات وعلى فكرة أن هذه الخصائص يمكن أن تبحث بطريقة واضحة وضوح الرياضيات ، وإسهام تشومسكى الرئيسى فى علم اللغة أنه أعطى تأكيداً خاصاً على ما يطلق عليه تسمية البنية (structure - dependence) لعمليات التى تتركب من خلالها الجمل فى اللغات الطبيعية ، وأنه صاغ نظرية عامة فى النحو تأسست على تحديد خاص لهذه السمة (انظر : ٤ - ٦)

والتعريف الخامس الذى اقتبسناه من قبل وناقشناه باختصار يعمل على إدخال بعض الخصائص التى جعلها بعض اللغويين سمات جوهرية للغات التى نعرفها ، ويتبنى معظم اللغويين وجهة النظر التى تذهب إلى أن اللغات نظم من الرموز التى صممت لغرض الاتصال ، وهو ما ستراد فى القسم المهنون بوجهة نظر سيمولوجية ، وعلم الإشارة كما سنرى فرع علمى يختص بمبحث الملوك الرمزي والاتصال ، والقضية التى تعيننا فى هذه النقطة ما إذا كانت

هناك خاصة بسيطة أو مجموعة من الخصائص التي تميز اللغات الطبيعية عن النظم الإشارية الأخرى ، وبعض الخصائص التي ذكرناها هذا - الاعتبارية والمرونة ، والقدرة على التحوير ، والتحرر من تحكم الإشارة ، وتبعية البنية ، وستضاف إلى هذه الخصائص خصائص أخرى في سياقها المناسب ^(١) وسنتناول العلاقة بين اللغة والكلام في (١ - ٤) .

٥- الثا: السلوك اللغوي والنظم اللغوية

قد حان الوقت - على كل حال - لرسم المميزات الضرورية للعنى الواقع في إطار مصطلح لغة ، وقد سبق لي أن أثرت إلى الفارق بين لغة بصفة عامة (وهو ما يشير إليه المصطلح الفرنسي « Langage ») واللغة المعينة (وهو ما يشير إليه المصطلح الفرنسي « Langue ») ، وبالمثل نجد العرف من هذا المصطلح لغوي ^(٢) « Linguistic » غامضا كذلك (حتى عندما يكون من الممكن تعلقه باللغة أكثر من علم اللغة) فعلى سبيل المثال عبارة « القدرة اللغوية » التي استخدمها تشومسكي ، وتابيه آخرون الإشارة إلى إثنين شخص ما لغة

(١) أضاف دايد ريسنل في « المعجم الأسمنى لعلم اللغة وعلم الأصوات » خاصة أخرى لغة الإنسانية وهي إمكانية التعلم وتشير إلى أن أى لغة يمكن من حيث المبدأ أن يكتسبها أى طفل عادي متى أخذ فرصته لذلك .

(٢) يمكن أن يستخدم هذا الوصف على النحو التالي :

١ - الصفة من كلمة ولغة ، (Language) كما في الفلسفة اللغوية (Linguistic philosophy) والمهارة اللغوية (Linguistic skill) والاقلية اللغوية (Linguistic minority) .

٢ - الصفة من « علم اللغة » (Linguistics) وذلك كما في المجال اللغوي (Linguistic analysis) والجدس اللغوي (Linguistic intuition) ، والأطلس اللغوي (Linguistic atlas) .

ما نفعى في الإنجليزية الدارجة - بالإضافة إلى الدلالة التي قصدتها تشومسكي وأتباعه - القدرة أو السهولة التي يملكها شخص ما لاكتساب لغة عموماً وليس لاكتساب لغة بعينها (وهذا ما تستخدم كلمة لغة استخداماً وصفيًا في الأسماء المركبة تخضع للنوع نفسه من الغموض انظر : القدرة اللغوية - Language competence) واكتساب اللغة (Language acquisition) ؛ ومن المعتاد ألا يكون لهذا اللبس أثر إذ يتحدد وفقاً للسياق وسأفصل بين المعنيين كلما كان ذلك ضرورياً :

وحتى تستخدم لغة واحدة بعينها دون لغة أخرى عليك أن تسلك طريقاً دون آخر ، وكل من اللغة - عموماً - واللغات المعينة يمكن أن ينظر إليها على أنها سلوك أو نشاط بعض هذا السلوك أو النشاط - على الأقل - يمكن ملاحظته وتعرفه بوصفه سلوكاً لغوياً ليس من قبل المراقبين المشاركين (أى المتكلمين والمستمعين بقدر ما نجمع اهتمامنا في اللغة المتناوئة) فحسب ، ولكن أيضاً من قبل المراقبين غير المشاركين حينئذ في ذلك السلوك الانصالي المشترك على وجه الخصوص ، وفوق هذا فإن جوهر السلوك اللغوي ينبغي أن يكون بصفة عامة إن لم يكن في كل مناسبة هو الانصال ، وقد يكون من الممكن للمراقبين من الخارج أن يتعرفوا بموضوع السلوك اللغوي حتى لو لم يكونوا على معرفة باللغة المعينة المستخدمة ولم يكن في مقدورهم تفسير الأقوال التي تعد نتاج السلوك موضع الملاحظة .

إذن يمكن أن ينظر إلى اللغة - وبشكل مبرر بما فيه السكمانية - من وجهة نظر سلوكية (وليست بالضرورة هي وجهة نظر المدرسة السلوكية) ، غير أن اللغة - عموماً - واللغات المعينة يمكن أن ينظر إليها من زاويتين أخريين على الأقل ، ترتبط إحداها بالتحديد الاصطلاحي الذي رسمه تشومسكي فيما بين

القدرة، والأداء، وترتبط الأخرى بـمميز يختلف إلى حد ما رسمه دي سوسير في اللغة الفرنسية مع مطلع هذا القرن بين اللغة (Langue) والكلام (Parole)

وعندنا نقول : إن أحد الأفراد يتكلم الإنجليزية فإننا نعني أحد أمرين : إما أنه يشترك عادة أو عرضاً في هذا النوع المعين من السلوك أو أن لديه القدرة على الاشتراك في هذا النوع (سواء أكان يستخدمها أم لا) ، ونشير إلى الأمر الأول بما يسمى الأداء ونشير إلى الأمر الثاني بما يسمى القدرة ، ولستطيع أن نقول إن الأداء يفترض سلماً القدرة بينما لا يفترض القدرة سلماً الأداء ، مع افتراض أن التمييز بين القدرة والأداء متفق عليه نسبياً ، وتنسب نقطة أخرى لنشومسكي إذ تمهما فسرنا بشكل إجمالي مصطلح «القدرة اللغوية» فن الواجب أن نلاحظ أن السلوك اللغوي لأشخاص معينين في مناسبات معينة يحدده عوامل أخرى علاوة على القدرة اللغوية ، وهناك الكثير مما تناوله نشومسكي بالشرح المفصل لفكرة القدرة اللغوية تختلف حوله الآراء اختلافاً بعيداً ، غير أن هذا لا يهتينا في الوقت الحاضر (أنظر ٧ - ٤) ، ويكفي هنا أن نذكر - تبعاً لنشومسكي - أن اللغوي لا يصف عند وصفه لغة معينة الأداء (أي السلوك) بل يصف القدرة الخاصة بالكلمين بها ، وبقدر ما تكون هذه القدرة لغوية بحجة يرتكز عليها أدبهم ويصبح ممكناً من خلالها ، فالقدرة اللغوية لشخص ما هي معرفته بلغة معينة ، ومن هنا كان اهتمام علم اللغة بتمييز المحددات الخاصة بالقدرة اللغوية وتقديم تفسير نظري مقنع لها ، وهو ما يصف تبعاً لنشومسكي إلى فرع علم النفس المعرفي .

والمميز بين اللغة (Langue) والكلام (Parole) - كما رسمه دي سوسير لأول مرة - يشمل عدداً من المميزات المستقلة بشكل متقن ، وأكثر هذه المميزات أهمية ما يميز بين ماهو موجود بالقوة وما هو موجود بالفعل من

جهة وبين ما هو اجتماعي وما هو فردي من جهة أخرى (أنظر: ٧-٣) ،
وما أسمى دى سوسير لغة (Langue) هو أي لغة معينة تكون ملكية
مشتركة لكل أفراد جماعة لغوية معينة (أي لكل أولئك المسلم
بأنهم يتكلمون اللغة نفسها) ، والمصطلح الفرسي (Langue) - وهو
كما رأينا - مصطلح بسيط من تلك الكلمات المعتادة التي تحمل معنى
اللغة يترك عادة بلا ترجمة في اللغة الإنجليزية عندما يستخدم استعمالا
اصلاحيا - بما عناه دى سوسير ، وسأدخل مصطلح النظام اللغوي بدلا
عنه وسوف نجعله متابلا للسلوك اللغوي على الأقل من حيث المبدأ فيما يتصل
بثنائية دى سوسير : اللغة والكلام ، والنظام اللغوي ظاهرة اجتماعية أو نمط
اجتماعي منظم وهي في حد ذاتها بحريدية بحتة ليس لها وجود فيزيائي لكنه
يتحقق في مناسبات معينة في السلوك اللغوي لأفراد الجماعة اللغوية وعليه فإن
ما يسميه تشومسكي القدرة اللغوية لا ينطبق بسهولة كافية على النظام اللغوي
بل ينطبق على معرفة المتكلم العادي للنظام اللغوي ، غير أن دى سوسير
أعطى تأكيدا خاصا للطابع الاجتماعي في النظام اللغوي ، ولذلك اعتقد أن
علم اللغة أكثر ارتباطا بعلم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي منه بعلم النفس
المعرفي ، وقد أخذ بوجهة النظر هذه كثير من اللغويين الآخرين ، ومع ذلك
يتمسك غيرهم بأن النظام اللغوي يمكن بل يجب أن تدرس دراسة مستقلة عن
متعلقاتها الاجتماعية والسيكولوجية ، وسنعود إلى هذه النقطة في الفصل الثاني
ودعنا الآن نذكر ببساطة أنه عندما نقول إن اللغوي يهتم باللغة فإننا نعني
ضمننا أنه يهتم أساسا ببنية النظام اللغوية .

رابعاً : اللغة والكلام

من المبادئ الأساسية لعلم اللغة الحديث أن اللغة للمنطوقة أساسية أكثر من اللغة للكتابة ، ورغم ذلك فإنه لا ينفى أن اللغة تطابق الكلام فمن الواجب أن نقيم حداً فاصلاً بين الإشارات اللغوية والأداة التي تتحقق من خلالها تلك الإشارات ، لذلك فإنه من الممكن أن نقرأ بصوت مرتفع ما هو مكتوب ومن الممكن كذلك أن نكتب ما نقوله ويستطيع المتكلمون المتفهمون من أبناء اللغة أن يفهموا - بصفة عامة - عما إذا كانت عملية تحويل الإشارات اللغوية من وسيلة إلى أخرى قد تمت بطريقة سليمة أم لا ، وبقدر حرية اللغة في اتخاذ الوسيلة التي تتحقق من خلالها إشارتها اللغوية سنذهب إلى أن اللغة لها خاصية إمكانية تغيير الوسيلة ، وهذه الخاصية ذات أهمية قصوى ولا تتطلب من المرء سوى اهتمام ضئيل في مجال مناقشتنا لطبيعة اللغة ، وهي خاصة تعتمد - كما سنرى - على خصائص أخرى وتسهم معها في مرونة النظم اللغوية وقدرتها على التكيف .

إذن كيف تعد اللغة للمنطوقة أساسية أكثر من اللغة للكتابة ؟ ولماذا يميل كثير من اللغويين إلى اعتبار أهم الخصائص الواضحة للغات الطبيعية كونها نظاماً إشارياً متطورة ؟

أول هذه الأسباب أن اللغويين رأوا أن من واجبهم تصحيح التحيز الموجود في النحو التقليدي والتعاليم التقليدية للغة ، وحتى وقت قريب كانت معظم عضاية النحويين تسكاد تقتصر على لغة الأدب ، ويحصل الكلام العامي الهارج على قليل من الاهتمام ، وقد كانوا جميعاً - عادة - يتعاملون مع معايير الاستخدام الأدبي على أنها معايير الصواب للغة ذاتها وكانوا يدينون الاستخدام

المدارج فهو بقدر ما يختلف عن الاستخدام الأدبي غير صحيح نھوياً أو وضع
أو حتى غير منطقی ، وقد حدث تقدم كبير في القرن التاسع عشر في إطار
بحث النطور التاريخي للغات ، فقد أدرك العلماء بشكل أكثر وضوحاً من
ذی قبل أن التغييرات في لغة النصوص المكتوبة في مراحل مختلفة - تغييرات
مثل التي تمت عبر القرون لتحول اللغة اللاتينية إلى اللغات الفرنسية أو
الإيطالية أو الألمانية - يمكن على سبيل المثال أن تنضج من خلالها التغييرات
التي حدثت في اللغة المنطوقة المتأخرة للغة النصوص المكتوبة ، واستمرارية
اللغة الواحدة عبر الزمن وفي المكان الواحد غامض إلى حد بعيد في النصوص
المكتوبة في الزمن الماضي والتي جاءت عبر الاتجاه المحافظ لتقاليد النسخ في
ثقافات عديدة كما جاهدنا عبر الاستخدام المستمر في فترات زمنية طويلة في
الوثائق الدينية والقانونية وفي الأدب بأسلوب الكتابة العتيق إلى حد بعيد ،
وكل اللغات الأدبية العظمى في العالم أخذت - في النهاية - من اللغة المنطوقة
لجاءات معينة ، وأكثر من ذلك فإنه من قبيل المصادفة التاريخية أن يكون
استخدام منصفة أو طبقة اجتماعية أساساً لنطور اللغة الأدبية المشتركة في مجتمعات
بعضها ، ونتيجة لذلك ينظر الآن للهبات المناطق الأخرى والطبقات الاجتماعية
الأخرى على أنها كما تكون عادة أقل مرتبة أو دون مستوى اللغة المشتركة أو
على أنها أشكال مختلفة للغة ، وهو ما يشكل دعامة للانحياز التقليدي في تفضيل
اللغة المشتركة في شكلها المكتوب لدرجة تجعل من العسير على التغوى أن
يقنع غير المتخصصين بحقيقة أن اللهجات غير المشتركة - بصفة عامة - ليست
أقل نظاماً أو أطراداً من اللغات الأدبية المشتركة ، وأن لتلك اللهجات معايير
الصواب الخاصة بها الكامنة في استخدام متكلمها الأصليين ، وأول المهام
التي تواجه دارسي علم اللغة وأكثرها صعوبة أن يكتسبوا الفترة على أخذ

اللغة المنطوقة في الاعتبار في عباراتها الخاصة بها دون الاعتقاد في أن نطق كلمة أو عبارة يحددها أو يجب أن يحددها هجاؤها .

والرغبة في إعادة النوازن من حيث تعاطف البحث المحايد مع الكلام واللغة المنطوقة لا تحقق - بطبيعة الحال - تبني مبدأ أن اللغة للمنطوقة أكثر أساسية - وليس ببساطة لا نقل أساسية - هن اللغة المكتوبة ، لكن ماذا تعنى كلمة أساسية هناك؟ الأولوية التاريخية للكلام على الكتابة لا تفسح مجالاً للشك ، ولا نعرف أن هناك مجتمعات موجودة أو كان موجوداً يوماً ما لم تكن لديه القدرة على الكلام ، وعلى الرغم من أن اللغات كما نراها اليوم في معظم أنحاء العالم إما مكتوبة أو منطوقة فإن الأغلبية العظمى من المجتمعات كانت إلى وقت قريب أمية تماماً أو تسود فيها الأمية ، ومع ذلك فالأولوية التاريخية أقل أهمية من الأنواع الأخرى للأولويات التي يتضمنها مصطلح أساسية في هذا السياق وهي الأولوية البليوية ، والأولوية الوظيفية ، والأولوية البيولوجية التي يمكن إثباتها .

ويمكن أن تشرح الأولوية البنيوية للغات المنطوقة كما يلي : إننا إذا أهملنا لحظة - أية اختلافات في الأسلوب يمكن أن توجد بين اللغتين للتناظرين المكتوبة والمنطوقة ، وافترضنا أن كل جملة منطوقة مقبولة يمكن أن تتحول إلى جملة مكتوبة مقبولة ، وبالعكس لما كان لدينا سبب يدعونا إلى التفكير في أيهما قد أُخذ من الآخر إلا أن يكون الأمر حقيقة تاريخية ، وتعتمد بنية الجمل المكتوبة على سمات شكلية يمكن تحديدها ، وتعتمد بنية الجمل المنطوقة على سمات صوتية يمكن تحديدها ، وفي الحالة للثلى نظرياً الخاصة بالتناظر المباشر الذي يربط بين الجمل المنطوقة والجمل المكتوبة فإن كل جملة مكتوبة ستكون متماثلة في الشكل (أي لها البنية الداخلية نفسها) مع الجملة المنطوقة المناظرة لها ، فعلى سبيل المثال إذا كانت الجمل المكتوبة تستخدم نظام الكتابة (٢٢ - اللغة)

الألفبائي فإن حروفنا معينة متوقف في حالة تناظر مع أصوات معينة ، ومنصف
مجموعات معينة من الحروف باعتبارها كلمات أو عبارات في حالة تناظر مباشر
مع مجموعات معينة من الأصوات ، ولا تحوز كل مجموعة من الحروف القبول
كما لا تحوز كذلك كل مجموعة من الأصوات القبول ، لكن هناك اختلافا هاما
بين الحروف والأصوات في هذا الشأن ، فالإمكانات التي تستخدمها الأصوات
في لغة معينة ليرتبط صوت بآخر تعتمد اعتماداً جزئياً على خصائص الوسيطة
نفسها (ترا كيب معينة من الأصوات لا يمكن نطقها أو من العسير نطقها) ،
وتعتمد جزئياً على تقييدات أكثر خصوصية تتفق بتلك اللغة وحدها ،
وإمكانات الحروف في ربط حرف بآخر لا يمكن التنبؤ بها بشكل كامل من
خلال أشكالها ، ومع ذلك يمكن التنبؤ إلى حد ما بها في كل اللغات التي
تستخدم نظام الكتابة الألفبائي من خلال ارتباط أشكال معينة بأصوات معينة
ومن خلال إمكانية ارتباط صوت بآخر في الكلام ، لذلك فإنه - فيما يتصل
بهذا الموضوع - تكون اللغة المنطوقة أكثر أساسية من الناحية البنيوية من
اللغة المكتوبة حتى لو كان ثمة تشاكل - على الأقل في النموذج النظري - على
مستوى تلك الوحدات الأوسع كالكلمات والعبارات ، ويجب أن يلاحظ أن
هذه النقطة لا تتعلق باللغات التي تستخدم نظاما للكتابة لا ترتبط فيه أشكال
معينة بأصوات معينة ولكنها ترتبط بالكلمات ، فهي لا تتعلق على صيبل
المثال باللغة الصينية الكلاسيكية المكتوبة بخصائصها التقليدية كما لا تتعلق
بالغة المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية ، ويرجع ذلك - بشكل هام -
إلى عدم وجود أولوية بنيوية للغة المنطوقة على اللغة المكتوبة ، أما في اللغة
الصينية فإن اللغة المكتوبة الواحدة تناظر اللهجات المتعددة التي تتميز الواحدة
عن الأخرى تميزا كبيرا ولا يمكن لأبناء هذه اللهجات أن يفهم بعضهم بعضا
إلى حد كبير .

والأولوية الوظيفية أكثر سهولة في شرحها وفهمها حتى يومنا هذا وفي أكثر المجتمعات البيروقراطية والصناعية الحديثة تستخدم اللغة المنطوقة في نطاق من الأغراض أكثر اتساعاً مما تستخدم فيه اللغة المكتوبة ، ولا تستخدم الكتابة بديلاً وظيفياً للحديث إلا في المناسبات التي يستحيل فيها الاتصال المنطوق المسموع أو ينعدم تأثيره أو الاعتماد عليه وأمكن بفعل اختراع الهاتف والمسجل أن تستخدم اللغة المنطوقة في الحالات التي كان يتوجب فيها استخدام اللغة المكتوبة في الماضي إذ كانت تستخدم للاتصال الذي يعتمد على البعد ، وفي حفظ الوثائق القانونية والدليلية والتجارية التي اخترعت الكتابة أصلاً لها ، وحقيقة أن النصوص المكتوبة استخدمت لمثل هذه الأغراض الهامة عبر التاريخ وكانت أثق وأكثر دواماً من الأقوال المنطوقة (أو أنها كانت كذلك قبل تطور الوسائل الحديثة لتسجيل الصوت) أسهمت في اتخاذ اللغة المكتوبة شكلاً رسمياً ومكانة أعظم في كثير من الثقافات .

ونأتي الآن إلى مسألة أكثر إثارة للجدل وهي الأولوية البيولوجية فهناك الكثير مما يدهو إلى الاعتقاد بأن الكائنات الإنسانية مبرجة مقدماً على نحو وراثي ليس لاكتساب اللغة فحسب ولكن أيضاً لإنتاج الأصوات اللغوية وإدراكها وهو ما يعد جزءاً من العملية ذاتها ، ومن الواضح أن ما يشير إليه اللغوي — بشكل عام — بأعضاء النطق : الرئتان ، والوتران الصوتيان ، والأسنان ، واللسان ... الخ كل هذه الأعضاء تؤدي وظائف بيولوجية أكثر أساسية من وظيفة إنتاج الإشارات المنطوقة فما لاجدال فيه أن الرئتين تستخدمان في التنفس ، وأن الأسنان تستخدم في طحن الطعام ... ولم جرا ، ويبدأ كل الأطفال وعمرهم شهور قليلة في البأبأة (ما لم يعانوا من عدم القدرة الطبيعية أو من بعض الموانع المقلبة) ، والبأبأة التي تشتمل على

إنتاج سلسلة من الأصوات أوسع مما قد تجده في كلام أولئك الذين يتصل بهم الأطفال لا يمكن تفسيرها بتقليد الطفل للأصوات التي يسمعا من حوله كاللبقاء، وأكثر من ذلك فمن الممكن أن نبرهن بالتجربة أن الأطفال في مقدورهم وهم في الأسابيع الأولى من حياتهم أن يميزوا بين أصوات اللغة والأصوات الأخرى وأنهم على استعداد لأن يعطوا انتباههم لها ، أما الكائنات العليا التي تقترب من الإنسان فرغم أن لها أجهزة فسيولوجية تشبه ما للإنسان فإنها لا تبدو على نفس الاستعداد لإنتاج الأصوات الإنسانية أو تمييز خصائصها وربما كان ذلك السبب الرئيس وراء فشل تعليم الشمبانزى اللغة المنطوقة بينما تحقق قدر كبير من النجاح في تعليمها لغات أو نظم شبيهة باللغات إشاراتها فتتجهها اليد وتفسرها العين (ومعلوم الآن أن جماعات الشمبانزى تتواصل فيما بينها في بيئاتها الطبيعية من خلال الإشارات الإيمائية والإشارات المنطوقة وتبدو الإشارات الإيمائية أكثر تمييزاً وثراء من النداءات المنطوقة انظر : ١٥ - ٢٧) وأخيراً فإن هناك حقيقة مؤداها أنه بعد فترة الطفولة يكون نصفاً من الإنسان مختلفين من الناحية الوظيفية فيسيطر أحد نصفي المخ الإنسانى على القيام بعمليات معينة ، والجانب الأيسر من المخ عند أغلب الناس هو الذى يقوم بمعالجة الإشارات اللغوية وهو أفضل من النصف الأيمن من حيث معالجة الأصوات اللغوية لا الأنواع الأخرى من الأصوات .

وشاهد من هذا النوع على الرغم من أنه غير قاطع إلا أنه مشير للتفكير بدرجة عالية فتبعاً لأحد الافتراضات المقنعة تطورت اللغة الإنسانية — في بعض المراحل الخاصة بتطور الجنس البشرى — من نظام اتصالي إيمائى أكثر منه لفظي ، وثمة أسباب عديدة ورام احتمال حدوث ذلك وبغض النظر

عن صحة هذا الافتراض فإن الشاهد الذى ورد مختصراً فى الفقرة السابقة يشير إلى أنه فيما يتصل بالإنسان فى حالته الراهنة من التطور النشئى تعد الأصوات وبالأخص سلسلة الأصوات المسبوقة التى يمكن أن تنتجها أعضاء اللسان الإنسانية الوسيلة الطبيعية أو الأساسية من الناحية البيولوجية التى تتحقق بها اللغة ، وإذا كان الأمر كذلك فهناك مبرر لاغويين ليس لاستخدامهم مصطلح أعضاء النطق لحسب ولكن أيضاً لافتراضهم علاقة ليست عارضة بين اللغات والكلام .

ورغم ذلك تظل حقيقة وجود اختلاف بين الأولوية البيولوجية والمنطقية وكما أكدنا من قبل فإن لغة درجة عالية من قابلية التحول فى الوسيلة ، وفى المجرى المعتاد للأحداث يكتسب الأطفال إتقان اللغة المنطوقة اكتساباً طبيعياً (أى بفضل الموهبة الطبيعية البيولوجية وبدون تدريب خاص) أما القراءة والكتابة فكلتا مهاراة خاصة يكتسبها الأطفال من خلال برامج تعليمية تعتمد على المعرفة السابقة باللغة المنطوقة ، ورغم ذلك فإن السكبار وليس الأطفال وحدهم فى استطاعتهم أن يكتسبوا القراءة والكتابة دون صعوبة مفرطة ، ومن الممكن إلى حد بعيد — رغم أنه ليس معتاداً — أن يتعلم المرء اللغة المكتوبة دون معرفة مسبقة باللغة المنطوقة المرتبطة بها ، ومن الممكن كذلك أن يتعلم المرء نظاماً اتصالياً من الإشارات الإيمائية التى لا تعتمد على اللغة المنطوقة كما لا تعتمد على اللغة المكتوبة وذلك مثل بعض النظم التى يستخدمها الصم والبكم ، وإذا كان من الممكن أن نكتشف مجتمعاً يستخدم نظاماً اتصالياً كتابياً أو إيمائياً له كل الخصائص المميزة للغة لكنه لم يتحقق أبداً من خلال الوسيلة المنطوقة فإننا بالتأكيد سنشير إلى هذا النظام الاتصالي على أنه لغة ، لذلك يجب ألا يؤكد المرء كثيراً على الأولوية البيولوجية للكلام .

وعلاوة على ذلك فإنه عندما نصل إلى قضية وصف لغات بعضها فإن هناك برراً جيداً لتعامل اللغوى مع اللغتين المتناظرتين المكتوبة والمنطوقة على أنهما متماثلتان في الشكل بدرجة أو بأخرى ، فالمتطابق التام لا يكون إلا في النموذج النظرى — كما قلنا من قبل — فلم يخرج بعد نظام للكتابة يهدنا بما يمثل كل الخصائص المميزة للكلام (بخلاف نظم الكتابة الصوتية التى صاغها علماء الأصوات لهذا الغرض وحده) ويتبع ذلك أن هناك — بشكل عام — طرقاً عديدة مختلفة لنطاق الجملة الواحدة المكتوبة ، وتختلف هذه الطرق من حيث النبر ، والتنظيم ... الخ ، وتؤدى علامات الترقيم واستخدام الحروف المكتوبة بالخط المائل والحروف الاستهلاكية الكبيرة التى تبدأ بها الجملة كثيراً مما يقوم به النبر والتنظيم فى اللغة المنطوقة من أغراض غير أن الأولى لا تستطيع أن تمثل الأخيرة تشيلاً كافياً ، ويجب أن تأخذ حقيقة أنه يوجد دائماً اختلاف بايوى ووظيفى بين اللغتين المنطوقة والمكتوبة التى تناظر الواحدة منهما الأخرى تقديراً مناسباً كذلك ، ويتنوع مدى الاختلاف — لأسباب تاريخية وثقافية — من لغة إلى أخرى ، وفى اللغة العربية والمفرد التأميلية — على صييل المثل — نرى الاختلاف من حيث المعجم والقواعد النحوية كثيراً للغاية ، وهو أقل وضوحاً فى اللغة الإنجليزية غير أنه حتى فى اللغة الإنجليزية توجد كلمات وعبارات وتراكيب نحوية نشهر أنها هامة للغاية بالنسبة للغة المكتوبة (مثل : « Load of old cobbles ») أو بالعكس أدبية للغاية بالنسبة للغة المنطوقة (مثل :

(« any arrangements made heretofore notwithstanding »)

ويكشف المصطلحان : هامى وأدبى أموراً ، فهناك فاصل واضح — من حيث المبدأ — بين العامى والمنطوق من ناحية ، وبين الأدبى والمكتوب من هيانة أخرى ، وهذا الفاصل من الصعوبة المحافظة عليه عند التطبيق ، وبخصوص

بعض اللفات لا يشير الفاصل المميز بين وسيلة وأخرى (الكتابة في مقابل النطق) ، ولا الاختلافات الخاصة بالأسلوب (العامى في مقابل الأدبى) اهتماما كبيرا ، وكذلك الأص في الفاصل المميز بين الاختلافات فى الوسيلة ، والاختلافات فى اللفجة (المشتركة فى مقابل غير المشتركة . . . الخ) ، والافتراض النظرى القائل فى الشكل بين اللغة للمكتوبة واللفة المنطوقة جزء لا يتجزأ مما سيشار إليه فيما بعد بتصور التجانس .

خامسا : وجهة نظر سيميولوجية

وصفت السيميولوجية وصفا متنوعا على أنها علم الإشارات أو أنها السلوك الرمزى أو أنها النظم الاتصالية ، وثمة مناقشات كثيرة فى إطار السيميولوجية تتعلق بالاختلاف بين الإشارات والرموز والعلامات ، وبمجال مصطلح الاتصال^(١) ، ولاغراضنا الراهنة سنعتبر السيميولوجيا تتعلق بنظم الاتصال ، وسوف نفسر مصطلح « اتصال » تفسيرا مجملا إلى حد ما بحيث لا يتضمن بالضرورة اتجاهات نحو تقديم معلومات ، ولا يكون ذلك إلا إذا فسرنا المصطلح بالطريقة التى يمكن للمرء أن يتكلم عن الاتصال الحيوانى دون أن يبدأ ببعض القضايا الفلسفية المثيرة للجدل .

وثمة نهجيات معينة تتصل بالبحث فى كل النظم الاتصالية الإنسانية وغير الإنسانية ، الطبيعية والصناعية ، فالإشارة تدور من المرسل إلى المستقبل (أو مجموعة

(١) الاتصال communication فكرة أساسية فى دراسة السلوك تهمل إطاراً مرجعياً للدراسات اللغوية والصوتية ويشير الاتصال إلى انتقال رسالة بين المرسل والمستقبل باستخدام نظام إشارى ، وفى السياق اللغوى يكون المرسل والمستقبل هما المتكلم والمستمع ويكون النظام الإشارى اللغة .

من المستقبلين) وتأخذ الإشارة شكلاً معيناً وتحمل معنى معيناً (أو رسالة)،
والعلاقة بين شكل الإشارة ومعناها يؤسسها ما يعرف بشكل شائع في السيميولوجيا
بالشفرة (بالمعنى العام إلى حد ما للمصطلح) فالرسالة يرمز لشفرتها المرسل
ويحمل لشفرتها المستقبل.

وتعد اللغات الطبيعية — من وجهة النظر هذه — شفرات، ويمكن
مقارنتها بالشفرات الأخرى من جميع النواحي: من ناحية قناة الاتصال التي
تمر من خلالها الإشارات، ومن ناحية شكل الإشارات أو بنيتها، ومن
ناحية نوع الرسائل التي يمكن أن يرمز لشفرتها أو مجالها وهلم جرا، وتقع
المشكلة في تحديد خصائص الشفرات أو النظم الإشارية التي تعمل من خلالها
والتي لها أهميتها فيما تهدف إليه عملية المقارنة وتلك التي لا أهمية لها
أو التي هي أقل أهمية، ويجعل هذه المشكلة أكثر تعقيداً أن
الكثير من هذه الخصائص التي يمكن أن يختارها المرء باعتبارها خصائص
حاسمة يمكن تدرجها، ولهذا فإنه ربما كان مهما للغاية أن نقارن الشفرات من
خلال درجة وجود الخاصية المشتركة وليس ببساطة من خلال وجودها أو عدمه
والمقارنات السخيفة إلى حد بعيد التي تُعقد بين اللغات ونظم الاتصال التي
تستخدمها أجناس معينة من الطيور والحيوانات تقوم — على أساس اختيار
خصائص معينة — باستبعاد الخصائص الأخرى وتفشل في أن تولي اهتماماً
بإمكانية تدرج الخصائص.

وبقدر ما تلقى قناة الاتصال من اهتمام تكون الحاجة إلى الكلام ضئيلة
سوى أن اللغة — بخلاف الشفرات التي تستخدمها كثير من الحيوانات إن
لم تكن جميعها — تتميز بدرجة عالية إلى حد بعيد بوجود خاصية قابلية
التحول في الوسيلة فيها، وقد تناولنا هذه النقطة في القسم السابق، ومفهوم
الوسيلة ومفهوم العناية — بالجمع — مرتبطان ارتباطاً وثيقاً من حيث إن

خصائص الوسيلة مأخوذة من خصائص التثاق الطبيعية للتوصيل ، ومع هذا فإنه من الأهمية أن نميز بين المفهومين فيما يتصل باللغة ، فكلتا اللغتين المنطوقة والمكتوبة يمكن أن تنتقل عبر قنوات اتصال متنوعة ، وعندما نستخدم مصطلح « وسيلة » أكثر من « قناة » فإننا لا نمنى بالمرور الفعلي للإشارات في مناسبات معينة ، ولسكننا نغنى بالاختلافات الوظيفية والبنوية المصوغة في صورة نظام والتي تميز بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ، وذلك على الرغم من أن للفارقة قد تبدو من الوهلة الأولى في أن اللغة الإنجليزية المكتوبة يمكن أن تنتقل عبر القناة المسدوعة المنطوقة (أى بواسطة الكلام) ، واللغة الإنجليزية المنطوقة يمكن أن تنتقل عن طريق الكتابة (على الرغم من أن ذلك غير مُرضٍ إلى حد بعيد في الكتابة المجازية المعتادة) .

وربما كانت أكثر خصائص اللغة لغناً للأنتظار عند مقارنتها بالشفرات أو بنظم الاتصال مرونتها وتعدد استعمالاتها ، فمن نستخدم اللغة للتعبير عن انفعالاتنا ، ومشاعرنا ، أو لكي نلتصق تعاون رفاقنا ، أو لكي نصوغ وعودنا ووعيدنا ، أو لكي نصدر أوامرنا ، أو نوجه أسئلتنا أو لنصوغ أحكامنا ، ويمكننا أن نشير إلى الماضي ، وإلى الحاضر ، وإلى المستقبل وإلى الأشياء البعيدة عن سياق القول وحتى إلى تلك الأشياء التي لا حاجة لوجودها وليس من الممكن إيجادها ، وليس هناك نظام اتصال خاص بالإنسان أو بغير الإنسان يبدو أن له شيئاً ما يشبه هذه الدرجة من اللزوجة وقابلية التغير ، وفيما بين الخصائص الأكثر وضوحاً والتي تسهم في مرونة اللغة وتعدد استعمالاتها (أى في كل نظام لغوي وفي أى نظام لغوي) هناك أربع خصائص تُذكر بشكل متكرر للتذكر وهي : الاعتبارية ، والازدواجية ، والتمايز ، والانتاجية .

١ - الاعتبارية^(١) يستخدم هذا المصطلح هنا بمعنى خاص إلى حد ما ليعنى شيئاً ما مثل « تعذر التعبير من خلال بعض المبادئ الأكثر عمومية » ، وأكثر الأمثلة وضوحاً على الاعتبارية في اللغة - والمثال الذي يذكر بشكل أكثر تكراراً - يتصل بالعلاقة التي تربط بين المعنى والشكل ، بين الإشارة والرسالة ، وهناك أمثلة متفرقة في كل اللغات لما يعرف تقليدياً بظاهرة التسمية بالحكاة الصوتية : لاحظ العلاقة غير الاعتبارية بين الشكل والمعنى في الكلمات الآتية المسماة بالحكاة الصوتية مثل (cuckoo) (peewit) ، (crash)^(٢) ، في اللغة الإنجليزية ، غير أن الأغلبية العظمى من الكلمات في كل اللغات غير مسماة بالحكاة الصوتية فالعلاقة بين ألفاظها ومعانيها اعتبارية فلفظ كلمة ما لا يمكن أن يُنبأ عن معناها كما أن معنى كلمة ما لا يمكن أن يُنبأ عن لفظها .

ومن الواضح أن العرفية - بهذا المعنى - تزيد من مرونة نظام الاتصال وتعدد استعمالاته فإتساع المعجم ليس مقيداً بضرورة التوافق بين الشكل والمعنى من خلال بعض المبادئ الأكثر عمومية ، ومن الناحية الأخرى حقيقة أن حلقة الوصل بين الشكل والمعنى على مستوى الوحدات المعجمية لتنظم اللغوية - بشكل عام - اعتبارية لها أثرها في العبء الكبير الذي يقع على الذاكرة في عملية اكتساب اللغة ، وارتباط صيغة معينة بمعنى معين بحجب أن نعرفه في كل وحدة معجمية بشكل مستقل ، إذن الاعتبارية التي من هذا

(١) أو العشوائية أو العرفية (arbitrariness) وتفقد بموجبها الصيغ اللغوية أي تناظر مزياني مع الموجودات التي تشير إليها في العالم فعلى سبيل المثال ليس هناك شيء في كلمة كرمي تعكس هيئة ذلك الشيء المسمى بها فالعلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة عشوائية باستثناء كلمات قليلة تفصح ألفاظها عن معانيها .
(٢) المقابل الدلالي لهذه الكلمات الوقوفة ، والهبوط ، يرتبط على الترتيب ،

النوع من وجهة النظر السيمولوجية لها فوائد وأضرارها فهي تجعل النظام اللغوي أكثر مرونة وتكيفاً ، لكنها تجعل تعلمه أكثر صعوبة وإرهاقاً كذلك ، وتوجد نقمة إضافية فالاعتباطية في أى نظام سيمولوجي تجعل تفسير الإشارات أكثر صعوبة بالنسبة لأي فرد يتصدى لتفسير هذه الإشارات ولا يعرف النظام ، ولهذا أيضاً فوائده وأضراره بالنسبة لمستخدمي النظام العاديين ، ومن المفترض أن يتفوق الجانب المفيد على الجانب الضار ، أما معظم النظم الاتصالية الخاصة بالحيوان ففيها رابطة لاعتباطية بين شكل الإشارة ومعناها .

ولا تنحصر الاعتباطية بقدر ما تلقى اللغة من اهتمام في العلاقة بين الشكل والمعنى ، فهي تنسع كذلك - بدرجة كبيرة إلى حد ما - لما يتعاق بكثير من البنية النحوية الخاصة بلغات معينة بقدر ما تختلف نحوياً الواحدة عن الأخرى ، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان تعلم اللغات الأجنبية أكثر سهولة .

والأكثر إثارة فرضية تشومسكى التي تذهب إلى أن مقداراً كبيراً مما هو مشترك في البنية النحوية للغات الإنسانية جميعها - بما في ذلك العملية التي هي من نوع خاص إلى حد بعيد والخاصة بتبعية البنية - اعتباطية كذلك بمعنى أنه لا يمكن تفسيرها أو التنبؤ بها من خلال وظائف اللغة ، أو الأحوال البيئية التي يمكن اكتساب فيها اللغة وتستخدم فيها ، أو طبيعة العملية الإدراكية الإنسانية هووماً ، أو أى عامل من هذا النوع ، ووجهة نظر تشومسكى أن الكائنات الإنسانية موهوبة وراثياً بمعرفة المبادئ العامة لاعتباطية المزمومة التي تحدد الأبنية النحوية في جميع اللغات ، وكل ما نحتاج أن نقوله هنا عن هذه النظرية أن اللغويين لا يتفقون جميعاً على أن مثل هذه المبادئ العامة - كما يمكن تأصيلها - اعتباطية بالمعنى المقصود ، وكثير من

البحوث الحديثة في علم اللغة النظرى تكررت جهودها في محاولة بيان أنها ليست كذلك ، وسنعود إلى هذه النقطة في الفصل الثامن .

٢ - الازدواجية^(١) ونعنى بها أن للغة مستويين :بنيويين فوحدات للمستوى الأساسى تتكون من عناصر المستوى النافوى ولكلا المستويين أصله التنظيمية الخاصة ، وسلاحظ أننى أدخلت مميزا اصطلاحيا بين «عنصر» و « وحدة » وهذا ليس مميزا اصطلاحيا مشتركا في علم اللغة ومع ذلك فهو ذو ملاءمة تفسيرية معينة وصيلتزم به في هذا الكتاب .

ونستطيع الآن أن نعتبر أن عناصر اللغة المنطوقة هى الأصوات (أو بشكل أوضح كما سيتضح فى الفصل الثالث الفونيمات) ، ولا تحمل الأصوات فى حد ذاتها معنى ، ووظيفتها الوحيدة أن يتجمع الواحد منها مع الآخر لتكوين وحدات لها - بصفة عامة - معنى محدد ، ويرجع ذلك إلى أن عناصر للمستوى الأدنى وهى الأصغر لامعنى لها بينما عناصر المستوي الأعلى وهى الأكبر لها معنى مميز - بصفة عامة إن لم يكن بشكل ثابت - يمكن التعرف عليه ، ومن ثم وصفت العناصر بأنها ثانوية ووصفت الوحدات بأنها أساسية ، ونظم الاتصال كلها لها مثل هذه الوحدات الأساسية لكن هذه الوحدات ليست بالضرورة مؤلفة من عناصر ، ولا يكون للنظام خاصة الازدواجية إلا إذا كانت فيه الوحدات والعناصر كلاهما ، ومعظم نظم الاتصال الخاصة بالحيوان لا تتبع

(١) خاصه الازدواجية (duality) وتبدو اللغة بموجها منتظمة على المهتوى البنىوى مستويان مجردان أولهما المستوى الأعلى حيث محلل اللغة إلى مجموعات من الوحدات ذات المعنى وهى الوحدات الصرفية أو الموريمات والكلمات وثانيهما المستوى الأدنى حيث تبدو اللغة ساهلة من القطع الصوتية (segments) لامعنى لها لكنها تتجمع لتكوين وحدات ذات معنى .

هذا النيج - بشكل واضح - وتلك التي تنهج هذا النيج لا تتركب وحداتها الواحدة مع الأخرى بالطريقة التي تتركب بها الكلمات الواحدة مع الأخرى في كل اللغات الإنسانية لتكون العبارات والجمل .

وفائدة الإزدواجية أنه يمكن أن تتركب عددا ضخما من الوحدات المختلفة من عدد صغير من العناصر ، فعدة آلاف من الكلمات - على سبيل المثال - تتركب من ثلاثين أو أربعين صوتا ، ولو أن هذه الوحدات الأساسية أتيج لها التركيب المنظم بطرق متنوعة فإن عدد الإشارات المتميزة التي يمكن أن تنقل - وبالتبعية عدد الرسائل المختلفة - سيتزايد بدرجة هائلة ، وكما سنرى فيما بعد ليس هناك حد لعدد الإشارات اللغوية المتميزة التي يمكن أن تتركب في لغات معينة .

٣ - التمايز^(١) ويقابل الاختلاف المتصل أو للتواصل ، والتمايز في حالة اللغة خاصة للعناصر الثانوية ، ولكي نوضح ذلك فإن الكلمتين : « bit »

(١) خاصة التمايز (discreteness) ويمكن بموجب هذه الخاصة تحليل عناصر الإشارة اللغوية كما لو كانت ذات حدود يمكن تمييزها دون أى تدرج أو تواصل بينها ، والمظام الذى يفقد التمايز يقال إنه نظام متواصل أو مفتقد للتمايز ويستخدم المصطلح بصفة خاصة في علم الأصوات والفونولوجيا ليشير إلى الأصوات التي لها حدود حادة نسبيا كما تحددها الوسائل السمعية والنطقية والفيزيائية فرغم أن الكلام تيار متواصل من الأصوات إلا أن متكلمي لغة ما يستطيعون تقسيم هذه الكتلة المتجانسة إلى عدد محدد من الوحدات المنفصلة التي تناظر عادة الوحدات الصوتية (الفونيمات) في اللغة ، وحدود هذه الوحدات قد تباينت السمات السمعية والنطقية التي يمكن تمييزها غير أنها غالبا تد لا تكون كذلك وتعرف الوحدات الجزأء أو المقسمة في حدها الأدنى في علم الأصوات بالفونيمات (Phonemes) .

و « beɪ » مختلفتان في الصيغة في كلتا اللغتين المنطوقة والمكتوبة ، ومن الممكن فعلاً أن يصدر صوت حركة بطريقة وسط بين الحركتين اللتين نذكران عادة في نطاق هاتين الكلمتين ، لكننا إذا استبدلنا هذا الصوت المتوسط بالحركة التي في bit أو beɪ في السياق نفسه فلن تكون النتيجة أننا سننطق كلمة ثالثة تتميز عن الكلمتين السابقتين أو تشاركهما خصائصهما ولأننا سننطق سلفاً بشيء ما لا يعد كلمة على الإطلاق أو يعد صورة نطقية خاطئة لإحدى الكلمتين ، فليميز صيغة معينة في اللغة — بصفة عامة — ليس للترجيح أو الموازنة وإنما العناصر جميعها سلباً أو إيجاباً .

وبناء عليه فإن التمايز لا يعتمد اعتماداً منطقياً على الاعتبارية ، فهو تنفصل معها لتزيد من مرونة النظم اللغوية وتعدد استعمالها فعلي سبيل المثال من الممكن من حيث المبدأ أن تكون كلمتان مختلفتان الحد الأدنى للاختلاف غير أنهما تمايزتان في الصيغة متشابهتين في المعنى إلى حد بعيد وهو ما لا يحدث بوجه عام ، فالكلمتان « beɪ » ، « bit » لا يزيد الشبه بينهما في المعنى عن أى زوج تختاره بشكل عشوائي من كلمات اللغة الإنجليزية ، وحقائق أن الكلمات التي تختلف الحد الأدنى من الاختلاف في الشكل تختلف عادة في المعنى إلى حد بعيد أكثر من اختلافها الحد الأدنى لما أثرها في تعضيد التمايز في الاختلاف الشكلي بينهما ففي معظم السياقات يكون ذكر إحداها أكثر احتمالاً إلى حد بعيد من ذكر غيرها وهو ما يقلل احتمالات عدم الفهم في الأحوال الرديئة من الإرسال الإشاري ، وفي نظم الاتصال الخاصة بالحيوان يرتبط عادة اللاتمايز (أى التنوع المستمر) بالاعتباطية .

٥ — الإنتاجية لنظام اتصالي ما خاصة تجعل تركيب الإشارات الجديدة وتفهمها ممكناً ، ونفى بالإشارات الجديدة تلك الإشارات التي لم تواجهها من

قبله والإشارات لا توجد في بعض القوائم - مهما كانت ضخامة هذه القوائم - بحيث يجد مستخدم اللغة منفذاً إليها ، ومعظم نظم الاتصال الخاصة بالحيوان تبدو محدودة للغاية من حيث عدد إشاراتها التي يمكن أن ترسل وأن تستقبل من قبل مستخدمها ، ومن الناحية الأخرى تمكن جميع النظم اللغوية مستخدمها من تركيب أقوال كثيرة بغير حدود - لم يسبق سماعها أو قراءتها من قبل - وفهمها .

وقد لفت خاصة الإنتاجية توكيداً في المؤلفات اللغوية الحديثة لاسيما تلك التي تُعزى لتشرمسي مع إشارة خاصة إلى قضية تفسير اكتساب الأطفال للغة وحقائق أن الأطفال يكون في مقدورهم - في مرحلة مبكرة إلى حد بعيد - إنتاج الأقوال التي لم يسمعوها من قبل دليل على أن اللغة لا تستكسب عن طريق الحاكاة والذاكرة وحدهما .

ويجب أن نؤكد عند مناقشة الاناجية أنه ليس هناك مثل القدرة على تركيب أقوال جديدة في أهميتها الحاسمة عند تقييم النظم اللغوية فعلى صييل المثال القول بأن نظم الاتصال الذي تستخدمه مملكة النحل للاستدلال على مصدر رحيق الزهور له خاصة الإنتاجية يكون مضللاً إلى حد بعيد إذا كنا نغنى بذلك أن النظام - من هذه الناحية - يشبه اللغات الانسانية ، فالنحل ينتج إشارات متنوعة كثيرة بلا حدود (تختلف من حيثذبذبة أجسامها ، ومن حيث درجة الزاوية التي تتخذها في مواجهة الشمس) ، غير أنه يوجد اختلاف مستمر في الإشارات ورابطة لا اعتبارية بين الإشارة والرسالة ، ولا يمكن أن يستخدم النحل هذا النظام ليحمل معلومات عن أى شئ سوى اتجاه مصدر الرحيق والمسافة التي تفصل بينهما .

ومما يلفت النظر حول الإنتاجية في اللغات الطبيعية أنها بقدر ما هي واضحة

في أبنيتها النحوية فهي غاية التعقيد والتنوع من حيث للبادئ التي تتضمنها وتشكلها ، غير أن هذا التنوع والتعقيد - كما ألح تشومسكي بما لم يفعله غيره - ليس على عواهنه أي أنه محكوم بقانون ، وفي إطار الحدود التي رسمتها قوانين النحو التي ربما كانت عالمية إلى حد ما ونوعية خاصة بلغات معينة إلى حد ما أيضاً يكون الفن - كالمين الأصليين الحرية في تركيب أقوال كثيرة بلا حدود بطريقة خلاقة - وهي الطريقة التي يراها تشومسكي طريقة إنسانية مميزة - وترتبط فكرة الخلق وفقاً لقوانين حكمة ارتباطاً وثيقاً بالإنتاجية وهي التي كانت لها أهمية عظمى في تطور التوليدية .

والخصائص الأربعة العامة التي سبق ذكرها ومناقشتها باختصار وهي :
الاهتباطية ، والازدواجية ، والتمايز ، والإنتاجية تترابط جميعها من طرق عديدة ، وهذه الخصائص ليست موجودة فحسب - بقدر ما نعلم - في اللغات كلها ولكنها موجودة فيها بدرجة عالية إلى حد بعيد ، وإذا ما وجدنا هذه الخصائص في أي نظام اتصالي خلاف اللغة موضع البحث فلن تبدو موجودة بنفس درجة وجودها أو متداخلة بنفس الطريقة كما هي في اللغة .

وعلى كل حال يستحق أيضاً أن نوضح أن تلك الخصائص الأربعة التي تسبق بشكل تام في القنات والأداة كليهما أقل تميزاً في الجانب غير المنطوق من الإشارات اللغوية ، وأن الأقوال ليست مجرد تنابعات من الكلمات فهناك ظاهرتان صوتيتان متميزتان إلى حد ما هما لون الكلمات المتتابعة (أي الأجزاء المنطوقة) في أي قول متكلم به وهما : موسيقى الكلام والمصاحبات اللغوية ، وتشمل النبرات الموسيقية في الكلام أشياء مثل النبر ، والتنظيم^(١) ،

(١) التنظيم : مصطلح يستخدم في دراسة الفونولوجيا التطورية أو الفونولوجيا فوق القطعية جريش إلى الاستخدام المميز للأنماط الخاصة بدرجة الصوت (pitch) -

وتشتمل للمصاحبات اللغوية على ظواهر مثل سرعة الأداء وارتفاع الصوت .. الخ ، ويرتبط كذلك بالقول للمتكلم به ظواهر غير منطوقة متنوعة (حركات العين ، وإيماءات الرأس ، وتعبيرات الوجه ، واللففات ، وحركات الجسم .. الخ) وتسهم بشكل إضافي في تحديد بنية القول أو معناه ويمكن أيضاً أن توصف بالمصاحبات اللغوية ، ولا يتعامل اللغوي - في العادة - إلا مع ظواهر موصيقي الكلام ضمن السمات المنطوقة كما يحددها النظام اللغوي في حد ذاته ، وعلى كل حال فإن الظواهر الخاصة بموسيقى الكلام ، وللمصاحبات اللغوية كليهما تعد جزءاً متمماً للسلوك اللغوي المعتاد عبر الوسيلة المنطوقة ، وبقدر ما تفتقد الأنواع المختلفة من الاتصال الحيواني الخصائص العامة الأربعة : الاعتبارية ، والازدواجية ، والتمايز ، والإنتاجية - أو على الأقل لا تظهر فيها بالدرجة التي تظهر بها في الجزء المنطوق من اللغة - فإن السمات الخاصة بموسيقى الكلام والمصاحبات اللغوية في السلوك اللغوي تشبه إلى حد بعيد السمات الخاصة بالأنواع المختلفة من الاتصال الحيواني .

إذن هل ينفرد الإنسان باللغة ؟ الإجابة على هذا السؤال يشبه الإجابة على السؤال : « هل الإنسان متفرد بين الحيوانات ؟ » فهي تعتمد إلى حد بعيد على الخصائص التي يقرر المرء أن يركز عليها وأن يجعلها حاسمة في تعريف اللغة ، ومن الجائز على حد سواء أن نركز على الاختلافات الواضحة من حيث النوع ومن حيث الدرجة بين اللغة واللغة أو على التماثلات الأقل وضوحاً ،

= أو اللحن (melody) ويقوم التنظيم بوظائف عديدة في اللغة وأهم وظيفة له أنه يقوم مقام الإشارة (Signal) في البنية النحوية حيث يقوم مقام علامات الترقيم في الكتابة ويكشف كذلك عن المواقف الشخصية للمتكلم مثل السخرية والغضب .. الخ .

وقد يميل اللغوي ، وعالم النفس ، والفيلسوف إل التأكيده على أوجه الاختلاف بينها يركز السيميولوجي ، وعالم الأحياء ، وعالم الأجناس على أوجه الشبه .

سما : تصور التجانس

إلى الآن كنا نتعامل مع ما سأشير إليه بتصور التجانس : وهو الاعتقاد أو الافتراض الذي يذهب إلى أن جميع أفراد الجماعة اللغوية الواحدة يتكلمون لغة واحدة على نحو دقيق ، ومن الممكن بطبيعة الحال أن نعرف مصطلح جماعة لغوية بالطريقة التي تسلك في التعريف فهي تلك التي لا يوجد اختلافات منظومة في النطق أو النحو أو المعجم في كلام أفرادها ، لكن إذا ما فسرنا هذا المصطلح بالرجوع إلى أية مجموعة من الناس يقال عنها عادة أنها تتكلم بلغة واحدة ، وذلك مثل اللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية أو اللغة الروسية فسيكون إذن بمثابة كشف تجريبي عما إذا كان كل أفراد جماعة لغوية معينة يتكلمون بالطريقة نفسها من جميع النواحي أم لا .

ويوجد في كل الجماعات اللغوية الصغرى في أنحاء العالم اختلافات واضحة إلى حد ما في اللهجة^(١) واللهجة^(٢) ، وفيما يتصل بمصطلحي اللهجة واللهجة فإن

(١) المؤثرات السمعية المتراكمة لسهات طريقة نطق الفرد التي تميزه من الناحيتين الإقليمية والاجتماعية وتؤكد المؤلفات في علم اللغة على أن هذا المصطلح لا يعبر إلا إلى طريقة النطق ومن ثم يتميز عن مصطلح « اللهجة » (dialect) التي تشير إلى للقواعد والمفردات أيضا .

(٢) تنوع يميز من الناحية الاجتماعية أو الإقليمية في لغة ما ويظهر هذا التنوع من خلال مجموعة معينة من الكلمات والأبنية النحوية وترتيب الالفاظ المنطوقة عادة بنطاق يميز أو لكنه مميزة ، وتبدو أي لغة ذات لهجات متنوعة خاصة إذا ما كان يتكلم بها عدد كبير من الناس وكانت هناك حدود جغرافية تفصل بين جماعات منهم أو كانت هناك تقسيمات في النظام الاجتماعي الطبقي ، وقد نهتم طجة من اللهجات باعتبارها شكلا قبايسيا أو رسميا لهذه اللغة .

المصطلح الأول أكثر تحديداً من المصطلح الثانى فهو لا يشير إلا إلى الطريقة التى تطلق بها اللغة ولا يحمل أى تضمين - أى شكل من الأشكال - يتعلق بالمفردات أو النحو ، فعلى سبيل المثال من الممكن ومن غير الشائع على الإطلاق تمييز الأجنبى مباشرة بواسطة لهجته ولو كان يتكلم اللغة - بقدر العناية بالنحو والمعجم - بحيث لا يمكن تمييزه عن متكلمى اللغة الأصليين ، وهو ممكن لتكلمين أصليين يستخدمان لهجة واحدة بالنظر إلى جوانبها الأخرى غير أنهما يتكلمانها بلسنة مختلفة إختلافاً واضحاً ، وهو أمر شائع بصفة خاصة إذا كانت اللهجة موضع البحث قد اكتسبت - لأسباب تاريخية - مكانة اللغة المشتركة على المستوى الإقليمى أو القومى ، فعلى سبيل المثال معظم المتكلمين من سكان إنجلترا الأصليين مولداً يتكلمون لهجة إنجليزية تقترب بشكل وثيق إلى حد ما من نوع معين من اللغة الإنجليزية المشتركة لكنهم يتكلمونها بلسنة تكشف عن أصولهم الجغرافية أو الاجتماعية ، ويوجد مميز مرصوم - على الأقل فى الاستخدام الدارج - بين اللسنة واللهجة ورغم ذلك يدرج كثير من اللغويين الاختلافات الخاصة باللسنة ضمن الاختلافات الخاصة باللهجة ، وليس لهذه النقطة الاصطلاحية البحتة - فى حد ذاتها - أية نتائج ، لكن من الأهمية أن ندرك أن ما بعد من الجوانب الأخرى لهجة واحدة يمكن أن تنطق بطرق مختلفة إختلافاً واضحاً ، ولا يقل أهمية أن ندرك أنه حيث لا يوجد قبول واشتراك فى اللغة على المستوى الإقليمى أو القومى مؤسس لمدة طويلة فإن الاختلافات فى اللهجة التى تتجاوز النطق إلى النحو والمفردات تنبجى إلى أن تكون أكثر وضوحاً عما هى عليه لدى معظم الجماعة اللغوية التى تتكلم الإنجليزية هذه الأيام .

ورغم أن اللغوى يستخدم مصطلح لهجة ويربط هذا المصطلح - مثل غيره للنخص - بمصطلح اللغة بقوله إن اللغة من اللغات قد تتركب من لهجات عديدة مختلفة فهو لا يقبل التضمينات التى ترتبط بشكل شائع بمصطلح لهجة

في الاستخدام الدارج، والأهم أنه لا يقبل أن تكون لهجة منطقة معينة أو طبقة إجتماعية معينة صورة منحطة أو متدهورة من اللهجة المشتركة فهو يعرف أن اللهجة المشتركة - من وجهة النظر التاريخية - التي قد يفضل غير المتخصص أن تنطبق على مصطلح « اللغة » أكثر من مصطلح « لهجة » لا تختلف - من حيث الأصل لا من حيث تطورها التالي - من حيث النوع عن اللهجات غير المشتركة، ويعرف أيضا أن اللهجات ما دامت تستخدم في مجال أوسع إلى حد ما من الوظائف في الحياة اليومية للمقاطعة أو الطبقة الاجتماعية التي تعمل فيها فهي لا تقل تنظيما عن اللغة المشتركة على المستوى الإقليمي أو القومي، وهذه النقاط قد أثرناها من قبل وسوف نعود إليها لتعويرها، ولضرب الأمثلة عليها، ولإدخال توصيفات محددة عليها عند الاقتضاء في الفصول الأخيرة من هذا الكتاب، واللغة المشتركة على المستوى الإنليسي أو القومي - من وجهة نظر ثقافية واجتماعية معاصرة - تعد بحق مختلفة إلى حد بعيد في الخصائص عن اللهجات غير المشتركة المرتبطة بها ارتباطا تاريخيا .

ومن المعتاد كثيرا في الاستخدام اليومي للمصطلحين : لهجة ولغة أن يقوم التمييز بينهما إلى حد بعيد على اعتبارات ثقافية أو سياسية، فعلى سبيل المثال المندارينية (Mandarin) والكانتونينية (Cantonese) تسمى لهجات صينية (Chinese) لكنهما متميزتان الواحدة عن الأخرى أكثر من تميز اللغة الدانماركية (Danish) عن اللغة النرويجية (Norwegian) ، وحتى أكثر من تميز اللغات الهولندية (Dutch) والفلمنكية (Flemish) والأفريكانز (Afrikaans) الواحدة عن الأخرى التي توصف وصفا متكررا بأنها لغات مختلفة ، وقد يكون هناك تفكير في أن معيار الفهم المتبادل يكفي لرسم خط سياسي وثقافي محايد لفصل بين اللغات ، وهو في الحقيقة المعيار الرئيسي الذي يطبقه اللغوي المتمرس عند إقامة حدود جاهزة لغوية ما، لكنه

هناك مشكلات ، فكثيراً ما يكون الاختلاف اللهجي اختلافاً تدريجياً ومتواصلاً إلى حد ما عبر مساحة شاسعة من الأرض فلا يتمكن المتكلمون الذين ينتمون إلى منطقتين منفصلتين إلى حد بعيد من أن يفهم أحدهما الآخر ، لسكن ربما لم يكن هناك نقطة بين لهجتين متجاورتين ينهار عندها الفهم المتبادل حينئذ يوجد ما هو أكثر من ذلك مشكلة أكثر إزعاجاً إذ إن الفهم ليس متماثلاداً كما أنها ليست حالة من كل شيء أو لا شيء ، ومن الممكن بل من الشائع فعلاً إلى حد بعيد أن يكون X فاهماً معظم ما يقوله Y غير أن Y يفهم قليلاً مما يقوله X أو لا يفهم شيئاً مما يقوله وذلك عندما يتكلمان معا ويستخدم كل منهما لهجته الخاصة ، وهكذا فإن رسم حدود حاسمة بين اللغات المتميزة وبين اللهجات المختلفة الخاصة بلغة واحدة صعب عادة إلى حد بعيد لأسباب متنوعة .

وفي الحقيقة فإنه من المعتاد كثيراً ألا يوجد مميز حاسم يمكن وضعه بين لهجة منطقة ولهجة منطقة أخرى تكون مجاورة لها غالباً ، ومع ذلك فمحدد النطاق السكاني للهجة بشكل تقريبي بواسطة المعيار الاجتماعي بالإضافة إلى المعيار الجغرافي ، وإذا ما بحثنا القضية فسوف نجد دائماً قدرًا معيناً من التنوع المنظوم في كلام أولئك الذين ندرسهم ناطقين بلهجة واحدة ، والملاذ الأخير أن نقبل أن لكل فرد لهجته الفردية^(١) أي لهجته الشخصية كما يصوغها اللغويون وكل لهجة شخصية تختلف عن اللهجات الشخصية الأخرى بشكل مؤكد في المفردات والنمط وربما بدرجة طفيفة في النحو أيضاً ، وأكثر من ذلك فإن اللهجة الشخصية للفرد لا تثبت مرة واحدة وللجميع عند نهاية ما نعتبره مرحلة اكتساب اللغة أي أنها عرضة للتغيير والانساع على مر حياته .

ولإضافة إلى ما يمكن تفصيله بخصوص مجال (اللغة - اللهجة - اللهجة

(١) اللهجة الفردية (idiolect) مصطلح يستخدم في علم اللغة الإشارة إلى النظام اللغوي لدى متكلم فرد .

الفردية) هناك بعد آخر للتنوع المنظوم في أقوال أفراد جماعة لغوية ما ؛ وهو البعد الخاص بالأسلوب ، والاختلافات الأسلوبية كانت تشير من قبل إلى ما يتعلق بالميز بين الأدبي والعامى ، ويستمد هذا الفاصل من المميز بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ويتطابق معه على الإطلاق ، لكن هناك مما يتصل بالاختلافات الأسلوبية ماهو أكثر من ذلك ، فكلمنا تكلمنا بلفتنا الأم أو كتبنا بها نهمج أسلوبا دون آخر تبعاً للسياق وتبعاً للعلاقات التي تربط بيننا وبين الشخص الذى نتحدث معه أو نكتب إليه وتبعاً لطبيعة ما يتحتم علينا إيصاله والفرص منه ، وتبعاً لعوامل أخرى عديدة ، وسواء أكانت الخيارات الأسلوبية التي نمارسها واعية أم غير واعية فإنها ليست أقل تنظيماً أو تحديداً ، وممارسة الاختيارات الأسلوبية المناسبة جزء هام من استخدامنا الصحيح والفعال للغة ، ومن هنا كان في التعدد الأسلوبى لكل متكلم أصلى للغة ما حكمة عملية ، ومادام الأمر كذلك فمن الممكن - من حيث المبدأ - أن نعد كل لهجة فردية نظاماً لغوياً منفصلاً كما أن من الممكن - وهو ما لا يقل وجاهة - أن نعد كل أسلوب مميز نظاماً لغوياً مميزاً .

سابعاً : لا توجد لغات بدائية

ما زال شائعاً إلى حد ما أن نسمع غير المتخصصين يتكلمون عن لغات بدائية وهم يرددون حتى الأسطورة التي يحيط الشك بها من أن هناك بعض الشعوب تكون لفهم من مزاجية مائة كلمة مأخوذة من الإيماءات ، والطفقة أن كل لغة درست حتى الآن - مهما كان المجتمع الذى يستخدمها يبدو لنا بدائياً أو غير متحضر في جوانب أخرى - برهنت عند البحث أنها انظام اتصالي نفعي ومتطور بدرجة عالية ، وبطبيعة الحال فإن الفكرة الإجمالية الخاصة بالتطور الثقافى من البربرية إلى المدنية في حد ذاتها موضع شك كبير غير أنه لا ينافى بالقوى مسألة الحكم على صحتها ، وما يمكن أن يقال إنه لم يُكتشف بعد

عن ارتباط بين المراحل المختلفة للتطور الثقافى التى مرت بها المجتمعات وبين نمط اللغة المنطوقة فى تلك المراحل الخاصة بالتطور الثقافى ، فهى سبيل المثال ليس هناك شيء مثل نمط لغوى للمصر الحجرى ، وليس هناك - بقدر ما نلقى البنية النحوية العامة من اهتمام - نمط لغوى يحمل خصائص المجتمعات الجامعة للغذاء أو المجتمعات الرعوية من ناحية أو المجتمعات الصناعية الحديثة من الناحية الأخرى .

وكان من القرن التاسع قدر كبير من التفكير فى تطور اللغات من التقعيد البنىوى إلى البساطة ومن البساطة إلى التقعيد ، ومعظم القويين فى هذه الأيام يجمعون عن التفكير فى التطور المشوئى للغات بهذا الشكل العام ، ويدركون أنه إذا كان هناك أي اتجاه فى تطور اللغة منذ نشأتها عند الإنسان من مرحلة ما قبل تاريخ الإنسان إلى وقتنا الحاضر فإنه ليس هناك شاهد يمكن أن يكشف عن أي اتجاه من خلال دراسة اللغات المنكلم بها فى الوقت الحاضر أو المتكلم بها فى الماضى ونعرف عنها شيئاً ما ، وكثير من التصورات المبكرة للعلماء عن تطور اللغات تنحاز لصالح ما يمكن أن نطلق عليه اسم اللغات التصريفية مثل اللاتينية والإغريقية .

ويجب أن يقال شيء ما فى هذه النقطة عن نشأة اللغة ، وهى مشكلة شغلت عقل الإنسان وخياله منذ عهد صحيحة ، وقد ناقشها بشكل شامل مناقشة علمانية مميزة عن الدين أو ما وراء الطبيعة فلاسفة الإغريق ، ونوقشت فى فترات متنوعة منذ ذلك الحين لاسيما فى القرن الثامن عشر من وجهة نظرممالة إجمالاً ، وقد لعبت المناقشات الأولى دوراً هاماً فى تطور النحوى التقليدى ، وقد ساعدت المناقشات التى دارت فى أواخر القرن الثامن عشر والتى نمشزى لفيلسوف الفرنسى كونديللاك (Condillac) والفيلسوف الألماني هردير (Herder) على تهيئة الطريق نحو فهم أفضل للاهتمام المتبادل بين اللغة

والفكر والثقافة ، ومنذ القرن التاسع عشر أجمعه معظم اللغويين - باستثناء
قلة قليلة إلى حد بعيد - إلى تنحية قضية نشأة اللغة بأكملها باعتبارها قضية
خارج مجال البحث العلمى دائماً ، والسبب فى ذلك كما رأينا أن اللغويين
أدركوا عبر القرن التاسع عشر أنه مهما رجعوا إلى الوراء فى تاريخ اللغات
المعينة من خلال النصوص التى وصلت إلينا فإنه من المستحيل أن نعثر فيها
على أية علامة من علامات التطور النشئى من وضع أكثر بدائية إلى وضع
أكثر تقدماً .

غير أن هناك شواهد أخرى بعضها جديد ، ومرة أخرى أصبحت نشأة
اللغة موضع مناقشة العلماء ، وربما كان من السابق لأوانه أن نتحدث عن
حلول ، ومع ذلك فما يمكن أن نقوله أنه يبدو الآن أكثر إقناعاً مما كان عليه
منذ سنوات قليلة أن اللغة كانت فى الأصل نظاماً اتصالياً إيمائياً أكثر منه
نظاماً اتصالياً منطوقاً ، وبعض هذه الشواهد النجاح الذى لاقاه علماء النفس
فى تعليمهم الشمبانزى لغة معقدة إلى حد بعيد فهما واستخدما ، وهى بهذا
الخصوص نظم إيمائية شبيهة باللغة ، ويبدو الآن أن فشل الشمبانزى فى
اكتساب الكلام فى تجارب مماثلة فى الماضى يفسره جزئياً على الأقل اختلافات
بسيطة نسبياً لكنها هامة فى جهاز النطق عند الإنسان وجهاز النطق عند
الشمبانزى ، واتضح أيضاً من خلال دراسة الحفريات أن جهاز النطق عند
الإنسان النياندرتالى^(١) يشبه إلى حد كبير جهاز النطق عند الشمبانزى وغيرها
من الحيوانات الراقية أكثر مما يشبه جهاز النطق عندنا ، ولدى الشمبانزى
وغورها من الحيوانات الراقية مجال محدود من النداءات المنطوقة غير أن

(١) نعمة إلى وادى النياندرتال قرب درسيلدورف بألمانيا حيث وجدت
بقايا هيكل عظمى لإنسان قديم .

الاتصال فيما بينها يتم في بيئاتها الطبيعية بصورة شاملة إلى حد بعيد عن طريق الإيماءات ، وما يترضه هذا الشاهد وغيره أن اللغة قد تكون تطورت في البداية كنظام إيمائي في وقت ما عندما كان أسلاف الإنسان يقفون على أقدامهم ومن ثم كالوا أحرار اليدين وقد زاد حجم المخ واكتسب الإمكانات الخاصة بمعالجة الوظائف المعقدة في نصف المخ المهيمن ، وفي بعض النقاط والأسباب بيولوجية مقبولة تحول النظام الإيمائي إلى نظام نطق واكتسب نتيجة لذلك خاصية الازدواجية التي تسمح كما رأينا من قبل بزيادة كبيرة إلى حد بعيد في المفردات ، ويترب على ذلك ألا تكون جميع الخصائص المميزة للغات كما عرفناها موجودة فيها منذ البداية ، وأن تكون اللغة قد تطورت في الحقيقة من اللالغة .

ومع ذلك تظل الحقيقة فليست فقط أن كل اللغات المعروفة توجه فيها القناة المسموعة المتداولة التي تستخدم بشكل أساسي وطبيعي للتوصليل بل إنها جميعها كذلك ذات تعقيد متساو تقريبا بقدر ما تلقى أبنيتها النحوية من اهتمام .

والاستثناء الوحيد الواجب من ذلك التعميم الأخير يتعلق باللغات الهجينة وهي لغات خاصة تستخدم في التجارة أو في أغراض شبيهة بين أولئك الذين ليس لهم لغة مشتركة أخرى ، وتميز اللغة الهجينة بأنها ذات قواعد بسيطة ومفردات محدودة للغاية إذا ما قورنت باللغة أو اللغات التي تقوم عليها ، غير أنها تستخدم في أغراض محدودة للغاية ، وعندما تستخدم ، ما عدا في الأصل لغة هجينة كـ لغة أم لجماعة لغوية — وهو ما يحدث عادة — فلا تزود نفسها بمفردات أكثر اتساعا فحسب بل تطوّر التعقيد النحوي الخاص بها كذلك ومن هذه الناحية أكثر مما يكون من ناحية نشأتها يميز اللغويين اللغات الهجينة.

كما يعرف باللغات المولدة^(١) وهى لغات يمكن أن تنشأ به إلى حد بعيد مع اللغات الطبيعية لكنها ليست أقرب إلى اللغات البدائية — أى من حيث البنية المادية — من أى لغة من آلاف اللغات الطبيعية التى لم تنشأ — كما نعرف — مثلها نشأت اللغات الهجينة (أنظر : ٩ — ٣)

وهناك بسببية الحلال الاختلافات والندحة في المفردات الخاصة باللغات المختلفة ، وهو ما قد يجعل من الضروري تعلم لغة أخرى أو على الأقل مفردات خاصة لتدرس موضوعاً معيناً أو لتتسكلم عنه بطريقة مرضية وبهذا المعنى قد تكون لغة مهياة بشكل أفضل من لغة أخرى لأغراض معينة ، ومع ذلك فإنه لا يعنى أنها أغنى أو أفقر — بشكل جوهري — من الأخرى ، فاللغات الحية كلها يمكن أن نفترض أنها نظم اتصالية طبيعية وفعالة ، ووفقاً لتغير الحاجات الانصالية لمجتمع ما تغير لغته وفعالاً لذلك الاحتياجات الجديدة ، فالمفردات تتسع إما عن طريق الكلمات المنتزعة من اللغات الأخرى أو عن طريق خلقتها من صيغ أخرى ، وحقائق أن لغات كثيرة تنطق بها ما نعرف أحياناً بالبلدان الدامية ينقصها كلمات خاصة بالتصورات والمنتجات المادية للعلم الحديث والتكنولوجيا لا تتضمن أن اللغات موضع البحث أكثر بدائية من اللغات التى فيها مثل هذه الكلمات فلا يعنى ذلك سوى أن تلك اللغات المعينة لم تُستخدَم حتى الآن لمثل ذلك الذى يشمل تطور العلم والتكنولوجيا .

(١) اللغة المولدة (creole Language) مصطلح يستخدم في علم الاجتماع اللغوى لإشير إلى اللغة الهجينة التى تصبح لغة أم (mother-tongue) بلغة لغوية كما نرى في جامايكا (Jamaica) ، وهايتى (Haiti) ، والدومينيكا (Dominica) وأجزاء مستعمرة سابقة عديدة أخرى من العالم ، وعمالية تولد اللغات توسع الإطار الأسلوبى والبنيوى للغات الهجينة ونجعلها لغة مولدة يمكن استخدامها باللغات الأخرى من حيث التمتع بالشكل والوظيفة ،

ويجب أن نؤكد في النهاية أن مبدأ «عدم وجود لغات بدائية» كفرضية
هل ليس سوى نتيجة تجريبية للبحث اللغوي ، ويجب أن نسمح بإمكانية
اختلاف اللغات في التعقيد اللغوي ، ولم يكتشف اللغويون حتى الآن هذه
الاختلافات ، وليس من العلمية أن ننكر وجود هذه الإمكانية أو بعبارة
أخرى أن ننكر أن اللغة اللاتينية أكثر نبلاً أو أفضل تعبيراً من لغة
الهوتنتوت^(١) (Hotientot) أو من إحدى اللغات الأسترالية الخاصة
بالسكان الأصليين .

الفصل الثاني

علم اللغة

أولاً : فروع علم اللغة

يمكن — كما رأينا — أن تدرس كل من اللغة عموماً ، واللغات المعينة من وجهات نظر مختلفة ، ومن ثم يمكن أن ينقسم مجال علم اللغة ككل إلى مجالات فرعية تبعاً لوجهة النظر المتبناة ، وتبعاً للتوكيد الخاص الذي يُؤكَلَى لمجموعة من الظواهر أو الافتراضات أكثر من غيرها^(١) .

والمميز الأول يُرسم بين علم لغة العام ، وعلم اللغة الوصفي ، وهو في حد ذاته واضح المعالم إلى حد كافٍ ، وينظر ما يميز بين دراسة اللغة بشكل عام ووصف لغات معينة ، والسؤال : « ما اللغة » الوارد في الفصل السابق والذي ذهبنا إلى أنه السؤال الرئيسي المحدد للمفرد بأكمله يعد بشكل مناسب إلى حد بعيد السؤال الرئيسي لعلم اللغة العام ، ولا يرتبط علم اللغة العام ، وعلم

(١) فعلم اللغة العام يُعنى بتأسيس مبادئ عامة لدراسة كل اللغات وتحديد خصائص اللغة الإنسانية أما علم اللغة الوصفي فيعنى بتأسيس الحقائق الخاصة بنظام لغوي معين ، وعلم اللغة التقابلي يعنى بالتركيز على الاختلافات الموجودة بين اللغات وبصفة خاصة في سياق تعليم اللغة ، ويعنى علم اللغة المقارن بتحديد الخصائص المشتركة بين مختلف اللغات أو بين الأسر اللغوية ويشير مصطلح علم اللغة البنيوي إلى التحليل اللغوي الذي يسعى إلى تأسيس نظام واضحة للعلاقات بين الوحدات اللغوية في البنية السطحية ويعنى علم اللغة التصنفي بتصنيف الابنية والوحدات .

اللغة الوصفى أحدهما بالآخر على الإطلاق ، وكلاهما يعتمد بشكل صريح أو ضمني على الآخر ، فعلم اللغة العام يقدم التصورات والتصنيفات التي تهمل اللغات المعينة على أساسها ، وعلم اللغة الوصفى يقدم بدوره المعلومات التي تؤكد الفرضيات والنظريات المطروحة أمام علم اللغة العام أو تفندها ، فعلى سبيل المثال يمكن أن يصوغ اللغوى العام الفرضية التي تذهب إلى أن كل اللغات فيها أسماء وأفعال ، واللغوى الوصفى يمكن أن يفند هذه الفرضية بدليل تجريبي على وجود لغة واحدة على الأقل لا يمكن عند رصفها تأسيس فارق مميز بين الأفعال والأسماء لكنه كي يفند هذه الفرضية أو يؤكدها يجب عليه أن يتعامل مع بعض التصورات الخاصة بالاسم والفعل التي يمد بها اللغوى العام .

وتوجد بطبيعة الحال كل أنواع الأسباب وراء الرغبة في وصف لغة معينة ، وكثير من أولئك الذين يعملون في علم اللغة الوصفى لا يعملون فيه بسبب اهتمامهم بتقديم معلومات لعلم اللغة العام أو باختبار النظريات والفرضيات المتضاربة ولكن بسبب رغبتهم في إخراج مرجع نحوى أو معجم لأغراض عملية غير أن هذا لا يؤثر في الاعتماد المتبادل للفرعين للتكاملين : علم اللغة العام ، وعلم اللغة الوصفى .

ولقد عنى اللغويون كثيراً خلال القرن التاسع عشر ببحث تفاصيل التطور اللغوى للغات معينة ، وبصياغة فرضيات عامة عن التغير اللغوى ، والفرع العلمى الذى يولى أول هذه القضايا يعرف الآن - وبشكل مألوف إلى حد بعيد - بعلم اللغة التاريخى ^(١) ، ومن الواضح أنه في علم اللغة التاريخى كما في

(١) علم اللغة التاريخى (historical Linguistics) فرع من فروع علم اللغة يدرس تطور اللغوية واللغات عبر الزمن ويعرف كذلك بـ (diachronic Linguistics) وتتطابق مادته دراسته مع مادة دراسة الفيلولوجيا المقارنة أي النسخة والخطوط والنقوش الممتدة من أقدم ما وصل إلينا =

علم اللغة التزامنى يمكن للمرء أن يصب اهتمامه على اللغة صوما أو على اللغات المعينة ، ومن المناسب أن نذكر هنا مصطلحين فنيين إضافيين : تاريخى (diachronic) وتزامنى (synchronic) ، وقد استخدمهما لأول مرة فريدناند دي موسير (صاحب المميز الذى أشرنا إليه فى الفصل السابق بين الكلام واللغة) ، والوصف التاريخى لغة من اللغات ينتجع التطور التاريخى لهذه اللغة ويسجل التغيرات التى تحدث فيها بين نقطتين زمنيتين متتاليتين أى أن المصطلح (diachronic) يكافئ المصطلح (historical) ، والمصطلح (synchronic) يكافئ المصطلح (non-historical) ، والوصف التزامنى لغة ما يقدم بياناً عن اللغة كما تكون فى نقطة زمنية معينة .

والثنائية الثالثة هى التى تربط بين علم اللغة النظرى وعلم اللغة التطبيقي^(١) ، وباختصار يدرس علم اللغة النظرى اللغة واللغات بقصد بناء نظرية لبنيتها ووظائفها بغض النظر عن أية تطبيقات عملية قد تكون للبحث فى اللغة واللغات ، بينما لعلم اللغة التطبيقي - حسب ما يعنى به - تطبيق تصورات علم

= من الملمة غير أن المناهج والأهداف تختلف فيهما فعلم اللغة التاريخى يستخدم مناهج المدارس المختلفة فى علم اللغة الوصفى (وتشمل علم الاجتماع اللغوى ، وعلم النفس اللغوى فيما يتعلق بصفة خاصة بأسباب التغير اللغوى) ومن ثم يواجه المرء بمجالات فرعية مثل النحو التاريخى ، والفونولوجيا التاريخية والمورفولوجيا التاريخية ويهدف إلى ربط نتائج البحث بالنظرية اللغوية العامة .

(١) علم اللغة التطبيقي (applied Linguistics) فرع من علم اللغة يعنى أساساً بتطبيق النظريات والمناهج والاستنتاجات اللغوية فى تفسير المشكلات اللغوية التى تنشأ فى نطاقات أخرى من الأنشطة وأكثر فروعها تطوراً هو تعليم اللغات الأجنبية وتدريبها ولا يمد تعليم اللغات الأجنبية وتدريبها المجال الوحيد الذى يشتمل عليه علم اللغة التطبيقي فهناك تعليم اللغة الأم وتنمية قدراتها فى الأساس والترجمة وتخطيط السواسة اللغوية الحكومية .

اللغة ونتائجها على مهام عملية متنوعة تشمل تعليم اللغة ، والميز بين النظرى والتطبيقي مستقل من حيث المبدأ - عن المميزين الآخرين الذين ذكرناهما حتى الآن ، ويوجد - عند التطبيق - اختلاف ضئيل بين مصطلحي « علم اللغة النظرى » و « علم اللغة العام » - سلم به معظم أولئك الذين يستخدمون مصطلح « علم اللغة النظرى » فهدف علم اللغة النظرى صياغة نظرية مرضية لبنية اللغة عموماً ، وبقدر ما يلقى علم اللغة التطبيقي من اهتمام يكون من الواضح أنه يعتمد على كلا الفرعين الدارسين اللغويين العام والوصفي .

والثناوية الرابعة والأخيرة تتعلق بوجهة نظر أضيق ، ووجهة نظر أشمل في مجال الدراسة اللغوية ، وليس هناك مميز اصطلاحي مقبول بصفة عامة ، وسوف نستخدم المصطلحين ^(١) « علم اللغة البحث » (microlinguistics) و « علم اللغة الموسع » ^(٢) (macrolinguistics) على أن نقول إن المرء يتبنى في علم اللغة البحث وجهة النظر الأضيق وفي علم اللغة الموسع يتبنى وجهة النظر

(١) وردت ترجمة هذين المصطلحين في ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، وطبع نخبه من اللغويين العرب - كالاتى macrolinguistics = دراسة أنواع اللغة الإنسانية ، microlinguistics = علم اللغة البنيوي وأرى أن هذه الترجمة أوفق لأن ترجمه المصطلح الأول في المعجم المذكور غير مناسب - عل الأقل - في هذا السياق ، أما المصطلح الثانى فإن ترجمته تناسب مع ترجمة المصطلح : structural Linguistics ، وقد ترجمه المعجم المذكور بعلم اللغة البنيوي أيضاً ، ويصند الترجمة الواردة في الفص مذكره جون ليونز في فقرة ألية من أن بعض المؤلفين يدرجون ما يسمى هنا بعلم اللغة الموسع ضمن علم اللغة التطبيقي .

(٢) علم اللغة الموسع (macrolinguistic) مصطلح استخدمه بعض اللغويين - وبصفة خاصة في العقد السادس من القرن العشرين لتحديد التصوري الأشمل للتفسير اللغوي .

الأهل^(٢) ، ويعنى علم اللغة البحث فى حالته الأكثر ضيقا ببنية للنظم اللغوية فحسب بما لا يتعلق بالطريقة التى تكتسب بها اللغة ، أو يحتفظ بها فى المخ ، أو تستخدم فى وظائفها المتنوعة ، وما لا يتعلق بالاعتماد المتبادل بين اللغة والثقافة ، وما لا يتعلق بالميكانيكية الفسيولوجية والسيكولوجية التى يشتمل عليها السلوك اللغوى باختصار بما لا يتعلق بأى شىء خلاف النظام اللغوى لذاته وفى حد ذاته (كما عبر سوسير أو بالأحرى محررو كتابه) ، ويعنى علم اللغة الموسع فى حالته الأكثر شمولاً بكل شىء يتعلق بأى شكل من الأشكال - على الإطلاق - باللغة أو اللغات .

ولما كانت كثير من فروع المعرفة - خلاف علم اللغة - تعنى باللغة فلم تكون مستغربة تلك المناطق المتداخلة بين فروع المعرفة العديدة التى تقع فى إطار علم اللغة الموسع والتى تأخذ أسماء مميزة مثل : علم الاجتماع اللغوى ، وعلم النفس اللغوى ، وعلم الأجناس اللغوى ، وعلم الأسلوب ... إلخ .

وما ينبغى أن نؤكد عليه أن المميز بين علم اللغة والبحث ، وعلم اللغة الموسع مستقل عن المميز بين علم اللغة النظرى وعلم اللغة التطبيقى ، وهناك - من حيث المبدأ - جانب نظرى فى كل فرع من فروع علم اللغة الموسع ، ويحدث كذلك فى مجالات علم اللغة التطبيقى مثل تعليم اللغة أن يكون من

(١) أدت الاهتمامات المتداخلة لعلم اللغة والفروع العلمية الأخرى إلى نشأة فروع جديدة مثل علم اللغة الانثروبولوجى (anthropological linguistics) وعلم اللغة البيولوجى (biolinguistics) وعلم اللغة الآلى (computational Linguistics) ، وعلم اللغة الإثنولوجى (ethnolinguistics) وعلم اللغة الرياضى (mathematical Linguistics) وعلم اللغة العصبي (neurolinguistics) وعلم اللغة النفسى (psycholinguistics) وعلم اللغة الاجتماعى (sociolinguistics) .

الضرورى الأخذ بوجهة النظر الأشمل أكثر من وجهة النظر الضيقة الخاصة^٢ بينية اللغات ووظائفها ، وهو ما يفسر إدماج بعض المؤلفين ما يسمى هنا بعلم اللغة الموسع في إطار علم اللغة التلبيقي .

وسوف نلقى نظرة على بعض مجالات علم اللغة الموسع في الفصول الأخيرة وقد يعتقد أن علم اللغة - من جهة الأهمية المعترف بها للغة في كثير من فروع المعرفة - ينبغي أن يأخذ الرؤية الممكنة الأكثر شمولاً الخاصة بمادة بحثها ، وهناك مفهوم يكون ذلك فيه صحيحاً ، والمشكلة أنه لا يوجد الآن ، وربما لم يوجد من قبل إطار نظري مرض يمكن أن نرى من خلاله اللغة - في وقت واحد - بوجهة النظر النفسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والجمالية ، والعصبية (ولا نذكر وجهات نظر أخرى عديدة وثيقة الصلة على حد سواء) وأكثر اللغويين يذهبون هذه الأيام إلى أن علم اللغة البحث النظري الترامنى يشكل لب تخصصهم العلمى ويعطيه مهما كان الوحدة والتماسك ، ونصف هذا الكتاب تقريباً سيكون لهذا اللب الرئيسى ، وبقية سيقسم بعلم اللغة الترمينى وبمجالات منتقاة من علم اللغة الموسع .

ثانياً : شل (علم اللغة) سيلم ؟

يعرف علم اللغة^(١) عادة بأنه العلم الذى يختص بمجال اللغة وأنه الدراسة العلمية للغة ، ويجب ألا يمر دون تعليقات الواقع العلمى الخاص بوجود قسم فى هذا الكتاب ، وفى الدراسات التمهيدية الأخرى لعلم اللغة ، يختص بشكل واضح لمباشرة الوصف العلمى لعلم اللغة ، ورغم كل شيء فإن فروع المعرفة

(١) وقد استعمل فى الأدب - الأخيرة مصطلح " علم اللغة " (Linguistic sciences) شمل كلا من علم اللغة (Linguistics) وعلم الأصوات (phonetics) - أى أن مصطلح " علم اللغة " لا يزال مفصلاً .
(م - ٤ - اللغة)

ذات المسكينة العلمية غير المتنازع عليها لاتشعر بالحاجة إلى تحقيق دعواها
بكونها علوماً ، لماذا يعنى علم اللغة بالدفاع عن أحقية هذا اللقب ؟ ، ولماذا
وهو بصدد الدفاع عن مصداقية علميته يعطى انطباقها عن إصرار زائد إلى
حد بعيد ؟ للتارىء الحق كل الحق فى أن يكون شاكا ومرتابا .

والنقطة الأولى التى يجب الإشارة إليها أن كلمة (science)^(١) فى اللغة
الإنجليزية أضيق بكثير - من حيث مائشير إليه - من كثير من الكلمات
للترجمة المسكينة لها والمقبولة تغليديا فى اللغات الأخرى مثل (wissenschaft)
الألمانية ، و (nauka) الروسية ، وحتى (science) الفرنسية ، ويعانى علم
اللغة أكثر مما تعانيه معظم فروع المعرفة من للتضمنات الخاصة إلى حد
بعيد للكلمتين الإنجليزيتين (science) ، و (scientific) اللتين
تشيران أولا وقبل كل شىء إلى العلوم الطبيعية ومناهج البحث المميزة لها ،
ويظل هذا صحيحا على الرغم من أن عبارات مثل : « العلوم الاجتماعية » ،
« العلوم السلوكية » ، وحتى « العلوم الإلسانية » شائعة بشكل متزايد ،
فهل يجب علينا إذن أن نفرس كلمة (science) الواردة فى عنوان هذا التسم
لتعنى ببساطة : « فرع أكاديمى من فروع المعرفة مؤسس على نحو لائق » ؟

ويوجد المزيد مما يتصل بهذه المسألة خلاف هذا التفسير المقترح ، ومعظم
اللغويين الذين يؤيدون تعريف تخصصهم بالدراسة العلمية للغة يفعلون ذلك
لأنهم يحملون فى أذهانهم ما يميز بين الطريقة العلمية والطريقة غير العلمية فى
معالجة الأمور ، وربما كانوا على خلاف حول بعض متضمنات مصطلح « علمى »
كغيرهم من فلاسفة العلم ومؤرخيه ، إلا أنهم متفقون - بصفة عامة - حول

الاختلافات الأساسية بين الدراسة العلمية للغة والدراسة غير العلمية لها، ولنبدأ إذن بنقاط الاتفاق هذه .

أولى هذه النقاط وأهمها أن علم اللغة تجريبي أكثر منه حدسي أو تأملي فهو يتعامل مع المعلومات الواضحة التي يمكن التثبت منها والتي حصلنا عليها عن طريق الملاحظة أو التجربة ، والانصاف بالتجريبية — بهذا المعنى — يعد السمة المميزة إلى حد بعيد للعلم في نظر معظم الناس ، ويرتبط بخاصة كونه مؤسساً بطريقة تجريبية كونه موضوعياً ، واللغة شيء ما تميل إلى أخذه كقضية مسلم بها ، و شيء ما نألفه منذ الطفولة بطريقة عملية بعيدة عن التفكير وهذه الألفة العملية تميل إلى أن تحل محل الفحص الموضوعي ، وتوجد كل أنواع التحيزات الاجتماعية ، والثقافية ، والنومية المرتبطة بوجهة نظر غير المتخصصة في اللغة وفي اللغات المعنية ، فعلى سبيل المثال قد يُعتقد أن نبرة أو لهجة لغة ما معينة أنقى بشكل متأصل من غيرها أو مرة أخرى ربما كانت أكثر بدائية من غيرها ، وتتطلب الموضوعية — على الأقل إلى حد بعيد — أن تُقابل معتقدات كهذه بالتحدي ، وإما أن نُحدد مصطلحات كُنْفي وبدائي بشكل واضح أو نُستبعد .

وكثير من الأفكار التي تدور حول اللغة والتي يخضعها اللغوي للمناقشة إذا لم يتدخل عنها تماماً قد تبدو قضية معنى شائع بشكل مافى الكلمة من معنى ، غير أنها كما علق بلومفيلد على طريقة المفاهيم الشائعة في التعامل مع القضايا اللغوية « تشبه الأمور الكثيرة الأخرى التي تبدو على غير حقيقتها كفهوم شائع ، وهي في الحقيقة معتدة بدرجة عالية ، ومأخوذة — من أمد غير بعيد من تأملات فلاسفة العصور القديمة والوسطى » ، وليس لدى اللغويين جميعهم ما لدي بلومفيلد من نظرة حدم الرضا لهذه التأملات الفلسفية عن اللغة ، لكن

ما يقصده — بصفة عامة — صحيح ، فالمصطلحات التي يستعملها غير المتخصص في الحديث عن اللغة والمواقف التي يتخذها في معالمتها تاريخيا ، وسيدو عادة تلك المصطلحات والمواقف — بوضوح — أول تسلما بها أو أقل قابلية للتطبيق أو الاستعمال إذا ما عرف شيئا عن أصولها التاريخية .

وان نبحث تاريخ علم اللغة في هذا الكتاب ، ومع ذلك فلان بعض التعليقات العامة مرتبة ، ومن عادة الدراسات التمهيدية لعلم اللغة أن ترسم ميمراً حاداً بين النحو التقليدي وعلم اللغة الحديث ، خاصة لمواقف العناية لعلم اللغة الحديث في مواجهة المواقف غير العلمية للنحو التقليدي ، ويوجد مبرر جيد لرسم هذا المميز ، وإظهار أن الكثير من التصورات القديمة الشائعة عن اللغة والمتداولة في مجتمعاتنا يمكن تفكيكها تاريخيا من خلال الافتراضات الثقافية والفلسفية التي تتحدد تطور النحو التقليدي ، وسند ذكر بعض هذه التصورات الخاطئة وسنتناولها بالمناقشة في القسم التالي ، ومع ذلك ينبغي أن نؤكد على أن علم اللغة — كغيره من فروع المعرفة — لم يشهد في الماضي تحدي القواعد والأصول التقليدية فحسب بل تنويرها وإعادة تشكيلها أيضا ، وتهمل أكثر الأعمال الحديثة في علم اللغة وهي بصددها وصفا لمنهج أعظم الذي حدث في البحث العلمي في اللغة في ثمانين سنة سابقة بالتأكيد على استمرارية النظرية اللغوية الغربية من مهبها إلى وقتنا الحاضر ، وتنحوي على مفارقة تاريخية إلى حد ما أيضا في فشلها في معالجة النحو التقليدي من خلال الأهداف التي حددتها بنفسه ، ويجب ألا تنسى أن المصطلحين : علم ، وعلى (أو إحصائياتهما) قد فسرا تفسيراً مختلفاً في مراحل مختلفة .

ويجب أن نوضح أن ما يشار إليه بصفة عامة بواسطة مصطلح « النحو التقليدي » — أي النظرية اللغوية الغربية التي ترجع إلى عصر النهضة ، وفي العمود الوسطى إلى الرومان وتعود قبل ذلك إلى المدرسة الإغريقية —

أكثر ثراء وتنوعاً مما هو معروف بشكل شائع، وأكثر من ذلك فمن اللغاه
كثيراً أن يدرس تلك الصيغة المشوهة غير المفهومة للنحو التقليدي أجيال
من الطلاب الكارهين لها، وفي السنوات القليلة الماضية بدأ اللغويون في تبني
وجهة نظر أكثر توازناً بشأن المهام التي يحلها التقليدي - وسنواصل استخدام
هذا المصطلح - في تطوير تخصصهم العلمي، ولا تزال كثير من البحوث
تجري حول المصدر التاريخي لمبتدئة من الترات الأولى إلا أن العديد من
الكتب التي تدرّج علم اللغة المناهضة في الوقت الحاضر تقدم بياناً مرضياً
حول نشأة النحو التقليدي وتطوره أكثر مما كان متاحاً لجيل بلومفيلد والجيل
التالي له.

دعنا الآن نعود إلى الحالة الراهنة لعلم اللغة، إنه - بلا ريب - أكثر
موضوعية وتجريبية في موانئها وافتراضاته المعلنة في كل الأحوال من النحو
التقليدي، وسنلقي نظرة أكثر تفصيلاً على بعض هذه المواقف والافتراضات
في القسم التالي، لكن هنا هو - عند التطبيق - تجريبي وموضوعي كما يدعي
هناك - بالتأكيد - مجال للشك، ويوجد أيضاً مجال للاختلاف في أكثر
مستويات المناقشة عمقياً فيما يتعلق بطبيعة الموضوعية العلمية وإمكانية تطبيق
ما يشار إليه - عموماً - بالمنهج العلمي في دراسة اللغة.

وفي واقع الأمر لن يقبل العلماء وفلاسفة العلم بوجود منهج تحقيق مفرد
يمكن تطبيقه في كل فروع العلم لفترة طويلة وعلى نطاق واسع، ومصطلح
«المنهج العلمي» بالذات أصبح عتيقاً وباليا منذ القرن التاسع عشر، ويعتقد
أحياناً أن التحقيق العلمي يجب أن يقوم على أساس التعميمات الاستقرائية
المؤسسة على الملاحظة الحرة نظرياً، وهو في الحقيقة ما يتمسك كثير من الناس
بأن مصطلح «المنهج العلمي» يتضمنه، لكن القليل من العلماء هم الذين يعملون

وفق هذه الطريقة دائماً حتى في العلوم الطبيعية ، وعلى كل حال فإن الموضوعية العلمية معناها لا يتضمن بالتحديد أن تعالِم يجب أن يمنع عن النظر وعن صياغة الفرضيات العامة حتى يجمع القدر الكافي من المعلومات ، والمعلومات العلمية التي تظهر عادة تُستمد من التجربة ولا تخضع لها ، وتتضمن الملاحظة اهتماماً مختاراً ، فليس هناك شيء مثل نظرية محايدة ، وملاحظة غير مقيدة بفرضية ، ومجموعة معلومات ، ويمكننا أن نستخدم عبارة حيثة متداولة وهي إن الملاحظة بالضرورة ومنذ البداية نظرية محملة وهذه العبارة يرجع أصلها إلى بوبر .

والعبارة مشيرة للفكر والجدل ، وقد لُت رد فعل لوجهة النظر التجريبية القوية في العلم التي طارحها أصحاب المذهب الوضعي المنطقيون في الفترة السابقة على الحرب العالمية الثانية ، وطلاب علم اللغة يجب أن يعرفوا شيئاً ما عن المذهب التجريبي^(١) ، والمذهب الوضعي^(٢) ، وبدون هذه المعلومات — رغم أنه لا حاجة إلى التعمق أو التفاصيل — من غير المتوقع أن يفهموا بعض المقالات النظرية والمنهجية التي تصنف مدارس علم اللغة في الوقت الحاضر ، وما يلي يعد الحد الأدنى الضروري من المعلومات الخلفية نقدمها — بقدر الإمكان — بغير

(١) المذهب التجريبي (empiricism) ينكر وجود مبادئ أولية خاصة بالعقل ويقرر أن التجربة مصدر المعرفة .

(٢) المذهب الوضعي (positivism) مذهب أوجست كونت الذي يقرر أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواحدة المحسوسة وما بينهما من علاقات أو قوانين وأن المثل الأعلى لليتين يتمثل في العلوم التجريبية وأنه يجب من ثمة المدول عن كل بحث في العمل والقياس وبدل كونت على نسبة محارفاً بعرض تاريخ العقل فيقول إن العصر مر بمحالات ثلاث : مرحلة لاهوتية ، و مرحلة ميتافيزيقية ، و مرحلة واقعية .

تُحيز وبغير التزام بأى جانب في مجالات المناقشة المعروفة ، والمناقشات التى يجب إضافتها وثيقة الصلة ليس بعلم اللغة فحسب واسكن بالعلم ككل ، ولكن لها ارتباط خاص باللغوى بصدد تلك التغيرات الحديثة فى علم اللغة وفلسفة اللغة المرتبطة بأعمال تشومسكي وأفكاره التى لها أثرها الجدير بالاعتبار إلى حد بعيد على المناقشة الأعم الخاصة بالمذهب التجريبي والمذهب الوضعي التى أثارها الفلاسفة وعلماء النفس والعلماء الاجتماعيين الآخريين (أنظر ٧ - ٤) .

والمذهب التجريبي يتضمن ماهو أكثر بكثير من تبني الطرق التجريبية فى التحقيق والإثبات ، ولذلك يوجد مميز حاسم يرسم بين التجريبي (empiricist) والاتصاف بالتجريبية (empirical) ، ومصطلح «المذهب التجريبي» يشير إلى وجهة النظر التى تذهب إلى أن كل المعلومات تأتى عن طريق التجربة - والكلمة الاغريقية (empeiria) تعنى تقريبا «التجربة» وعلى الأخص الآتية من الملاحظة والمعلومات الحسية ، ويتقابل مصطلح «المذهب العقلى» فى جدال فلسفى استمر طويلا - وعنى من الكلمة اللاتينية (ratio) وتعنى فى هذا السياق العقل (mind / intellect / reason) ، ويؤكد أتباع المذهب العقلى على الدور الذى يلعبه العقل فى اكتساب المعرفة ويتمسكون - بصفة خاصة - بوجود تصورات أو قضايا أولية^(١) (تعنى كلمة أولية فى التفسير التقليدى لها «المعرفة التى لا تعتمد على غيرها») يفسر العقلى فى ضوءها المعلومات المستمدة من التجربة ، وسوف نعود إلى بعض الجوانب الأخرى الأكثر خصوصية من الجدل الدائر بين المذهب التجريبي والمذهب العقلى^(٢) عند متابعتنا للتوليديّة (أنظر ٧ - ٤) .

(١) أى تلك التصورات والقضايا التى تصلح لأن تكون مقدمات لما بعدها وليس مستنتجة من تصورات أخرى قبلها .

(٢) يذهب العقليون إلى أن العقل هو الأصل الذى يصدر عنه كل علم =

والمنهج التجريبي - فيما نحن بصدده - لرسم مميز بين المذهب التجريبي والمذهب الوضعي الأول به تاريخ أطول وهو أرحب مجالاً باعتباره موقفاً فلسفياً، لكنهما صهران طبيعيتان مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً بكل ما يعنينا هنا. فمذهب الوضعي على المميز بين ما يسمى بالمعلومة الوضعية للتجربة والتأويل لتواقع وراء نطاق الخبرة بأنواعها المختلفة، ويتجه المذهب الوضعي إلى أن يكون علمانياً مجافياً لما وراء الطبيعية من حيث النظرة، ويستبعد أي احتسكهم للاكينونات اللافيزيائية، وقد كان هدف المنطقة من أتباع المذهب الوضعي في دائرة ميّنا إنتاج نظام مفرد للعالم الموحد تتمثل فيه السكينة السكانية المعربة الوضعية وهي في نهاية المطاف مثل مجموعة من القضايا المصروخة صياغة دقيقة

وقد تنافى في الوقت الحاضر عن مبدأ التحقيق والإثبات (على الرغم من أنه يلعب دوره في صياغة نظرية الحقيقة المشروطة بمعنى (أنظر ٥ - ٤١) ويجوز مبدأ الردية (reductionism) قبولاً أقل بكثير - بصمة عامة - من قبل العلماء واللاسفة عما كان الأمر عليه عندما كتب بلومفيلد كتابه التماسي المشهور في علم اللغة عام ١٩٣٣، وأذكر بلومفيلد في هذه النقطة لأنه ولا عجب - ألزم نفسه بشدة بالمذهبين التجريبي والوضعي، وهو ما يتضح

بتحقيقى بينا يذهب التجريبيون إلى أن التجربة مصدر العلم ويشبهون العقل قبل التجربة بصفحة بيضاء وقد يسمى هذا المذهب بمذهب الحسين وثمة مذهب ثالث هو مذهب التماثل بين الذين يحولون التوفيق بين الدعوى المتعارضة التي يدعيها أصحاب الدعوى الآخرين ويمكن القول بأن الفارق بين المذهب العقل والمذهب التجريبي أن أتباع المذهب الثاني يرفضون أفكار أتباع المذهب الأول رفضاً تاماً بينما لا ينكر أتباع المذهب الأول إلا أن يكون هناك علم ضروري صادق مصدره التجربة وحدها فالعقل له القدرة على ابتداع المعاني والتصورات ولتأليف بينها بنظراته ويطبع العلم الإنساني برمته بطابع الصدق والحق.

إلى حد بعيد في الفصل الثاني من كتابه ، وقد ارتبط - في الواقع - ارتباطاً وثيقاً بحركة وحدة المعرفة ، وأثر " فكرة مبدأ الرديّة الأمر الذي جعله أكثر من أى شخص آخر بالنسبة لعلم اللغة - وخاصة خاصة في أمرين - مثلاً - للعلمة الحقيقية ، ومن ثم يوجد ميراث لمدى التجريب والوضعي في علم اللغة يمكن بيان تاريخها .

ولم يعد مبدأ الرديّة ولا المذهب الوضعي صفة أهم مثيراً للعظماء كما كان الأمر يوماً ما ، ومما هو عاقل اليرم على نطاق واسع أنه ليس هناك ما يعد منها علمياً واحداً يمكن تطبيقه على كل المجالات ، وأنه لا يسمح بوجود مداخل متنوعة باعتبارها مسألة ضرورة صيرة الأمد في فروع المعرفة المختلفة فحسب ولكن قد يكون ذلك مبرراً لمدة طويلة أيضاً بسبب الاختلافات الخاصة بموضوعات البحث التي لا يمكن احترازها ، وقد عبر بعض فلاسفة العلم عن شكوكهم حول منهاج أتباع المذهب الوضعي بصدد تفسير العمليات العقلية بواسطة المناهج والنصوات المميزة للعلوم الطبيعية وذلك منذ القرن السابع عشر أيام ديكارت وهوبز ، وكثير من علم النفس وعلم الاجتماع في القرن العشرين ومثله الكثير مما يدخ في علم اللغة في القرن العشرين يتصف بالوضعية ، غير أن - فروع المعرفة الثلاثة كلها - وبصورة أكثر وضوحاً علم اللغة - دخلت فيها الوضعية حديثاً تحت وطأة اعتبارها عقيمة وغير قادرة على أداء مهامها .

قصارى القول إنه لم يعد هناك إجابة مرضية عما إذا كان فرع من فروع المعرفة يتصف بالعلمية أم لا يتصف بها حتى لو كانت الإجابة ممكنة عن طريق الرجوع إلى ما يعرف بالمنهج العلمى ، وكل عالم مؤسس بشكل جيد يستخدم أبنيتة النظرية المميزة ومناهجه الخاصة به في الحصول على المعلومات وتفسيرها ، وما أشرنا إليه في الفصل السابق كنصور - النظام اللغوى - يمكن أن يوصف

بطريقة أكثر علمية كبناء نظري ، والقضايا التي يمكن أن تثار حول حقيقة هذه الأبنية تشبه إلى حد كبير تلك التي يمكن أن تثار حول الأبنية الموحدة في السبيعية والأكوية ، ومع ذلك فمن الأفضل أن نتعرف على كل بناء نظري معروض من حيث ما ينفي به فيما يتعلق بالمعلومات .

وكل ما قلناه عن المذهب التجريبي والمذهب الوضعي وعن النكسة الراهنة لما يعرف بالتهج العملي يميل إلى أن يكون حقيقياً وغير متنازع عليه ، ولنتحول الآن إلى نقاط الاختلاف .

النقطة الأولى تتعلق بما تتضمنه فكرة بوبر الخاصة بالملاحظة التي تنصف بالنظرية المحملة ، والاختلاف حول استخدام مصطلح نظرية ، وما يذكره بوبر مهاجمه المميز الحاد الذي رسمه المناظرة بين المذهب الوضعي - بين الملاحظة التي يلزم أن تكون محيطة نظرياً وبنيّة النظرية التي يلزم أن تكون حرة من التعميم الاستقرائي ، ولقد كان - بلا شك - على حق في تحديده حدة هذا المميز وعلى الأخص وجهة النظر التي تذهب إلى أن الملاحظة ومجموعة المعلومات يمكن - ويجب - أن تخضع لخطوات في الأمام بصدد صياغة الفرضيات ، ونقطة قضية شائعة فاختيار المعلومات تحدد بعض الفرضيات التي يرغب العالم في اختبارها وإست القضية كيميّة الوصول إليها ، وحقيقية أن مفهوم اتباع المذهب الوضعي في عدم اختيارية للملاحظة ومجموعة المعلومات غير صحيح لا يعني عدم وجود فاصل - على الإطلاق - بين تصورات النظرية ، وتصورات ما قبل النظرية ، ومن التعامل الحي مع المصطلح نظرية أن ندرج تحتها كل الأفكار المكونة سلباً ، والتوقعات التي يدنو بها المرء مما يمكن ملاحظته ويصنع اختياره ، وسنتناول المميز بين تصورات النظرية وتصورات ما قبل النظرية في مواضع عديدة في الفصول الأخيرة ، وسنفترض أن للملاحظة - رغم

أنها مختارة بالضرورة - يمكن أن تكون موضع ضوابط منهجية مرضية في علم اللغة كما هو الحال في العلوم التجريبية الأخرى .

ونقطة الخلاف الثانية وهي ذات أهمية خاصة في علم اللغة في الوقت الحاضر تتمثل في بدور الحدس والمشكلات المنهجية التي تثار في هذا الشأن ، ويحمل مصطلح « حدس » في طياته ارتباطات يومية إضافية غير ملائمة ، وكل ذلك مضمّر عندما يشار إلى حدس المتكلم الأصلي عن لغته وهي أحكامه اللغوية غير المكتسبة بالثقافة حول قبول الأفعال أو عدم قبولها ، وحول الأقوال التي تتسكفاً أو التي لا تتسكفاً وهلم جرا ، وجاءت فترة اعتقد فيها بعض اللغويين - من حيث المبدأ - إمكانية التخلص من ضرورة سؤال المتكلمين الأصليين أن يصدروا مثل هذه الأحكام الحدسية عن لغتهم ببساطة عن طريق جمع مجموعة كاملة ضخمة - بشكل كاف - من المعلومات المذكورة بطريقة محايدة وإخضاعها للتحليل الشامل المنظوم ، ولا يأخذ بهذا الرأى في أيامنا هذه سوى قلة من اللغويين ، وأصبح من الواضح أن كثيراً من الأقوال المذكورة بطريقة طبيعية تكون - لأسباب غير متصلة باللغة - غير مقبولة كما أنه لا توجد مجموعة كاملة من المواد مهما كانت ضخامتها تشمل أمثلة من كل نوع من الأقوال المقبولة ، غير أن تعامل اللغوي مع الشاهد الحدسي يظل موضع خلاف ولهذا الخلاف شقان .

الأول يتعلق بقضية ما إذا كان الحدس الذي يشير إليه اللغوي يُعد جانباً من القدرة اللغوية لامتلاكهم الأصلي أم لا ، ولو أن الأمر كذلك فتبها لتعريف تشومسكي للقدرة وحسب صياغته لأهداف علم اللغة يصبح الحدس نفسه جانباً مما ينبغي على وصف أي لغة معينة أن يقدم بشكل مباشر بياناً عنه ، وقد لا يرغب معظم اللغويين في القول بأن وصف لغة ما ينبغي أن يعالج حدس

المتكلم الأصلي باعتبارها معلومات وسنعود إلى هذه القضية عند مناقشتنا للتوليدية

والجانب الثانى من الخلاف يتعلق بكون أحكام المتكلم الأصلي كتقريرات أو أخبار عن السلوك اللغوى الخاص به وبغيره جديدة بأن يؤول عليها، والرئى العام المجمع عليه بين اللغويين يبدو أنه يذهب إلى أن مثل هذه الأحكام — فى جواب معينة على الأمل — غير جديدة بالاعتماد عليها إلى حد بعيد، فالمتكلمون الأصليون لا يختلفون فيما بينهم على نحو متكرر حول ما يمكن قبوله عندما لا يكون هناك سبب آخر يدعو للاعتقاد بأنهم يتكلمون لهجات مختلفة فحسب ولكن أحكامهم يبدو أنها تتغير من حين لآخر، وأكثر من ذلك فإنه كثير ما يحدث أن يستبعد متكلم أصلى بعض الأقول التى يضعها أمامه اللغوى الوصفى على أنها غير مقبولة ثم إذا به يسمع أو يسمع نفسه يصدر ذلك القول نفسه فى بعض سياقات الاستخدام الطبيعية، ويقدر ما يلقى استبطان اللغوى لفته من اهتمام فإنها على الأمل غير جديدة بالاعتماد عليها مثل حدس غير المتخصص، وإن كان ذلك يرجع عادة لأسباب أخرى، وقد يكون اللغوى أقل اهتماما من غير المتخصص بالمستويات المشتركة التقليدية للاستخدام الصحيح (فعلى سبيل المثال يقبل بسهولة تامة أنه من الطبيعى أن يقول It's me أكثر من It is I) غير أن أحكامه أكثر عرضه لأن يشوهها إدراكه لما فيها من تضمينات لهذا الموضوع النظرى أو ذلك، واستبطان اللغوى سلوكه اللغوى الخاص به وبغيره يمكن أن يعد بصورة جيدة — نظرية عملة إذا لم تعد الملاحظة المباشرة للحوار التلقائى كذلك.

وهناك فى الحقيقة مشكلات منهجية هامة إلى حد بعيد تتعلق بمجموعة

للمعلومات الجديرة بأن يُعَوَّلَ عليها في الإطار السكلي لموضوعات علم اللغة
انظري إلا أنها ليست أكثر خطراً من تلك المشكلات المنهجية التي تواجه
أولئك الذين يعملون في علم النفس أو علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية بصفة
عامة ، وللغوى في جوانب معينة في وضع أفضل مما فيه معظم العلماء الاجتماعيين
حيث يتضح له إلى حد ما مدى ما يمكن ملاحظته في السلوك اللغوي ومدى
ملا يمكن ملاحظته ، و أكثر من ذلك توجد مجالات جديدة للاعتبار إلى
حد بعيد في وصف أي لغة لا يكون - بالنسبة لها - هوكل حدس المتكلم الأصلي
وحتى استبطان اللغوى قضية خطيرة لذلك يجب ألا يبالغ المرء في المشكلات
المنهجية التي تظهر في مجال البحث اللغوي .

وقد أشرنا في الفقرة السابقة إلى علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والعلوم
الاجتماعية الأخرى وكثير من اللغويين وربما الأغلبية منهم يصنفون تخصصهم
المعرفي ضمن العلوم الاجتماعية ، غير أن علم اللغة لا يمكن تصنيفه بسهولة ضمن
أى قسم من أقسام البحث لأ كادى التي تعد أساساً للفرقة بين العلم والفنون
أو المميز الثلاثي للعلوم الطبيعية ، والعلوم الاجتماعية ، والعلوم أو الدراسات
الثقافية ، والاستخدام المتزايد لعبارة مثل : « علوم الحياة » ، « والعلوم
السلوكية » ، « والعلوم الإنسانية » ، و « علوم الأرض » تشير إلى أن كثيراً
من فروع المعرفة أشهر بالحاجة إلى إعادة التصنيف الاستراتيجي أو التكتيكي
الذي يراعى قليلاً المميزات التقليدية .

وعلى كل حال فإن وجود علم اللغة — كتخصص جامعي — أو عدم
وجوده في كلية دون أخرى يعد مسألة إدارية ، وعلم اللغة كما أكدنا من قبل
له روابطه الطبيعية بإطار أوسع من فروع المعرفة الأكاديمية ، والقول بأن
« علم اللغة » علم لا ينبغي أنه - بفضل موضوعات بحثه - يرتبط ارتباطاً

وثيقا بفروع معرفية إنسانية شهيرة مثل الفلسفة والمقد الأدبي .

وفي النصول التالية سند ذكر هدهد من الأسس التي يسلم بها اللغويون في وقتنا الحاضر — بصفة عامة — وسنداولها بمناقشة ، والجانب الأدهم منها يمكن أن يبدو مأخوذاً من المثال العلمى الموضوعية ، ومنذ أن أكد علم اللغة موضوعيته وصارت له استقلاليته التي ادعها كثيرافى هذا الشأن عن النحو التقليدى أصبحت هذه الأسس تقف فى مواجهة مع الأسس التي تحدد للوائف والاعتراضات المميزة للنحو التقليدى .

ثالثاً - المصطلحات والرموز

لكل فرع علمى مفرداته التقنية الخاصة ، ولا يستثنى علم اللغة فى ذلك ومعظم المصطلحات الفنية التي يستخدمها اللغويون نشأت خلال عملهم ، ويفهمها بسهولة أولئك الذين يدخلون هذا التخصص متعاطفين وغير متحاملين .

ويحدث الاعتراض أحياناً عندما تكون المصطلحات اللغوية لعلم اللغة وكذلك اللغة التي يستخدمها معقدة بلا ضرورة ، لماذا يميل اللغوى هكذا إلى خلق مصطلحات جديدة ؟ ولماذا لا يقتنع بأن يتحدث عن الأصوات ، والـكلمات وأقسام الكلام بدلاً من اختراع مصطلحات فنية جديدة كالوحدة الصوتية (الفونيم)^(١) ، والوحدة الصرفية (المورفيم)^(٢) والوحدة النحوية^(٣) ؟

(١) أنظر الفصل الخاص بالأصوات

(٢) الوحدة الصرفية ، المورفيم ، (morpheme) أصغر وحدة متميزة فى النحو ، وأورة اهتمام علم الصرف والذائع الأساسى لوجود هذا المصطلح وما يشير إليه أن يكون بدلاً عن الكلمة بعد أن ثبت صعوبة التماس

والإجابة على ذلك أن معظم المصطلحات المتداولة التي تستخدم فيما يتعلق باللغة — وكثير منها نشأ عرضاً كمصطلحات تقنية للنحو التقليدي — غير دقيقة وملبسة ، وهذا لا يعنى أن اللغوى — ككل المتخصصين — قد لا يكون مدنباً في أوقات الخدلة الاصطلاحية في غير موضعها ، وعلى كل حال ومن حيث المبدأ بأن المفردات التخصصية في علم اللغة إذا سيطر عليها الاستخدام المناسب المظلم فإنها ستعمل على التوضيح أكثر من التعمية ، إنها تزيل قدراً كبيراً من اللبس والفهم الخاطئ المحتمل .

وما يتعلق بالمصطلحات العلمية يتعلق بالرموز ، فنحن نستخدم اللغة لنحدث عن كل من اللغة عموماً واللغات المعينة ، ونحن إذ نفعل ذلك نحتاج إلى أن يكون في إمكاننا تحديد الجزء أو القسم أو السمة التي تختص باللغة المعنية

== معها كما أنها قد تكون معقدة للغاية ، البنية كما تعد الوحدة الصرفية والمorfeme أصغر الوحدات ذات الوظيفة في تصنيف الكلمات تصنف الوحدات الصرفية (المورفيمات) عموماً إلى صيغ حرفية والمورفيمات التي يمكن أن تذكر كمكلمات منفصلة ، صيغ معقدة ، هي المورفيمات التي لا يمكن أن تذكر كمكلمات منفصلة ، تذكر أساساً كجواهر وسوابق (unselfish) تتكون من ثلاثة مورفيمات un/self/ish الأول والثالث فيها صيغتان مفيدتان والثاني صيغة حرة ، وتعد الكلمة التي تتكون من مورفيم مفرد حر كلمة ذات مورفيم واحد وتقابل الكلمة ذات المورفيمات المتعددة . يمكن أن نميز أيضاً بين المورفيمات المعجمية والمورفيمات النحوية ، فالمورفيمات المعجمية هي التي تستخدم في بناء كلمات جديدة في لغة ما كما يحدث في الكلمات المركبة compound words مثل black bird والواحد والآخر والسوابق أما المورفيمات النحوية فهي التي تستخدم للتعبير عن العلاقة بين الكلمة وسياقها مثل الجمع أو الزمن الماضي ، والمورفيمات النحوية التي تعد كلمات منفصلة يطابق عليها اسم الكلمات الوظيفية أو الأدوات . وقد كان تطبيق المفاهيم المورفيمية على نطاق واسع بصفة خاصة في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن في الدراسات اللغوية المأهولة بطلونية .

الى لشير اليها تحديداً دقيقاً ، واستخدام الاصطلاحات الرمزية الخاصة يجعل ذلك أكثر سهولة ، وفي سبيل المثال ، قد تكون في حاجة إلى التمييز بين معنى كلمة ما وصيغتها ، أو بين كليهما والسكينة نفسها ، ولا توجد - من سوء الحظ - مجموعة من الاصطلاحات الرمزية مأبوتة بشكل كامل يمكن استخدامها لتمييز هذه المميزات وغيرها ، أن ترسم بواسطتها ، وفي عمتها عملاً صنعت استخداماً مميزاً لعلامات النصيص المفردة ، وعلامات النصيص الزدوجة ، والحروف المائلة فعلى سبيل المثال ستميز بين كلمة « كلمة » مكتوبة بالحروف القائمة ، والمكتوبة بالحروف المائلة ، على أن تشير الأولى لمعنى وأن تشير الثانية للمصغة (أو إحدى الصيغ الخاصة بها) وكى نستخدم هذين الرمزتين يجب أن نحافظ على مميز - كما سنرى بعد - بين معنيين على كلاً لكلمة « كلمة » ، يشير المعنى الأول إلى ما نتوقع إدراجه في قائمة معجم اللغة ويشير المعنى الثانى إلى ما يكتب بين مسافات ككلمة من الحروف فى نص مكتوب

وهناك رموز أخرى أدخلت ، فخرتمكنا من تمييز الصيغ المنطوقة من الصيغ المكتوبة ، والصيغ المنعزلة بنوع (الصوتى) عن الصيغ المنطوقة بنوع (الفونولوجى) وهلم جر ، والنضية العامة التى أثرناهم أن تلك الاصطلاحات الرمزية المتنوعة - إن لم تكن - وهرية بصورة مطلقة - ففى على الآثار نافعة إلى حد بعيد لغرض الإشارة إلى المعلومات اللغوية وهى تجعل ما نستخدمه هنا واضحاً ، ولها فائدة إضافية فهى تجبر اللغوى على التفكير بعناية فى مميزات خاصة قد تمر دون ملاحظة فى ظروف أخرى ، وكثيراً ما يثبت صعوبة كونها ثابتة على الإطلاق عند تعيين بعض الاصطلاحات الرمزية لتعينة ، وتؤدى هذه الصعوبة حينئذ إلى إعادة تحديد المميز النظرى الذى يصيغ الاصطلاح الرمزي لأول مرة ، وهى إحدى الطرق التى يحدث بها التقدم فى أى فرع من فروع المعرفة :

علم اللغة وصفي و ليس معيارياً^(١)

يستخدم مصطلح «وصفي» (descriptive) هنا بمعنى مختلف عن المعنى الذي يقابل فيه «علم» من ناحية أو «تاريخي» من ناحية أخرى، والتقابل الذي يتعلق بهذا المصطلح هو ذلك الذي يربط بين كيف تكون الأشياء، وكيف يجب أن تكون الأشياء، والمصطلح البديل لمعيارى (prescriptive) بالمعنى الذي يقابل فيه للمصطلح «وصفي» (descriptive) هو (normative) والقول بأن علم اللغة وصفي (أى غير معيارى) يعنى أن اللغوى يحاول كشف القوانين التى تميز الجماعة اللغوية — فى أدائها اللغوى الفعلى — وفقاً وتسجيلها ولا يسعى إلى فرض قوانين ومستويات صواب أخرى (أى دخيلة) عليهم .

ومن الممكن أن يلتبس استخدام كلمة «قانون» — وقد فرغت للتو من التفرقة بين الوصفية والمعيارية — بين هذين المعنيين المختلفين إلى حد بعيد، ويتحدث اللغويون — سواء أكان ذلك صواباً أم خطأ — بهذه المصطلحات، وربما كان مفيداً لهذا السبب أن نوضح الاختلاف بين نوعين من القوانين — دعنا نطلق عليهما القوانين الداخلية، والقوانين الخارجية على الترتيب — من شئ آخر خلاف استخدام اللغة، لنتمكلم عن السلوك الجنسى فى مجتمع بعينه فلو أننا تبيننا وجهة النظر الوصفية البحتة (أى غير للمعيارية) فى بحث السلوك الجنسى فسوف نحاول الكشف عن كيفية السلوك الفعلى للناس ما إذا كانوا يمارسون الجنس غير الشرعى، وإن كانوا يمارسونه فما نوع هذا الجنس وفى أى مرحلة من العمر، وما إذا كان الأزواج والزوجات مخلصين —

(١) فهذه علم اللغة وصف حقائق الاستخدام اللغوى كما هى وليس كما ينبغي أن تكون فيما يتعلق ببعض الحالات النموذجية الحقيقية أو المتخيلة .

أو غير مخصصين - بدرجة واحدة لزوجاتهم أو لأزواجهن وهلم جرا ، وبقدرة ما يكون سلوك مجموعات معينة داخل المجتمع محسباً في الواقع بمبادئ يمكن تعديدها - سواء أكان أفراد هذه المجموعات يعترفون بهذه المبادئ أو حتى على وعى بها أم لا - نستطيع أن نقول إن سلوككم محكوم بقانون : القوانين الداخلية في سلوككم العملي ، لكن مثل هذه القوانين (إن صح أن نسميها قوانين) مختلفة إلى حد بعيد في هيئتها إن لم يكن في محتواها عن قوانين السلوك التي قد يحكم بها القانون أو الدين المعتقد - ببساطة - قواعد السلوك وآدابه الواضحة المتعارف عليها ، والناس في ممارستهم قد يقولون - أو لا يقولون - ما أذكرونه بالقوانين الخارجية (أى الدخيلة أو غير الداخلية) لسلوك الجنس ، وأكثر من ذلك قد يوجد اختلافات بين كيف يتصرفون وكيف يتكلمون أو حتى يفكرون فيما فعلوه ، وكل هذه الاختلافات لها متعلقاتها للتبادلة التي تتصل بالسلوك اللغوي ، وللميز الأكثر أهمية على كل حال هو الذي يربط بين القوانين الخارجية (أى المعيارية) والقوانين الداخلية (أى الوصفية) ، فالمعيارية أوامر (قل كذا أو لا تقل كذا) ، والوصفية تقريرات (الناس تقول كذا أو لا تقول كذا).

وسبب إلحاح اللغويين هذه الأيام على ما يميز بين القوانين الوصفية والقوانين المعيارية يعود ببساطة إلى أن النحو التقليدي يتصف بالمعيارية اتصافاً شديداً ، ويرام النحاة كما لو كانت مهمته صياغة مستويات للصواب وفرضها - إن لزم الأمر - على متكلمي اللغة ، وكثير من القواعد المعيارية للنحو التقليدي تبدو معروفة المقاريء مثل : لا تستخدم أبداً نفيًا مزدوجاً مثل (I didn't do nothing) ، ولا تختتم الجملة بحرف جر مثل (that's the) man I was speaking to) ، وأن للفعل (to be) يأخذ حلة واحدة بصد

وقبله ، وعليه يجب أن تصحح (It's me) إلى (It's I) وأن تكون (Aia't) خطأ وأنه يجب ألا نقسم المصدر كما في (I want you to clearly understand) حيث أُدخلت (clearly) بين (to) و (understand) .

والمنفكير في الأمثلة المذكورة أعلاه يظهر بسرعة أنها متغايرة الخواص إلى حد بعيد ، وهناك بعض اللمحات الإنجليزية لا يستخدم فيها أبدا ما يسمى بالنفي المزدوج (أى لا تستخدم فيها أبدا (I didn't do nothing) ككافه العبارة : (I didn't do anything) في اللغة الإنجليزية المشتركة) غير أن هناك لمحات أخرى تعد فيها — من وجهة النظر الوصفية البحتة — البلية الصحيحة ، وعندما تقدم الأسباب لإدانة النفي المزدوج باعتباره غير صحيح — بواسطة بعض اللبائذ للعبارة — فيما يتعلق بذلك الاستخدام الفعل الذى قد يحكم عليها وتوجد على غير المستوى المطلوب يكون المنطق بمثابة محكمة الاستئناف ، ونخبرنا المنطق بأنه يقال إن نفيين يصنعان إثباتا ، وهو ما يقتضى تعليقات عديدة ، أولها إن هذا القول يدل على الفهم الخاطى لما يقوم به المنطق وكيفية تياممها ، غير أننا لسنا فى حاجة إلى التعمق فى البدييات المنطقية ، ولا فى القضية المعقدة عن كيفية ارتباطها يدعى بالمنطق الطبيعى لسلوك القوى المتصاد بنظم المنطق التى شيدتها المناطقة وبحوثها ، والقضية ببساطة أنه لا يوجد شيء مختل منطقياً بشكل متأصل فيما يسمى بالنفي المزدوج ، وفي اللمحات التى يستخدم فيها باطراد تؤدي دورها بطريقة منظمة تماما وفق القوانين النحوية ومبادئ التفسير الداخلية لسلوك الجماعات اللهجية موضع البحث ، والقضية الثانية التى تتولد فى ذهن أن ما يسمى ببنية النفي المزدوج لا يمكن وصفه وصفاً مناسباً كما يؤدي دوره فى لمحات إنجليزية معينة دون أن نأخذ فى حسابنا عنصرى النبر والتنظيم ، وتجزئ قوانين اللغة الإنجليزية المشتركة (أى القوانين المناهضة فى السلوك القوى للمتكلمين بلهجة إنجليزية معينة) فذلك

(I didn't do nothing) (لنعمنى على وجه التقريب It's not true) (that I did nothing) بشرط أن تكون didn't منبورة أو أن تكون do nothing منطوقة بنبرة تنيل بشكل خاص وذلك مع تضمينات أو افتراضات مسبقة إضافية ، وفي اللهجات التي يكون فيها (I didn't do nothing) مع نهر عادي غير مشدد يمكن أن تعني (I didn't do anything) (يكون لها أيضا المعنى التي لها في اللغة الإنجليزية المشتركة غير أن النهر والتنغيم يمنعان اللبس ، وأخيرا يمكن أن نلاحظ وجود لغات كثيرة يذكر فيها ما يطلق عليه بنية النفي المزدوج في اللهجة الأدبية المشتركة وذلك مثل اللغة الفرنسية ، واللغة الإيطالية ، واللغة الأسبانية ، واللغة الروسية . ولا نذكر سوى قلة من اللغات الأوروبية الحديثة الأكثر شيوعا ، وحتى أعظم اللهجات مكانة في الإغريقية القديمة - الإغريقية الكلاسيكية كما استخدمت في كتابات أفلاطون (Plato) أو سوفوكليس (sophocles) أو ثوسيديدس (Thucydides) أو المؤسس الأول للمنطق أرسطو (Aristotle) نفسه - يوجد فيها بنية النفي المزدوج على الرغم من أن النحو التقليدي قد أخذ مصادره من وصف اللهجات الأدبية الإغريقية القديمة .

وبعض القواعد المعيارية الأخرى في النحو التقليدي مثل تحضة انقسام المصدر (... to clearly understand) أو الخاصة بـ (It's me) مأخوذة من تطبيق مبادئ وتصنيفات - أسست في المقام الأول لوصف الإغريقية واللاتينية - على اللغة الإنجليزية ، واللغات التي تكون فيها الصيغ التي ينطبق عليها مصطلح « مصدر » صيغ أحادية الكلمة هي اللغة الإغريقية واللغة اللاتينية ، واللغة الفرنسية ، واللغة الجرمانية ، واللغة الروسية . . الخ ، وتبعاً للنحو التقليدي فإن الصيغ الثنائية الكلمة (to understand) ، و (to go) . . الخ تسمى أيضا مصادر مع أن وظيفتها تشبه جزئياً فقط وظيفه

المصادر اللاتينية ، وكما رأينا أخيراً سواء أكانت الصيغة التي يمكن تسميتها (بالمعنى الذي نتحدث فيه عن المصدر المنقسم) أحد المعايير الأساسية التي يطبقها اللغوي ليقرر ما إذا كانت الصيغة موضع البحث صيغة أحادية الكلمة أم صيغة ثنائية الكلمة فمن المفترض أنه بواسطة معايير أخرى وبواسطة تقاليد الكتابة الخاصة باللغة المكتوبة ألا يكون هناك مانع من حيث المبدأ من أن ينقسم ما يسمى بالمصدر في اللغة الإنجليزية وهو في الصيغة الثنائية الكلمة ، وفيما يتعلق بالقد الموجه إلى (It's me) ... الخ فإن حقيقة الوضع الذي يشار إليه في النحو التقايدي باعتباره اختلاف في الحالة ^(١) (I في مقابل me ، و she في مقابل her ، و he في مقابل him ... الخ) لا يوجد في كل اللغات ، كما أنه لا يوجد شيء يمكن أن يعبر من خلال وظيفته وخصائصه النحوية كفعل يعني (to be) ، وأكثراً من ذلك فإن اللغات التي فيها كل من الحالة والفعل الذي يمكن تمييزه باعتباره مكافئاً لـ (ess) اللاتيني أو (to be) الإنجليزي تتنوع الأبنية الموجودة فيها وتعارض الحالة التي هي عليها بشكل مباشر القانون : الفعل « to be » يأخذ حالة واحدة قبله وبعده « ذلك القانون المعياري المؤسس على اللغة اللاتينية الذي لا يمكن أن يلتقي تأييداً على نطاق أ كثر اتساعاً .

ومما يسترعى الانتباه بشكل كاف أن كثيراً من المتكلمين الذين يمدون من وجهة نظر النحاة التقايديين نماذج جيدة للمتحدثين بالإنجليزية يقولون ويكتبون :

(١) الحالة (case) فصيلة نحوية (grammatical category) تستخدم في تحليل أصناف الكلمات (word classes) لتمييز العلاقة النظامية بين الكلمات في جملة ما من خلال تقابلات مثل الناعية والمفعولية ، والتصنيف التقليدي كما تجده في النحو اللاتيني يعتمد على تنوع الصيغ الصرفية للكلمة :

؛ between you and I ، و He told you and I ... الخ ،
ومثل هذه الأبنية تنقض قانونا معياريا آخرًا للغة الإنجليزية وهو أن الأفعال
وحرروف الجر تتحركان في مفعولهما في حالة المفعولية ، ومن المفترض أن
تكون هذه الأبنية قد نشأت نتيجة للمحن الاشتقاقية في أي النوسع في تطبيق
بعض الأسس والقوانين - على أساس من الفهم الخطأ والمجال تعليمية - على
جموعة من الظواهر لا تنطبق أساسا عليها ، وطبيعة القانون المعيارى مفهومة
خطأ - والكثير من المتكلمين ممن قد يقولون بطريقة طبيعية :
« you and me will go » لا يقولون أبداً « me will go » ، ولا « He told I »
ويفسر كبديل عن التوجيه (لمن يعانى رداءة الأداء في اللغة الإنجليزية)
بإحلال « you » و « I » مكان « you » و « me » (أو « me » و « you »)
في جميع مواضع ذكرها ، وهى لا تؤثر في إنتاج ما يقبل به النحوى التقليدى
على أنه صواب فحسب مثل « you and I will go together » ... الخ
ولكن تؤثر كذلك في إنتاج ما قد يدينه مثل : « you and I » ،
و « He told you and I » ... الخ ، وهو ما لا يتضمن بطبيعة الحال
أن المتكلم باللغة الإنجليزية يقول « between you and I » و « He told
you and I » ... الخ يقوم بنفسه بعملية إجراء التطبيق أو التطبيق
الخطأ للقانون التقليدى ، وهذه الأبنية شائعة الآن في كلام المتكلمين باللغة
الإنجليزية المشتركة من الطبقتين الوسطى والعليا في إنجلترا لدرجة أنه من
الواجب أن يتعلمها ربما معظم أولئك الذين يستخدمونها بطريقة طبيعية في
العملية العادية لاكتساب اللغة ، وثمة شك ضئيل - رغم ذلك - حول ما
إذا كانت نشأتها ترجع إلى عملية المحن الاشتقاقية .

ولا يمكن للمنطق كما لا يمكن لنحو اللغة اللاتينية أن يكونا بمثابة محكة
اهتداف هنما تكون بعدد ما إذا كان شىء ما في اللغة الإنجليزية صواباً

أم خطأ ، ولا يمكن كذلك أن يكونا سلطة لا معقب لها من التقليد من أجل التقليد (هنا ما تعلمته وما تعلمه آباؤى ، وما تعلمه آباء آباؤى) أو من أجل استخدام أولئك الذين ينظر إليهم على أنهم أفضل الكتاب فى اللغة ، ووجهة نظر شائعة فى مجتمعنا — أو كانت موجودة حتى وقت قريب — تذهب إلى أن التغير اللغوى يتضمن بالضرورة الخطأ أو فساداً فى اللغة ، وهى وجهة نظر لا يمكن الدفاع عنها ، فكل اللغات عرضة للتغير وهى حقيقة ثابتة بطريقة الاستقرار ، ومهمة علم اللغة التاريخى أن يبحث تفصيل التغير اللغوى عندما يكون متاحاً للبحث ، وأن يبنى نظرية تفسيرية للتغير اللغوى تسهم فى فهمنا لطبيعة اللغة ، والعوامل التى تحدد التغير اللغوى معتدة ولا نفهم حتى الآن إلا جانباً منها فحسب ، غير أنه يكفى ما هو معروف الآن — وما هو معروف منذ منتصف القرن التاسع عشر — لأن يكون واضحاً لأي مراقب غير متحيز للتغير فى اللغة أن ما هو مدان فى أى وقت باعتباره فساداً أو خطأ فى مستويات الاستخدام التقليدية يمكن دائماً أن يكون له مثيل فى تطور سابق من النوع نفسه فى الاستخدام الذى يتعامل معه التقليديون أنفسهم باعتباره صواباً غير قابل للخطأ .

وفى ما يتصل بمبدأ اتباع المستويات التى وضعها الكتاب السكبار المعروف بهم فإن هذا المبدأ لا يمكن الدفاع عنه كذلك — عدم إمكانية الدفاع يعنى فيها يتعلق بالاستخدام المتداول بشكل عام — فليس من سبب يدعونا للاعتقاد بأن الكتاب — حتى لو كان عبقرى — تحوطه العناية الإلهية بمعرفة موثوقة ، ومؤكد للقوانين الخارجية للصواب تمتنع عن بقيتنا ، وقد حدث ذلك لدرجة أن اكنسب النحو التقليدى نزعة أدبية قوية إلى حد بعيد ، ويرجع ذلك إلى أنه فى فترات هامة عديدة فى تطور الثقافة الأوروبية من فترة مدونة الإسكندرية — فى القرن الثانى قبل الميلاد إلى عصر النهضة

الإسانية - خضع لوصف النحوى بالإغريقية أولاً ثم اللاتينية لمهمة
عملية تجعل الأدب فى المرحلة الأولى من - ثالثة - التى لم - رابعة - لانياء
لا يستطيعون - يتكلموا بطريقة طبيعية نهضة الإغريقية أو اللاتينية التى
قامت عليها لغة النصوص الكلاسيكية ، وانزلة الأدب لقواعد الفليدية
لا يمكن أن توضح توضيحاً تاريخياً لحسب بل يمكن تبريرها إلى حد بعيد بقدر
ما يلحق وصف الإغريقية واللاتينية من الغم ، وهو ما لا يمكن تبريره إلى حد
بعيد عندما نأتى إلى الوصف النحوى للغات الحديثة للمنطقة .

ولا توجد مستويات صواب مطلقة فى اللغة ، واستطيع أن نقول عن أجنبي
إنه أخطأ إذا قال شئت ينتقض القريبن الداخلية فى استخدام المتكلمين
الأصليين ، ونستطيع أيضاً أن نقول - إذا أردنا - عن متكلم من يتكلمون
بلهجة إجتماعية أو إقليمية لغة الإنجليزية إنه تكلم بعارضة مخالفة للشحولو أن
قوله انتقض القوانين الداخلية فى اللغة الإنجليزية المشتركة ، غير أننا فى قولنا
هذا نفترض بالطبع أن هذا المتكلم يقصد أو ربما يجب أن يقصد استخدام
اللغة الإنجليزية المشتركة ، وهو افتراض يحتاج فى حد ذاته إلى إثبات .

ويجب أن نؤكد الآن - وهذه نقطة قد أسىء فهمها كثيراً - أنه عند رسم
مميز بين الوصف والمعايرة لا يقول النحوى بعدم وجود مكان على أية حال
لنأسيس مستويات الاستخدام ومعايرتها فهناك فوائد تعليمية وإدارية واضحة
فى مألنا للعاصر لتوحيد اللهجة الأساسية التى تستخدم فى دولة معينة أو فى منطقة
معينة ، وعملية التوحيد هذه حدثت خلال فترة طويلة فى بلدان غربية كثيرة
بتدخل من الحكومة أو بدون تدخل منها ، وهو ما يحدث الآن بشكل
فتزايد فى كثير من البلدان النامية فى إفريقيا وآسيا كسياسة رسمية ، ومشكلة
الختيار لغة معينة أو لهجة معينة وتوحيدها وتدعيمها على حساب غيرها أمر

محذوف المصاحب الاجتماعية والسياسية ، وهو قسم مما منسب إليه النخب الطغوى
وعد أحد النطاعات الهامة في مجا : دلم الاجتماع الطغوى التسميقي .

ويجب ألا نعتقد أن إنكار الطغوى أن يكون كل تغير في اللغة تغيراً
لأسوأ ، يعنى ضمناً أن يكون التغير في اللغة تغييراً إلى الأفضل ، فهو لا يعبر
إلا عن شكوكه في الإعجاب الدال على عدم التفكير في معايير مشكوك فيها
تجريبياً ، ويسلم بأنه قد يكون من الممكن - من حيث المبدأ - أن نقسم اللهجات
واللغات من خلال ما يتصل بها من مرونة ، وإمكانية التعبير ، والدقة ،
والإمكانات الجمالية ، كما يسلم باننا كيد بأن استخدام للتكلمين والكتاب
- الأفراد - لهمجتهم أو لغتهم يتفاوت فعاليتيه ، ومع ذلك لا يستطيع إلا أن
يقرر - على أساس من العمل الأكثر اتصافاً بالعلمية الذي أخرى على اللغة
واللغات في الأعرام الأخيرة - أن معظم الأحكام حول هذه الأمور ذاتية إلى
حد بعيد ، والطغوى باعتباره أحد أفراد الجماعة الطغوية له تميزاته الخاصة وهي
إما تنصل به شخصياً أو تستمد من خلفيته الاجتماعية والثقافية والجغرافية ،
وقد يكون محظاً أو تقديماً حسب مزاجه ، وموافقته تجاه لغته الخاصة إن
تكون أقل ذاتية في هذا الخصوص من موافق غير للتخصص ، فقد يجد في
نبرة معينة أو لهجة معينة ما يرضيه أو ما لا يرضيه ، وقد يصحح حتى كلام
أطفاله إذا وجدهم يستخدمون طريقة في النطق أو تركيباً نحوياً يتجههم له
المتشددون ، ولكنه وهو يفعل ذلك - إن كان صادقاً مع نفسه - يعرف أن
ما يصححه ليس خطأ متأسلاً ، لكنه خطأ متصل ببعض المستويات التي يرغب
لأولاده أن يتبنوها لأسباب تنصل بالمكانة الاجتماعية أو الفائدة التربوية .

وبقدر ما يلقى موقفه من اللغة لأربية من عمالية يكشف الطغوى ببساطة أن
اللغة تُستخدم في العديد من الأغراض ، وأن استخدامها فيما يتصل بهذه

الأغراض لا يجب أن يحكمه معايير يمكن تطبيقها على اللغة الأدبية بمفردها أو عليها بصفة أساسية ، وهذا لا يفي أنه يعادى - بأى شكل من الأشكال - الأدب أو دراسة الأدب في مدارسنا وجامعاتنا ، ففى العكس من ذلك نجد كثر من اللغويين لم يهتموا بالبحث فى الأغراض الأدبية التى توظف لها اللغة ويمكن نجاحها فى تحقيق تلك الأغراض ، وهو ما يعد جزءاً هاماً إلى حد بعيد - من الفرع المعروف بعلم الأسلوب فى علم اللغة للموضع .

خامساً : أولوية الوصف التزامنى

مبدأ أولوية الوصف التزامنى الذى يميز معظم النظرية اللغوية فى القرن العشرين يعنى ضمناً ألا تكون الاعتبارات التاريخية متصلة بموضوع بحث حالة متعلقة بزمان معين لغة ما ، وقد ورد من قبل مصطلحا دى سوسير: وصفى « Synchronic » وتاريخى « diachronic » (انظر ٢ - ١) ويمكننا أن نستخدم إحدى ثنائيات دى سوسير لنوضح أولوية الوصف التزامنى على الوصف التاريخى .

دعنا نقارن التطور اللغوى لغة معينة بمباراة شطرنج تدور أمامنا ، فحالة المسطح الخشبي تتغير باستمرار كما أدى لاعب حركته ، ورغم ذلك فإنه فى أى وقت من الأوقات يمكن أن يوصف وضع المباراة وصفاً إجمالياً من خلال الأوضاع التى تشغلها قطع الشطرنج (وفى الواقع إن هذا الوصف ليس صحيحاً تماماً فعلى سبيل المثال ينادر وضع المباراة بقدر ما تلتقى إمكانيات النحسين من هناية بتعريك الملك من مكانه الأصل وإليه ، ويمكن أن نهمل مثل هذه النقاط التفصيلية الثانوية التى يمكن أن تتحطم فيها ثنائية دى سوسير) دون اهتمام بخط اللامين التى بلغت وضعا معداً فى المباراة ، وبغض النظر عن هذه

الحركات السابقة أو طبيعتها أو ترميمها، فالحالة الراهنة للمجازاة يمكن أن توصف وصفاً تزامنياً دون الإشارة إليها ، وكذلك الأمر تبعاً لوسبر فيما يتعلق بالتطور التاريخي للغات وكل لغات تتغير باستمرار ليسكن كل حالة من الحالات المتماثلة للغة ما يمكن - ويجب - أن توصف في حد ذاتها دون الإشارة إلى الحالة التي تطورت منها أو التي يبدو أنها ستتطور إليها .

وقد يبدو ذلك كله نظرياً وبمجرداً بدرجة عالية غير أن له تضمينات عملية إلى حد بعيد ، ولما يتعلق بما سأدعوه الزيف التأصيلي ، والتأصيل^(١) دراسة أصول الكلمات وتطورها ، وقد أخذ وجهته - بقدر ما تلمق التقليدية النحوية الغربية من اهتمام - في تأملات بعض الفلاسفة الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد ويكشف مصطلح التأصيل عن نفسه بنفسه ، فالمصطلح يتضمن الحروف اللاتينية التي تكتب بها صيغة الكلمة الإغريقية (etymos) ومعناها أصل أو حقيقي ، وتبعاً لإحدى مدارس فلاسفة القرن الخامس ترتبط كل الكلمات بطريقة طبيعية أكثر منها عرفية - بما تشير إليه ، وقد لا يكون هذا الارتباط واضحاً لغير المتخصص غير أن الفلاسفة يستعملون توضيحه حيث يستعملون لإبانة الحقائق التي تقع وراء مظاهر الأشياء ، واختراق المظاهر المختلفة عادة بالتحليل الدقيق للتغيرات التي تحدث في تطور صيغة كلمة ما أو معناها للكشف عن أصل الكلمة ، ويكشف معناها الحقيقي عن إحدى حقائق طبيعتها ، وما أشرت إليه بالزيف التأصيلي هو ذلك الافتراض الذي يذهب إلى أن الصيغة الأصلية أو المعنى الأصلي لكلمة ما - بالضرورة وبفضل الحقيقة المجردة - هي الصيغة الصحيحة أو المعنى الصحيح ، وهذا

(١) التأصيل (etymology) مصطلح يستخدم استخداماً تقنياً لدراسة أصول صيغ الكلمات ومعانيها ، وبدلاً من أن يأخذ التأصيل طرائقه ومناهجه فن علم اللغة (وبصفة خاصة علم الدلالة) فإنه قد يبدو فرعاً من علم اللغة التاريخي؛

الافتراض بتمسك به على نطاق واسع ، كيف نواجه عادة القول بأن كلمة كذا وكلمة كذا بسبب مجيئهم من اللغة الإغريقية ، أو اللغة اللاتينية ، أو اللغة العربية ، أو أي لغة أخرى يجب أن يكون معناها الصحيح في لغة الأصل ! وهذا القول غير صحيح لأن الافتراض المفهوم ضمنا للمعقبة الأصلية أو التوافق المناسب بين الصيغة والمعنى التي يقوم عليها القول لا يمكن إقامة الدليل عليه

وقد قام التأصيل في القرن التاسع عشر على أقدام ثابتة أكثر مما كان عليه في الفترات السابقة ، وليس هناك أنسب مما قرره فولتير (Voltaire) من أن التأصيل علم لا تلقى فيه الحركات إهتماما بينما تلقى الصوامت قليلا من الإهتمام ، وبعد التأصيل - كما يمارس اليوم - فرعا هاما من فروع علم اللغة التانيخي وللتأصيل - كما سيري في الفصل السادس - أسسه المنهجية الخاصة التي تعتمد بشكل متوافق به على شواهد كمية ونوعية تحتشد عليها ، وفي أمثلة مواتية تكون اللغة في إعادة البناء التأصيلي حقيقية إلى حد بعيد .

ومن النقاط التي أصبحت واضحة لعلماء التأصيل في القرن التاسع عشر ، ويعلم بها الآن كل اللغويين أن معظم كلمات معجم أي لغة من اللغات لا يمكن العودة بها إلى أصولها ، والكلمات التي خلقت عن عمد عن طريق استعارة صيغ من لغات أخرى أو باستخدام أي قاعدة أخرى ليست نموذجا للمفردات ككل ، وينطبق ذلك أيضا - وبإتفاق - على ما يعتبر مفردات أكثر أساسية وغير اصطلاحية في لغة من اللغات ، وما يقوم به عالم التأصيل اليوم أنه يربط الكلمات الخاصة بجماعة ما يمكن وصفها وصفا تزامنيا بما يصدق عليها أو بما أعيد بنسبته من حالات سابقة من اللغة نفسها أو من بعض الملفات الأخرى ، لكن كلمات الحالة السابقة لغة نفسها أو كلمات اللغة الأسبق تطورت هي أيضا من كلمات أخرى قبلها ، وما إذا كانت الصيغ أو المعاني الخاصة بهذه

الكلمات الأسبق **يمكن** أن تكشف عنها مسائل علم الناصيل أم لا يعتمد على الشواهد الباقية **على** قيد الحياة ، فعلى سبيل المثال يمكن أن تربط الكلمة الإنجليزية المعاصرة « **cell** » بالكلمة الإنجليزية القديمة التي صيغتها « **cellan** » (بحركة طويلة) أو « **celen** » ، ويمكننا أن نربط الكلمة الإنجليزية القديمة - من خلال حالات افتراضية متعاقبة - بالكلمة الهندية الأوروبية الأم « **celan** » بناؤها بالصيغة « **celan** » ومعناها أيضا « **celan** » لكننا لا نستطيع أن نذهب بأى قدر من الثقة **وراء** ذلك ، وحتى الكلمة الهندية الأوروبية الأم « **celan** » - العلامة النجمية التي تصدر الكلمة تبين أنها معادة البناء وليست حقيقة (انظر : ٦ - ٣) - لا تعد بشكل واضح أصلا بأى معنى تام لسلك الكلمات التي تطورت منها **في** اللغات التي يمكن أن نحدد هويتها على أنها تنسب إلى الأسرة الهندية الأوروبية ، فمن المؤكد أنها نفسها قد تطورت من كلمة أخرى (قد تكون وقد لا تكون بمعنى « **celan** » - لا توجد طريقة لمعرفة ذلك) تنسب إلى معجم **لغة** أخرى ، وهذه الكلمة بدورها جاءت من كلمة أخرى أصبق في لغة أخرى **وهلم** حرا ، وعموما فإن علمه الناصيل لا يستنوز هذه الأيام بأصول **الكلمات** ، وفي الحقيقة إنهم يذهبون إلى أنه في كثير من الأمثلة (مثل كلمة « **celan** ») لا معنى للاستفسار عن أصل كلمة ما ، وكل ما يستطيع علماء الناصيل أن يخبرونا به - بشقة تزيد وتنقص حسب الدليل - أن كذا وكذا هو الصيغة أو المعنى الخاص بكلمة معينة لسلف مفترض أو معروف بشكل معين في القدم .

ويصل بنا ذلك إلى طريق من أكثر العارق التي تتعظم فيها ثنائية سوسير وضوحا ، **وسلك** **مباراة** شطرنج تدور وفق قواعد ، وهي تامة أى لها بداية محددة ونهاية **محددة** ، وذلك بخلاف اللغة ، ولا ينحصر ذلك في قضية أن للغات (يقدرها **نعلم**) بدأت من وضع واحد ثم تطورت بأشكال غلخلة ،

لكن من المستحيل أن نؤرخ لبداية لغة من اللغات إلا إذا كان الأمر لا يتعدى الاتفاق الاعتباري والتقريب ، فلا نستطيع على سبيل المثال أن نقول في أي وقت صارت اللغة اللاتينية المنطوقة لغة فرنسية قديمة أو لغة إيطالية أو لغة إسبانية ، ولا نستطيع أن نقول في أي وقت انتهت لغة من اللغات باستثناء اللغات التي أصبحت هامة بشكل مفاجئ إلى حد ما في الوقت الذي مات فيه آخر متكلم أصلي بها ، فاللغات من وجهة النظر التاريخية ليس لها بدايات محددة أو نهايات محددة ، وما إذا كنا سنذهب إلى أن اللغة الإنجليزية القديمة واللغة الإنجليزية الحديثة حالتان للغة واحدة أم أنهما لغتان مختلفتان هو في الملاذ الأخير حالة من الاتفاق والمواثمة .

ويوجد كذلك طريق آخر تنحطم عليه ثنائية دي سوسير ، فبإشارة للشطرنج تحكمها قواعد مصوغة بوضوح وفي إطار يخضع لهذه القواعد ، ويحدد اللاعبون مجرى أي مباراة معينة فهي بين لاعبين أحدهما في مواجهة الآخر ، ويحددون أيضا الهدف للاعتراف به منها ، وبقدر ما نعلم ليس هناك اتجاه في التطور التاريخي للغات وربما كانت هناك مبادئ عامة معينة تحدد مراحل الانتقال من حالة لغة ما إلى حالة أخرى ، ولكن حتى إذا وجدت مثل هذه المبادئ فلا يمكن مقارنتها مع قوانين مباراة يجريها الإنسان مثل الشطرنج ، وسوف نلقى نظرة على ما يطلق عليه قوانين التغير اللغوي في الفصل السادس .

ومبدأ أولوية الوصف التزامي يفهم منه عادة أنه يحمل ما يتضمن أنه بينما يعتمد الوصف التزامي على الوصف التاريخي فإن الوصف التاريخي يفترض سلفا التحليل التزامي السابق للحالات المتتالية التي تمر من خلالها اللغة في مجرى تطورها التاريخي ، وربما لم يكن هذا وجهة نظر سوسير لكنه يترتب بالضرورة على ما يجد افتراضات مقبولة الآن هل نطاق واسع حول طبيعة التنظيم اللغوي .

ويتحدث اللغويون أحيانا بطريقة غامضة إلى حد ما كما لو كان مرور الوقت في حد ذاته كافيا لتوضيح تغير اللغة ، وهناك عوامل كثيرة مختلفة داخل اللغة وخارجها يمكن أن تكون سببا في تغير حالة تزامنية إلى حالة تزامنية أخرى ، وبعض هذه العوامل - وربما كان أكثرها أهمية - اجتماعية ، و مرور الزمن وحده يسمح لهذا التفاعل المعقد أن يحدث ما يميز فيما بعد كمرحلة انتقال من حالة لغة لحالة أخرى .

وأكثر من ذلك فإن مفهوم التطور التاريخي بين الحالات المتعاقبة لغة ما يكون ذا أهمية إذا ما طبق فقط على ما يتصل بالحالات اللغوية التي تبعد نسبيا فيها الواحدة عن الأخرى من حيث الزمن ، وقد أشرت من قبل لما أسميته تصور التجانس وهو مفيد وضروري فيما يتصل بهذا الموضوع ، وعلى كل حال إذا افترضنا أن التغير اللغوي يشمل تحويلا مستمرا عبر الزمن لما يكون في أي وقت نظاما لغويا متجانسا إلى حد بعيد ، فإن العملية الكاملة للتغير في اللغة متبدوا أكثر غموضا بكثير عما هي عليه في الحقيقة ، وما يميز كلام مجموعة قليلة من أفراد جماعة لغوية لا وزن لها من حيث الظاهر في وقت من الأوقات قد ينتشر فيما بين معظم الجماعة عبر جيل واحد أو جيلين ، وربما كان مشروعا إلى حد بعيد للغوي الذي يصف اللغة وصفا تزامنيا في أي من هاتين النقطتين الزمنيتين أن يحمل كلام الأقلية المختلف ، لكنه إذا فعل ذلك واستمر يتكلم تاريخيا من أن أحد النظام اللغوية للتجانسة من الناحية التزامنية قد تحول إلى نظام لغوي آخر متجانس بصورة مماثلة فإنه سيكون متما بتشويه الحقائق ، وأصوأ من ذلك أنه يخاطر بأن يخلق لنفسه مشكلات نظرية زائفة لا حل لها ، وبالمرء فإننا ندرك أنه ليست هناك لغة ثابتة أو موحدة حتى الآن ، وبذلك نكون قد دخلونا الخطوة الأولى تجاه التفسير النظري لاستمرارية التغير

اللغوى من حيث الزمان، ومن حيث المكان، ولو أننا أخذنا حالتين تاريخيتين محددين اللغة ما لم تفصل بينهما فترة زمنية طويلة فن المحتمل أن نجد أن معظم الاختلافات بينهما موجودة كذلك كتشوع تزامنى فى كلا المرحلتين السابقة واللاحقة، ومن وجهة نظر المجهرية - باعتبارها متميزة عن وجهة النظر المجردة التى يتبناها المرء عادة فى علم اللغة التاريخى - من المستحيل أن نرسم مميزاً حاداً بين التغير التاريخى والتنوع التزامنى .

والخلاصة إن مبدأ أولوية التنوع التزامنى صحيح لكنه بدلا من أن يعتمد على تصور التجانس يجب أن يطبق بوعى وإدراك تام للمعالات النظرية الخاصة بتصور النظام اللغوى ، وهو ما يتصل بالنقطة التى منتحول الآن إليها.

سادساً : البنية والنظام

من تعريفات اللغة التى اقتصرت فى الفصل الأول تعريف تشومسكى «مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل ، كل جملة محدودة فى الطول ، ومركبة من مجموعة محدودة من العناصر» (انظر : ١ - ٢) ودعنا نتبنى هذا التعريف باعتباره تعريفا جزئيا لمصطلح «النظام اللغوى» الذى أدخلناه - وسوف نعود إليه - لتوضيح بعض الملبس الذى يرتبط بالكلمة الإنجليزية ^(١) « Language » .

وبقدر ما تنصف النظم اللغوية بهذا التعريف بالثبات والوحدة لا يمكن أن تتعاقب مع اللغات الطبيعية الحقيقية فهى أبنية نظرية يفترضها اللغوى لشرح تلك الأشياء المطردة التى يجدها فى السلوك اللغوى لأفراد جماعة لغوية معينة ، وبصورة أكثر وضوحاً فى الإشارات اللغوية التى تعد نتاجا لسلوكهم

اللفوى ، واللغات الطبيعية الحقيقية — كما رأينا — ليست ثابتة ولا متجانسة ، وعلى كل حال فهناك ثبات وتجانس كافيان في كلام أولئك الذين نعتبرهم بشكل عام متكلمين بلغة واحدة لافتراض اللفوى لنظام لفوى تحت مشترك نافع ومسوخ بطريقة علمية ما لم يكن بحدود التعامل صراحة مع الاختلاف التاريخي والتزامي ، وخلال الفصول الثلاثة القادمة سوف نسلم بصحة مفهوم للنظام اللفوى كما هو محدد ومفسر هنا .

والإشارات اللغوية التي يصدرها للتكلم الإنجليزي في فترة زمنية محددة بعضها يصنف على أنها جل للغة وبعضها لا يصنف على أنها كذلك ، ولسنا في حاجة إلى أن نستفسر في هذه المرحلة عن المعايير التي يتم بفضلها هذا التفسير إلى جل ولا جل ، ويوجد بشكل واضح مبادئ تحدد بناء نصوص ومقالات أكثر اتساعاً ، وأكثر من ذلك فإن بعض هذه المبادئ يمكن بشكل معقول أن يتهم أي شخص يخل بها بكسر قواعد اللغة ، ورغم أن الافتراض التقليدي الذي يذهب إلى أن معظم — إن لم يكن كل — ما أشمله معرفة لغة من اللغات يمكن تفسيره بواسطة بناء الجمل وتفسيرها لم يسلم في السنوات الأخيرة من التحديات فإنه لا يزال مقبولاً لدى أغلبية اللغويين .

دعنا نقول إن الجمل هي تلك التي تحددها علامة الترقيم في اللغة المكتوبة حسب ما هو متعارف عليه ، واللغات الطبيعية — كما رأينا — لها خاصية إمكانية التحول في الوسيلة (انظر : ١ - ٤) ، وهذا يعني — بصفة عامة — أن أي جملة في اللغة المكتوبة يمكن أن توضع في حالة تناظر مع جملة في اللغة المنطوقة والعكس بالعكس ، والجمل المنطوقة — بطبيعة الحال — ليست مرقمة كذلك بأي شيء مكافئ على نحو دقيق للحرف الكبير الابتدائي أو للنقطة التي تنتهي بها الجملة أو علامة الوقف التام للجمل المكتوبة ، ومع ذلك لنستطيع (١٠٦ - اللغة)

لأغراضنا الحالية أن نقيم تسكانوا غير دقيق ولكنه واف بالفرض بين هلامات الترقيم في لغة مكتوبة وأنماط التنظيم في اللغة المنطوقة المناظرة لها .

وقد ظهر مصطلح « بنية » بصورة بارزة في علم اللغة الحديث كما ظهر في كثير من فروع المعرفة ، ولو أننا تبيننا وجهة النظر التي هجر عنها لأول مرة صوبها وهي مقبولة الآن لدى كل أولئك الذين يؤيدون مبادئ البنيوية فلن نقول إن نظاماً لغوياً ماله بنية فحسب ولكن إنه بنية ما ، فعلى سبيل المثال بقدر ما تتشاكل اللغة الإنجليزية المنطوقة والغة الإنجليزية المكتوبة (أي يكون لها بنية واحدة) تكونان لغة واحدة ، وليس هناك قاسم مشترك بينهما إلا البنية التي تشتركان فيها ، والنظام اللغوي نفسه — من حيث المبدأ — مستقل عن الوسيلة التي يتحقق بها ، فهو بهذا المعنى بنية مجردة تماماً .

والنظم اللغوية أبنية مزدوجة المستوى أي لها خاصة الازدواجية (انظر : ١ - ٥) فالجمل المنطوقة ليست مجرد مجموعة مؤلفة من العناصر الفونولوجية ، فهي أيضاً مجموعة مؤلفة من الوحدات النحوية ، وتعريف تشومسكي الجزئي للنظام اللغوي باعتباره مجموعة من الجمل كل جملة منها محدودة في الطول ومركبة من مجموعة عناصر محدودة يجب أن يتسع ليأخذ في اعتباره هذه الخاصة الجوهرية في اللغات الطبيعية ، ومن المحتمل منطقياً أن يتشاكل نظامان لغويان في مستوى دون أن يتشاكل في المستوى الآخر ، وفي الواقع كما أوضحنا من قبل أنه بسبب التشاكل الوثيق بصورة كافية من الناحية النحوية فإن ما يعرف بلهجات اللغة الصينية (على الرغم من أنها بعيدة عن أن تكون متشاكله من الناحية الفونولوجية) يمكن أن نوضع لغة واحدة مكتوبة غير أبجدية في حالة تناظر حسن على حد سواء مع كل منها ، ومن المحتمل كذلك أن تتشاكل اللغات من الناحية الفونولوجية لسكنها لا تتشاكل من الناحية وهذا الاحتمال يتحقق بدرجة تزيد أو تنقص لنقل من خلال متكلم

أصل اللغة الإنجليزية يتكلم لغة فرنسية سليمة من الناحية النحوية بل يمكنه الإنجليزية رديئة بصفة خاصة، والأكثر إثارة أن استقلال النحو والفونولوجيا يظهر عادة بشكل مثير إلى حد بعيد في عملية التوليد اللغوي (أنظر : ٩ - ٣).

اللغات الطبيعية إذن لها مستويان للبنية وهذان المستويان مستقلان بمعنى أن البنية الفونولوجية للغة مالا تحدها بليمتها النحوية، ولا نرغب على أى حال في أن نقول إن أى لغتين طبيعيتين يلزم أن يكون من الممكن سماع كل جملة منعققة أو مكتوبة كما لو كانت جملة في اللغة الأخرى (مع اتحاد المعنى أو اختلافه)، غير أنه يحدث، بشكل متكرر كنتيجة لاستقلال البنية النحوية والبنية الفونولوجية أن لا تمثل مجموعة واحدة مؤلفة من العناصر (أصوات في الكلام وحروف في الكتابة الأبجدية) جملة واحدة بل جملتين أو أكثر، وقد تتميز هذه الجمل الواحدة منها عن الأخرى بالتنظيم أو علامات الترقيم مثلما يمكن أن يبدو على هذا النحو :

(١) John says Peter has been here all the time.

(٢) John, says Peter, has been here all the time.

في اللغة الإنجليزية المكتوبة بواسطة الترقيم، وتتميز عادة الجملتان (١)، (٢) الواحدة منهما عن الأخرى في اللغة الإنجليزية المنطوقة بواسطة نمط التنظيم المركب عليهما، غير أنه يمكن أن تمثل مجموعة واحدة مؤلفة من العناصر أكثر من جملة واحدة حتى بدون اختلاف في نمط التنظيم أو علامات الترقيم فعلى سبيل المثال :

(١) قال جون : إن بتر كان هنا طوال الوقت .

(٢) جون كان هنا طوال الوقت هكذا قال بتر .

(3) we watched her box^(١)

يمكن أن تكون إحدى جملتين إنجليزيتين ، تكون « her » في إحداها صيغة - صفة (أنظر : his) ، وتكون « box » صيغة - اسم (انظر : suitcase)^(٢) ، وفي الأخرى تكون « her » صيغة - ضمير ، (: انظر : him) ، وتكون « box » صيغة - فعل (انظر : « wrestle »)^(٣) ولسنا في حاجة إلى التعلق على تبرير التحليل النحوي التقليدي للجملة (3) والذي نهتمك إليه تلميحاً ، وهو أمر سوف نشرع في معالجته فيما بعد ، وبني بالعرض الآن أنه يجب أن نثبت أن الجمل - كما نعرف تقليدياً - لا يمكن تمييز الوحدة عن الأخرى بواسطة العناصر الفونولوجية التي تتركب منها ، وفي الواقع كما يمكن أن نرى من الجملة (3) لا يمكن تمييزها حتى من خلال الوحدات النحوية التي تتركب منها دون أن نأخذ في الاعتبار جوانب أخرى من البنية النحوية تشمل مهمة الوحدات النحوية التي يطلق عليها تقليدياً « أقسام الكلام » (اسم ، فعل ، صفة ... إلخ) .

والوحدات النحوية التي تتكون منها الجمل لا تشبه العناصر الفونولوجية فهي كثيرة كثيرة هائلة ، ومع ذلك فهي مثل العناصر الفونولوجية محدودة العدد ، دعنا نقول إن كل نظام لغوي يفترض سلفاً وجود قائمة محدودة من العناصر ومفردات محدودة من الوحدات (البسيطة) بالإضافة إلى مجموعة من القواعد (قد تكون من أنواع عديدة) تقيم علاقة متبادلة بين مستويات البنية وتجبرنا من أي المجموعات المؤتلفة من الوحدات تكون جملاً في النظام اللغوي وأي منها - بشكل ضمني إن لم يكن بشكل صريح - لانكون جملاً فيه ، ويجب أن يلاحظ - كما سنرى فيما بعد - أن مفردات لغة ماليسيت

(١) بمعنى رأينا حقيبتها ، ورأيناها تنازل .

(٢) حقيبة سفر (مستطيلة مسطحة) .

(٣) يتصارع .

مجموعة وحدات نحوية فقط ، ولا يؤثر على جوهر ما قلناه هنا تهديلات أو تهذيبات اصطلاحية قد تدخل في الفصول التالية .

وفيما نحن بصدده يمكن أن نعتبر ما يطلق عليه « الوحدات النحوية » صيغاً أى مجموعة مؤلفة من العناصر تكون كل مجموعة مؤلفة يمكن تمييزها صيغة مميزة ، لكن الصيغ بهذا المعنى لها معنى ، ومعانيها بعيدة عن أن تكون مستقلة عن وظائفها النحوية وهو ما يتضح في حالة صيغة « her » و « box » في الجملة (3) ، وبالنظرة التقليدية يجب أن يكون هناك كلمتان (على الأقل) مختلفتان في مفردات اللغة الإنجليزية دعنا نمثل لهما (بعلامات اقتباس مفردة) بـ « box₁ » ، و « box₂ » على الترتيب ، وتختلف هاتان الكلمتان في كل من المعنى والوظيفة النحوية لكنهما تشتركان في صيغة واحدة « box » ، وسوف نجعل فيما بعد ذلك المميز التقليدي بين صيغة ما والوحدة التي تكون منها هذه الصيغة أكثر وضوحاً ، وسنرى ونحن نفعل ذلك أن مصطلح « كلمة » - كما يستخدمه كل من اللغويين وغير المنحصرين - ملبس بدرجة كبيرة .

وكل جملة - وفقاً لتعريفها « صحيحة البنية » (well-formed) من الناحية النحوية ومن الناحية القونولوجية في النظام اللغوي التي تكون فيه جملة ، ومصطلح « صحيح البنية » أكثر اتساعاً من المصطلح الأكثر تقليدية « الصواب النحوي » (grammatical) لكنه يندرج تحته ، وطبيعية « الصواب النحوي » (أى صحة التركيب النحوي) صناقشه في الفصل الرابع ، ويكفى هنا ألا نجعل « صحة البنية » (ويشمل الصواب النحوي) يلحس بالمقبولية أو إمكانية الاستخدام أو حتى إفادة المعنى ، فهناك جمل كثيرة بلا حدود في اللغة الإنجليزية وفي اللغات الطبيعية الأخرى

لا تذكر عادة لأسباب متنوعة فهي قد تحتوي على مجاورة غير مقبولة لقول فاحش أو كلمات كسرية ، وربما كانت مربكة من الناحية الأسلوبية ، أو معقدة بصورة مفرطة من وجهة النظر الـبيكولوجية ، وربما كانت متناقضة مع نفسها ، وربما كانت تصف مواقف لا تحدث في عالم المجتمع الذي يستخدم اللغة موضع البحث ، وأى مجموعة مؤلفة من عناصر أو وحدات لغة معينة (L) ليست صحيحة التركيب بواسطة قوانين اللغة (L) تكون عملية التركيب فيما يتعلق باللغة (L) ، والمجموعات العملية التركيب المؤلفة من عناصر أو وحدات يمكن تمييزها بالعلامة النجمية^(١) المتقدمة عليهم لذلك فإن الجملة:

(4) * He weren't doing nothing

جملة عملية التركيب ، وهي في الواقع غير صحيحة نحويا فيما يتعلق باللغة الإنجليزية المشتركة ، ومع ذلك فهي صحيحة البنية في بعض اللهجات الإنجليزية غير المشتركة ، ويوضح هذا للشال النقطة الأعم إذ إن اللغات المختلفة قد تتركب من ذات العناصر والوحدات ، ويكون ما هو « صحيح البنية » في لغة من اللغات « دليل البنية » فيما يتعلق بلغة أخرى ، ومع أن هذه النقطة قد أوضحت بشأن لهجتين للغة واحدة إلا أن الأمر يرتبط من حيث المبدأ بما بعده لغات مختلفة تماما .

ويمكن أن يقال أكثر من ذلك هنا عن بنية النظم اللغوية ، ومن الأفضل أن يترك ذلك إلى الفصول التي ستعالج الفونولوجيا ، والنحو ، والدلالة حيث

(١) يجب ألا يلتبس استخدام العلامة النجمية لتمييز اعتلال التركيب مع الاستخدام الشائع على حد سواء والمؤسس من فترة أطول في علم اللغة التاريخي ليميز الصبغ المعاد بنائها (انظر : ٢ - ٥) ويوضح السياق أى الاستخدامين هو المقصود (المؤلف)

يمكن أن تعرض النقاط العامة بشكل تعريجي ، وأن تضرب لها الأمثلة مع تفصيل أعظم ^(١) .

وقد بدأنا هذا القسم بقبول تعريف تشومسكي للغة (أى النظام اللغوى) كمجموعة من الجمل ، ومن الأفضل أن نعتقد أن النظام اللغوى يتكون من قائمة محتويات من العناصر ، ومفردات الوحدات ، والقوانين التى تحدد الجمل صحيحة للبلدية على كلا المستويين ، وهو ما سنفعله من الآن ، ومع الأخذ والرد وفى ظل تعريف مناسب للجملية تتطابق طريقتنا التفكير فى النظم اللغوية .

(١) يستخدم مصطلح « بنية » ومصطلح « نظام » بصورة متكررة وعلى الأخص فى علم اللغة البريطانى بمعنى خاص ، فمصطلح « نظام » يكون لآى مجموعة من العناصر أو الوحدات التى يمكن أن تذكر فى موضع واحد ، ومصطلح « بنية » يكون لآى مجموعة مؤلفة من العناصر والوحدات الناتجة عن اختيار مناسب فى مواضع معينة ، وبهذه الطريقة يكون تعريف المصطلحين متكاملين فكلاهما يفترض سافا الآخر ، فالنظم تؤسس لمواضع معينة فى الإبنية ، والإبنية تتحدد بواسطة اختيارات مأخوذة من النظم (انظر بيرى (Berry) ١٩٧٥) . ويستخدم فى هذا الكتاب المصطلحان : « نظام » و « بنية » بمعنى أكثر عمومية (المؤلف) .

الفصل الثالث

أصوات اللغة

أولا : الوسيطة الصوتية

مع أن النظم اللغوية مستقلة إلى حد بعيد عن الوسيطة التي تتحقق^(١) من خلالها فإن الأداة الأساسية أو الطبيعية للغات الإنسانية هي الأصوات، ولهذا السبب كانت دراسة الأصوات أكثر أهمية — في علم اللغة — من دراسة الكتابة أو الإيماءات أو أي وسيلة أخرى سواء أ كانت موجودة بالفعل أم موجودة بالقوة، ولا يهتم اللغوي بالأصوات في حد ذاتها ولا بالإطار السكلي لها، إنه يهتم بالأصوات التي تصدرها أعضاء النطق الإنسانية بقدر ما يكون لهذه الأصوات دور في اللغة، ودعنا نشير إلى هذا الإطار المحدود من الأصوات بالوسيطة الصوتية، ونشير إلى الأصوات الفردية داخل هذا الإطار بأصوات الكلام، ويمكننا أن نعرف علم الأصوات (phonetics) الآن بأنه دراسة الوسيطة الصوتية.

ويجب أن نؤكد أن علم الأصوات يختلف عن الفونولوجيا، وأصوات الكلام لا تتطابق مع العناصر الفونولوجية التي أشرنا إليها في أقسام سابقة،

(١) التحقق (realisation) أو (manifestation) مصطلح يستخدمه بعض اللغويين ليشيروا إلى التعبير الفيزيائي للوحدة اللغوية المجردة ويشير في التنكيفية (tagmemics) ، (العلاقة بين الوظيفة النحوية وما يشغلها) إلى التعبير الفيزيائي للوحدة المجردة : emic

الفونولوجيا كما رأينا جانب من دراسة النظم اللغوية ووصفها ، يختلف هن النحو ويختلف أيضاً عن الدلالة ، وتعتمد الفونولوجيا على نتائج علم الأصوات (على الرغم من اختلافها تبعاً للنظريات المختلفة في الفونولوجيا) لكنها بخلاف علم الأصوات لا تتناول الوسيلة الصوتية في حد ذاتها . وتعالج الأقسام الثلاثة الأولى من هذا الفصل - بشكل مبسط قدر الإمكان - التصورات والتصنيفات الأساسية في علم الأصوات وذلك لأهميتها في فهم نقاط أثرت في مكان آخر من هذا الكتاب ، وتعالج أيضاً مجموعة العلامات أو الرموز التي تستخدم عند تناولها ، ولا يقصد بهذه الأقسام أن تكون مدخلا مرضياً لما أصبح في السنوات الأخيرة : فرعاً متخصصاً رحب الأفق إلى حد بعيد من فروع علم اللغة .

ويمكن دراسة الوسيلة الصوتية من وجهات نظر ثلاث على الأقل : النطق ، والتجريب ، والسمع ، فعلم الأصوات النطقي يبحث أصوات الكلام ويصنفها من جهة طريقة إنتاج أعضاء النطق لها ، ويبحثها ويصنفها علم الأصوات التجريبي^(١) من جهة الخصائص الفيزيائية للموجات الصوتية التي يحدثها نشاط أعضاء النطق وتنتقل عبر الهواء من المتكلم إلى المستمع ، ويبحثها ويصنفها علم الأصوات السمعي من جهة الطريقة التي تستقبل بها أصوات

(١) أو علم الأصوات الفيزيائي (acoustic phonetics) فرع من علم الأصوات يبحث الخصائص الفيزيائية للكلام حسبما يفتقل من الفم إلى الأذن ويعتمد كليته على الوسائل الفنية الآلية في البحث ، ويمد التحليل الفيزيائي عالم الأصوات بالحقائق الفيزيائية للكلام ، بيد أنه قد يتعارض أحيانا التحليل السمعي والتحليل الفيزيائي فعلى سبيل المثال قد يسمع المرء لحن الكلام صاعداً بينما يظهر التحليل الفيزيائي ثبات التردد الأساسي للصوت وفي مثل هذه الحالات على عالم الأصوات أن يقرر أي الشواهد هي التي ستأخذ الاهتمام الأكبر :

الكلام وتميز من قبل أذن^(١) المستمع ونحوه ، وأقدم هذه الفروع تأسيساً وأكثرها تطوراً حتى عهد قريب علم الأصوات النطقي^(٢) ، ولهذا السبب فإن معظم المصطلحات التي يستخدمها اللغويون ليسيروا بها إلى أصوات الكلام نطقية في الأصل ، وسنبنى وجهة النظر النطقية فيما سنتناوله في هذا الكتاب .

ومع ذلك فهناك حقائق عديدة اكتشفها علم الأصوات التجريبي وعلم الأصوات السمعي أو صدقا عليها وبالأخص الأول الذي شهدت السنوات الحسة والعشرون أو الثلاثون للماضية تقدماً عظيماً فلا يستطعم أن ينجأه

(١) الوظيفة البيولوجية الأساسية للأذن تحقيق التوازن في مسهمة الإنسان والوظيفة البيولوجية الثانوية لها السمع واستقبال الأصوات المختلفة وحملها إلى المخ وتتكون الأذن من ثلاثة أجزاء : الأذن الخارجية ، والأذن الوسطى أو الطبلية (وتتكون من غشاء الطبلية ، والمطرقة ، والسندان ، والركاب) ، والأذن الداخلية وتتكون من القنوات الهلالية ، والقوقعة ، والعصب السمعي .

(٢) علم الأصوات النطقي (articulatory phonetics) فرع من علم الأصوات يدرس الطريقة التي تنطق بها أعضاء النطق الأصوات اللغوية ، وقد استمد هذا الفرع كثيراً من مصطلحاته من علم التشريح وعلم النفس ويشار إليه أحياناً بعلم الأصوات الفسيولوجي (Physiological phonetics) ، وقد حدث تقدم كبير في تطوير الوسائل الفنية الآلية للملاحظة وقياس نشاط أعضاء النطق مثل اللسان ، والشفتين ، وسقف الحنك ، وحركة الأحبال الصوتية ، ومن هذه الوسائل الفنية الآلية الحنك الصناعي (البلاويجراف) الذي يمثل دور اللسان في مقابل الحنك ، والقياسي الهوائي الالكتروني الذي يقيس الانقباض النسبي للهواء من الفم إلى الأنف ، والالكتروميوجراف (electromyography) لقياس الحركة العضلية أثناء الكلام ، ويقدم استخدام هذه الوسائل الآلية فيها تفصيلاً أفضل .

أحد ممن يهتمون باللغة إهتماماً جاداً ، وربما كانت أكثر هذه الحقائق أهمية أن تكرار ما يمكن أن يسمع على أنه قول واحد يكون بمثابة تطابق توافقي وليس تطابقاً فيزيائياً (أى تجريبياً) فالتطابق الصوتي (بخلاف التطابق الفونولوجي كما سنرى في القسم التالي) نموذج نظري ، وفي الممارسة العملية لا يمكن لأصوات الكلام التي تصدرها الكائنات الالسانية - حق أولئك الذين تلقوا تدريباً صوتياً عالياً - إلا أن تقترب من هذا النموذج بدرجة أو بأخرى ، فالتشابه الصوتي وليس التطابق الصوتي هو المعيار الذي نارس به حملنا في التحليل الفونولوجي للغات ، والتشابه الصوتي متعدد الأبعاد من وجهات النظر النطقية ، والتجريبية ، والسمعية ، ولناخذ ثلاثة أمثلة كلامية X ، Y ، و Z فربما كانت X أكثر شبهاً بـ Y من Z في بعد معين لكنها أكثر شبهاً بـ Z في بعد آخر .

وقد أكد علم الأصوات التجريبي الحقيقة التي أسماها علم الأصوات النطقى التي تذهب إلى أن الجمل المنطوقة التي تعد إشارات فيزيائية تنتقل عبر الهواء ليست تتابعات صوتية منفصلة ، ويصدر الكلام بإصدار الأصوات سلاسل متصلة ، ولا توجد فجوات بين الأصوات التي تتكون منها الكلمات المنطوقة كما لا توجد وقفات بين الكلمات أيضاً (فيما عدا تلك الأحوال التي يتلعثم فيها للتكلم بشكل مؤقت أو عندما يتبنى أسلوباً خاصاً في الإلقاء للإملاء أو لأي غرض آخر) ، وينقسم الكلام المتواصل إلى تتابعات من الأصوات الكلامية من خلال الانتقال المميز الظاهر للعيان بدرجة أو بأخرى بين حالة إشارية ثابتة لسمياً وحالة أخرى سابقة أو لاحقة ثابتة نسبياً كذلك ، وهذه النقطة سنضرب لها أمثلة فيما يلي من وجهة نظر نطقية ، ومن الأهمية أن نذكر - مع ذلك - أن التجزئة على أساس للمقياس التجريبي البحث تغطي دائماً نتائج مختلفة تماماً عن التجزئة التي تنفذ على أساس للمقياس النطقى البحث أو للمقياس السمعي البحث :

واندماج الأفرع الثلاثة الخاصة بعلم الأصوات ليس أمراً سهلاً ، وأكثر الأمور أهمية وإثارة من حيث المبدأ أن إحدى نتائج علم الأصوات التجريبي أنه لا توجد علاقة متبادلة مباشرة يمكن تأسيسها بين بعض أكثر الأبعاد المنطقية وضوحاً في الكلام وبين الحدود التجريبية المماثلة مثل الذبذبة واتساع اللوجات الصوتية ، وحق نجعل هذه النقطة أكثر عمومية فيما يتعلق بالأفرع الثلاثة الخاصة بعلم الأصوات نقول إن تصنيفات علم الأصوات المنطقي ، وعلم الأصوات التجريبي ، وعلم الأصوات السمعي لا تتطابق بالضرورة ، فعلى سبيل المثال ما يمكن أن يبدو اختلافات نصقية وسمعية واضحة بين أنواع مختلفة من الصوامت دعنا نقول بين أصوات P II ، وأصوات T II ، وأصوات K لا تبدو بشكل واضح ملحاً مفرداً أو مجموعة من الملامح التي يمكن تمييزها في التحليل التجريبي للإشارات التي تحتويها ، والبعدان السمعيان لطبقة الصوت ودرجته يرتبطان بعلاقة متبادلة بالحدين التجريبيين للتردد والقوة إلا أن العلاقة المتبادلة بين الطبقة والتردد من ناحية ، والدرجة والقوة من ناحية أخرى لا يمكن عرضها من خلال نسبة ثابتة تصدق على الأصوات الكلامية جميعها التي تتنوع وفق الأبعاد ذات الصلة .

وهذا لا يعني أن التصنيفات الخاصة بأحد الفروع الصوتية الثلاثة أكثر أو أقل تعويلاً أو أكثر أو أقل علمية بصورة جوهرية إذا ما قورنت بالتصنيفات الخاصة بالفروع الأخرى ، ويجب أن نتذكر أن التكلم والاستماع ليسا نشاطين مستقلين ، فكلاهما يتضمن تغذية مرتجعة من الآخر ، ومن الملاحظات العامة أن الفرد الذي لا يكثرث بما ينطقه يؤول حديثه إلى الفساد ، ويرجع ذلك إلى أننا عادة نراقب ما ننتجه من كلام مثلما تصدر هذا الكلام ، وكثيراً ما يحدث بلا وعي أن تصدر الأحكام الضرورية على الإطار الخاص بما يمكن

أن نعلمه الجهاز النطقى كلما فُهِمَ التغذية المرتجعة من عملية الملاحظة هذه المخ
 بأن المعايير السمعية لا تنفق معها، وتشتمل الإشارة التجريبية على كل المعلومات
 ذات الصلة باللغة، وتشتمل كذلك على قدر من المعلومات غير ذات الصلة
 بها، وأكثر من ذلك فإن المعلومات التجريبية ذات الصلة باللغة يجب أن
 تفسرها الأجهزة الخاصة بالسمع والنطق عند الإنسان والتي يتحكم فيها مخه،
 ويبدو أن الطفل حديث الولادة موهوب بشكل فطرى بقابلية التركيز على
 أنواع معينة من المعلومات السمعية وإهمال أنواع أخرى، وأثناء اكتساب اللغة
 يستكمل الطفل قدرته على إنتاج الأصوات التي تذكر في الكلام الذى يسمعه
 يدور من حوله ويستكمل كذلك قدرته على تمييزها، ويقوم بتهديب أداؤه
 النطقى، وأداؤه السمعى بملاحظة الإشارات التجريبية التى ينتجها بنفسه،
 وتوجد حاسة لدى الطفل تمكنه - فى الخطوات المعتادة لا كنساب اللغة (والتي
 يجب أن تتم بدون مساعدة من أجهزة علمية أو تدريبات خاصة) وفى إطار
 محدود من الوسيلة الصوتية - من أن يكون الممارس السكفء فى الأفرع الثلاثة
 لعلم الأصوات، ولا يستطيع الغوى حتى الآن إلا أن يقدم وصفاً وتفسيراً
 غير كاملين للقدرة الإدماجية العالية المهارة التى تكتسبها الغالبية العظمى من
 البشر فى فترة الطفولة، وتمارسها خلال حياتها الناطقة.

ثانياً: التمثيل الصوتى والهجائى

فى نهاية القرن التاسع عشر وبينما أحرز علم الأصوات النطقى تقدماً
 حقيقياً فى العالم الغربى (على أساس التقليدية الهندية التى تمتد لقرون خلت
 مع إضافات مناسبة) بدأ العلماء يشعرون بالحاجة إلى نظام مشترك - يمكن
 قبوله على المستوى العالمى - للكتابة الصوتية، وعلى الرغم من أنه كان
 ومازال الكثرة بما يقل عن النظم غدت الألفبائية للتمثيل فإن الأبجدية

الصوتية العالمية (IPA) ^(١) التي طورتها الجمعية الصوتية العالمية ولشورتها منذ ١٨٨٨ يستخدمها اللغويون الآن على أوسع نطاق مع تعديلات طفيفة أو بدونها ، ونقوم الأبجدية الصوتية العالمية على أساس إعطاء كل صوت في الكلام يمكن تمييزه حرفاً مختلفاً عن غيره ، ونظراً لأنه لا يوجد في الواقع - حد أقصى أو أدنى لعدد أصوات الكلام التي يمكن تمييزها والتي يمكن أن تصدرها أعضاء النطق الإنسانية (أو دلي الأقل ليس هناك حد مناسب يتصل بالطباعة) فإن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه بصورة ثابتة ، ولذلك تمتد الأبجدية الصوتية العالمية مستخدمياً مجموعة من العلامات الصوتية المميزة ذات الأنواع المختلفة التي يمكن أن تضاف إلى رموز الحروف لتصنع مميزات أكثر دقة مما يمكن أن تصنعها الحروف بمفردها ، وباستخدام هذه العلامات الصوتية المميزة استخداماً صحيحاً وسديداً يستطيع عالم الأصوات المتمرس أن يمثل الكثير من التفصيل الدقيق الضروري للغرض الذي يتناوله ، وهو - في الواقع - لا يستطيع أن يمثل كل التفاصيل الصوتية التي تميز قولاً مفرداً عن قول آخر ، وليس هناك سبب بصفة عامة يدهوؤ إلى الرغبة في ذلك ، وتكون الكتابة الصوتية العربية نسبياً ملائمة تماماً لبعض الأغراض ، وتكون الكتابة الصوتية الضيقة ضرورية لأغراض أخرى ^(٢) .

ومن الآن فصاعداً سنستخدم الأبجدية الصوتية العالمية كلما كانت هناك مناسبة

(١) IPA مختصر يستخدم لكل من الجمعية الصوتية العالمية (International Phonetic Association) والأبجدية الصوتية العالمية (International Phonetic Alphabet) التي وضعتها تلك الجمعية .

(٢) الاختلاف بين الكتابة الصوتية العربية ، والكتابة الصوتية الضيقة (وهو اختلاف نسبي أكثر من أن يكون مطلقاً بطبيعة الأشياء) أن الأولى تعطى تفصيلاً أقل من الثانية ، والكتابة الصوتية العربية ليست بالضرورة فونيمية ، انظر ٣ - ٤ ، (المؤلف) .

للإشارة إلى أصوات الكلام أو الصيغ المكتوبة بالكتابة الصوتية ومنحتم
 العرف المشترك الذى توضع الكتابة الصوتية وفقاً له بين القوسين [] ،
 ولذلك فإننا بدلا من أن نشير إلى أصوات الـ P ، وأصوات الـ K كما
 فعلنا من قبل نشير إلى [P] ، و [K] ، وقد اخترت هذين الرمزين
 الحرفين من عهد إذ إن لهما القيمة الصوتية — بالنفسير العريض — التى
 للحرفين P ، و K فى نظم الكتابة الخاصة بمعظم اللغات الأوروبية ،
 ومعظم رموز الحروف فى الأبجدية الصوتية العالمية مأخوذة من الحروف
 الأبجدية لغة اللاتينية واللغة الإغريقية لكن — مثلما يدرك أى فرد يعرف
 لنقل الإنجليزية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والأسبانية — تختلف القيمة
 الصوتية للحروف نفسها فى كل اللغات التى تستخدم الحروف الأبجدية ،
 وفى الواقع لا يكون لحرف الواحد بالضرورة قيمة صوتية ثابتة فى إطار نظام
 خاص بلغة من اللغات ، ومن الجوانب الإيجابية لامتلاكنا أبجدية صوتية
 مشتركة ومقبولة على المستوى العالمى أن أحداً لا يجب عليه أن يربط تفسير
 رمز من الرموز بلغات معينة أو حتى كلمات معينة وذلك مثل a فى اللغة
 الإيطالية ، و u فى الكلمة الفرنسية . lu . الخ ، وما يجب دفعه ثمناً لهذه
 الفائدة الهامة إلى حد بعيد أن مستخدمى الأبجدية الصوتية فى حاجة إلى التخلل
 من الافتراضات التى يمكن أن تكون لديهم — بسبب أو لآخر — حول الطريقة التى
 يمكن أن ينطق بها رمز حرف معين ، فعلى سبيل المثال [c] صوت يختلف إلى
 حد بعيد عن أى صوت من الأصوات التى يمثلها حرف c فى اللغة الإنجليزية
 أو اللغة الفرنسية أو اللغة الإيطالية أو اللغة الأسبانية ، وفيما يلى لن نطلع
 سوى على عدد قليل من رموز الحروف الخاصة بالأبجدية الصوتية العالمية
 وعلى قليل من العلامات الصوتية المميزة .

وقد زدنا أنفسنا بالمناسبة بنظام الكتابة الصوتية وسنكون لنا طريقتان

الإشارة إلى الصيغ : الأولى بالحروف المائلة بالهجاء المتعارف عليه (أو نقل حروف لغة أخرى) بدون أقواس مثل الصيغتين الإنجليزيتين *lead* ، *led* ، والثانية بالكتابة العربية الخاصة بالأبجدية الصوتية العالمية في الأقواس مثل [li:d] و [ɛd]^(١) ، ونستطيع الآن أن نضيف طريقة ثالثة بالحروف المائلة داخل الأقواس < > مثل < Led > و < Lead > ، ولا تستخدم الطريقة الثالثة إلا استخداماً ضئيلاً ، وهذه الخيارات يمكننا من تمييز الصيغ المكتوبة بالطريقة الثالثة من الصيغ المنطوقة المكتوبة صوتياً بالطريقة الثانية وأن تميز كلتاهما عن الصيغ التي لا نعطينا صيغها المنطوقة أو المكتوبة بصورة مباشرة ونكتب بالطريقة الأولى وتمكننا كذلك من القول بأن الصيغة المكتوبة < Laed > تناظر صيغتين منطوقتين [li:d] ، و < Lɛd > ، وبالعكس فالصيغة المنطوقة [Lɛd] تناظر صيغتين مكتوبتين < Led > ، و < Lead > .

وموافقة المنعقد لمفرد — من هذا النوع — بين الصيغ المكتوبة والصيغ المنطوقة توصف تقليدياً بالاشتراك الصوتي (التطابق في الصوت) : انظر *rode* و *read* ، و *farther* ، *father* ، و *court* و *caught* فيما يطلق

(١) النقطتان : تشيران إلى طول الصوت الذي يرهز إليه الرمز - الحرف السابق له (المؤلف)

(٢) الطول (Length) مصطلح يستخدم في علم الأصوات ليشير إلى المدة الفيزيائية للصوت أو القول ، وفي الفونولوجيا يستخدم هذا المصطلح ليشير إلى المدة النسبية للأصوات ، والمقاطع عند مقارنتها لترياً ، ويشير المصطلح كذلك إلى السكية ، فقيمة القصر (short) ، وقيمة الطول Long ، معروفان بشكل تقليدي وتخصان الحركات والصوامت على حد سواء .

عليه النطق النموذجي (RP) للإنجليزية البريطانية^(١) ولا ترمى في لهجات
أسكتلندية معينة أيا من هذه الصيغ الثنائية موسومة بالاشتراك الصوتي وذلك
مثل farther : father ، و caught : court ومع ذلك نجد caught و coi
في لهجات أمريكية كثيرة ، وهذه حقيقة عامة تتعلق بالإنجليزية المشتركة
فهي تختلف في النطق من جماعة إلى أخرى ، وما بعد من المشترك الصوتي لدى
جماعة من المتكلمين قد لا يعد كذلك لدى جماعة أخرى ، وما يقابل
الاشتراك الصوتي هو الاشتراك الهجائي وقد أولاه النحاة التقليديون اهتماما
ضئيلا أنظر I import ، و 2 import وتختلف متعلقاتهما المنطوقة فيما يتصل
بوضع نبر الكلمة .

وبسبب وجود هاتين الظاهرتين في اللغة الإنجليزية وفي لغات أخرى
كثيرة فأت نظم هجائية صارمة فإن الاشتراك الصوتي والاشتراك الهجائي
يفرضان نفسيهما على انتباهنا ونحن بصدد وصف تلك اللغات ، غير أنه - كما
سنرى فيما بعد - قد تكون هناك أسباب نحوية ودلالية تميز الصيغ المتطابقة
في كلتا الوسيطين الصوتية والكتابية ، فعل سبيل المثال 1 four (النصريف

(١) النطق النموذجي (RP) هو نطق اللغة الإنجليزية المؤسس في الأصل
على كلام المثقفين في لندن وجنوب الشرق ، وبحلول القرن التاسع عشر أصبح
هذا النطق هو النطق الوحيد المقبول اجتماعيا في المجتمع في المجتمع الإنجليزي
الرفيع ، وبصفة خاصة نطق أولئك الذين يلتقون في البرلمان ، وتشره المدارس
العامة (المجانية) ، وقد تبنته الإذاعة البريطانية في الثلاثينات من هذا القرن
لمذيعيها ، وهو أقل إقليمية في هذه الأيام إذا ما قورن بأي لهجة أخرى في أي
جزء من العالم ، ولذلك لم يعد يتمتع بمثل هذه المكانة فيما بين الشباب كما
كان الأمر في الماضي وكل الصيغ المكتوبة صوتياً في هذا الكتاب يفترض أن
تتعلق بـ لهجة النطق النموذجي (RP) . المؤلف

الثاني لـ find) ، و found2 (إحدى صيغ التصريف الأول لـ found) مشتركتان في الصوت وفي الهجاء ، والكلمتان اللتان تؤخذ منهما هذه الصيغ « find » و « found » تكونان من المشترك اللفظي (الجزئي) .

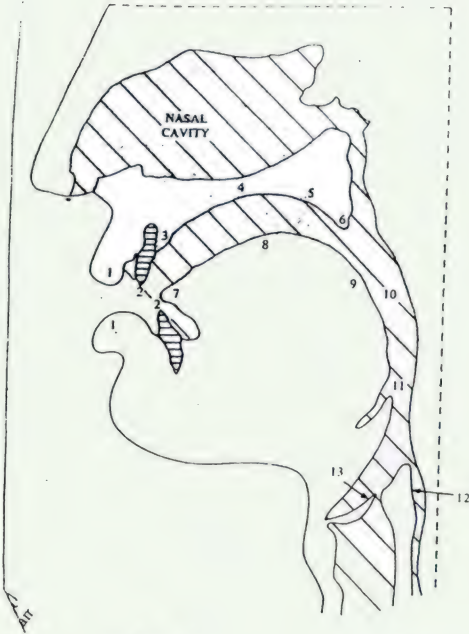
ثالثاً : علم الأصوات النطقي

سبق أن أوضحنا أن ما يبنى بأعضاء النطق لها وظائف أخرى لا ترتبط بالكلام ولا حتى بإنتاج الصوت وأن هذه الوظائف بيولوجية في المقام الأول ، فالرئتان تدفcan بالأكسجين إلى الدم ، والوتران الصوتيان (المثبتان في الحنجرة أو في تفاحة آدم) يعملان عند انضمام الواحد منهما إلى الآخر على صد القصبة الهوائية وعلى منع الطعام من دخولها ، ويستخدم اللسان والأسنان في الطعام وحلم جرا ، ومع هذا تشكل أعضاء النطق ما يمكن أن يوصف على أنه معقول بأنه نظام بيولوجي ثانوي ، وهناك بعض الشواهد على تكيفها التطوري لإصدار الكلام ، وتصنف الأصوات الكلامية في علم الأصوات النطقي بواسطة أعضاء النطق التي تصدرها والحالة التي تكون عليها عند إصدارها .

وتصدر أغلب الأصوات الإلسانية في كل اللغات بتحويل - بطريقة أو بأخرى - تيار الهواء الذي تدفعه الرئتان إلى أعلى القصبة الهوائية من خلال الزردمة (المسافة التي تفصل بين الوترين الصوتيين) بطول الجهاز النطقي ، ويمتد الجهاز الصوتي من الحنجرة (إحدى النهايتين) إلى الشفتين وفتحة الأنف .

وإذا احتفظ بالوترين الصوتيين مطلقين وحدثتذبذبة صوتية أثناء مرور الهواء من خلال الزردمة فإن الصوت الصادر يكون صوتاً مجهوراً ، وإذا مر الهواء بدون ذبذبة الوترين الصوتيين فإن الصوت الصادر يكون صوتاً

مهموساً ، وهو ما يعد أحد النواع النطقية الشائعة ، ومعظم الحركات في كل
 اللغات ، وكل الحركات في اللغة الإنجليزية (باستثناء همس الكلام) مجهورة ،
 وكل من الصوامت المهموسة ، والصوامت المجهورة شائعة فيما بين لغات العالم
 حتى لو لم يعمل المميز بين الصوامت المهموسة والصوامت المجهورة دائماً على
 تمييز صيغة من أخرى في الوسيلة الصوتية ، وتشمل الصوامت المهموسة
 [p] ، و [t] ، و [k] ، و [s] ، و [ʃ] ، والأصوات
 المجهورة المناظرة هي [b] ، و [d] ، و [g] ، و [z] ، و [v] ،
 وعندما لا تمدنا الأبجدية الصوتية العالمية برمزين حرفين مختلفين للأصوات
 المتناظرة في الهمس والجهر فمن الممكن أن تُستخدم العلامات الصوتية المميزة
 لرسم هذا المميز ، والعلامة الصوتية للهمس دائرة صغيرة أسفل الحرف الرمز
 فعلى سبيل المثال تفترض الأبجدية الصوتية العالمية أن الحركات مجهورة مالم
 تميز بصورة واضحة على أنها مهموسة ، ومن هنا كانت [ɔ̥] ، و [ɔ̜] ،
 [ɪ̥] . . . إلخ مهموسة وتقابل الحركات المجهورة الآتية : [a] ، و
 [e] ، و [i] . . . إلخ ، ومن الأهمية أن نذكر أنه على الرغم من
 حقيقة أن العلامات الصوتية المميزة تستخدم في حالة ولا تستخدم في حالة
 أخرى فإن العلاقة الصوتية بين [a] ، و [ɛ] أو بين [ɔ̥] ، و [ɔ̜]
 هي العلاقة الصوتية نفسها التي تربط بين [b] و [p] أو بين [d] و [t] ،



- | | |
|-----------------------|-------------------|
| ١ - الشفتان | ٢ - الأسنان |
| ٣ - اللثة | ٤ - اللسان |
| ٥ - البلع | ٦ - الحنك |
| ٧ - طرف اللسان | ٨ - حافة اللسان |
| ٩ - مؤخرة اللسان | ١٠ - الحلق |
| ١١ - لسان المزمار | ١٢ - فتحة البلعوم |
| ١٣ - الوتران الصوتيان | |

والبعد النطقى الثالث النفسية^(١) ، والأصوات النفسية تختلف عن الأصوات غير النفسية المتناظرة لها فالأولى يصاحبها عند النطق بها نفخة زفير صفيرة (ومن الأنسب أن تعالج النفسية - عمليا - بجانب من البعد الخاص بالجمهور والاهم أن أكثر من أن تعالج كنفي مستقل تماما ، لأنه يعتمد على توقيت بدء الصوت وانتهائه فيما ينصل بخطوات النطق المصاحبة ، وهناك صلات ثانوية أخرى لن نتطرق إليها هنا : التمييز ، والتحريك ، والتدوير (لشفتين) والإطباق ، والأصوات النفسية - وهي عادة مهموسة - توجد في لغات كثيرة منها اللغة الإنجليزية كما سنرى فيما بعد ، وبدلا من أن نستخدم العلامة الصوتية في الأبجدية الصوتية العالمية المميّزة النفسية فإننا سنتبع ماشاع عمله هذه الأيام فنضع حرف h صفير بعد الرمز الحرف المناسب الخاص بالأبجدية الصوتية العالمية مباشرة ، ومن هنا فإن $[p^h]$ هو المقابل النفسى لـ $[p]$.

وقد استخدمنا حتى الآن المصطلحين التقليديين صامت وحركة^(٢) دون إيضاح لهما ، وبقدر ما يلقى نطقهما من نهاية تختلف الأصوات عن الحركات

(١) النفسية (aspiration) مصطلح في علم الأصوات لنفس مسموع بوضوح يمكن أن يصاحب النطق بالصوت عند إصدار الأصوات الشديدة ويرمز لهذه الصفة عادة بالرمز h عقب أعلى الرمز الأساسى كما نرى في الكتابة الصوتية لكلمة $pin : [p^h in]$ ، والنفسية يمكن أن تشعربها متى وضعت مؤخرة يدك ملاصقة للخم عند نطق الكلمة وهو مالا نلاحظه عند النطق بـ (bin) ، وبعض اللغات (كاللغة الحديثة) تجعل هذه الصفة للأصوات الشديدة المجمورة والمهموسة فيصبح لدينا التقابلات الآتية $[p] : [p^h]$ ، $[b] : [b^h]$.

(٢) يقابل ، الساكن ، ، ، الحركة ، في التراث اللغوى العربى مصطلحين

، $sonnant$ ، ، ، $vowel$ ، ، ، بيد أنه شاع في العصر الحديث ترجمتهما ، بالصامت ، ، ، الحركة ، ، ، وثمة ترجمتان أخريان لمصطلح $vowel$ ، هما ، صامت ، ، ، ، مصوت ، (وردت الترجمة الأخيرة في ترجمة الدكتور هبة الجبور شاهين لكتاب العربية الفصحى لهنرى فليش) .

والصوامت تصدر عن طريق صد أو تضيق مؤقت لمجرى الهواء أثناء مروره في
الفم بينما تصدر الحركات بدون أى صد أو تضيق لمجرى الهواء ، والاختلاف
الصوتي بين الصوامت والحركات - في الواقع - ليس مطلقاً ، فهناك أصوات
كلامية معينة ذات حالة وسط ، ولذا في حاجة إلى الغوص في التفاصيل ونحن
بصد عرض بسيط وموجز للتصورات الأساسية لم الأصوات النطقية .

ويمكن تقسيم الصوامت إلى مجموعات عديدة تبعاً لطبيعة إهارة تيار
الهواء ، فقد تكون هذه الإهارة تامة فيكون الصوت الصادر انفجارياً أو
شديداً ، وقد تكون هذه الإهارة جزئية ، فإذا كانت جزئية وتسبب
احتكاكاً كما يمكن سماعه بوضوح فيكون الصوت الصادر احتكاكياً^(١) أو رخواً
ومن أمثلة الأصوات الانفجارية أو الشديدة [p] ، و [t] ، و [k] ،
ومن أمثلة الأصوات الاحتكاكية [f] ، و [h] ، ويمكن أيضاً تقسيم الصوامت
إلى مجموعات طبقاً لبعدها آخر بواسطة مخرج الصوت^(٢) أى تبعاً للمكان الذي

(١) الاحتكاكي (fricative) مصطلح يستخدم في التصنيف الصوتي للصوامت
على أساس حالة النطق ، ويعرف كذلك بـ *spirant* ، ويشير إلى الأصوات
التي تصدر عندما يضيق ما بين هضوين من جهاز النطق لدرجة تتيح للهواء أن
يتحرك بينهما محدثاً احتكاكاً مسموهاً .

(٢) مخرج الصوت (place of articulation) أحد الأبعاد الرئيسية
المستخدمة في التصنيف الصوتي لأصوات الحديث ويشير إلى المكان الذي يصدر
منه الصوت في الجهاز النطقي ، ومن المعتاد أن يمثل هذا البعد تمثيلاً أفقياً ،
ونتيجة لذلك يخذف من هذا البعد بعض التنوعات التي لا يمكن تمثيلها إلا
بصورة عرضية وذلك مثل ما إذا كان الصوت صادراً من جانب واحد من اللسان
أم من الجانبين معاً وهو ما يشمل المخرج ، وتتناظر نقاط مخرج الأصوات
الصامتة مع التقسيمات التشريحية الرئيسية : شفوي ، وشفوي أسناني ، وأسناني ،
ولثوي ، وغلاري ، وطبقي ، ولحري ، وحلقى ، وحنجري بيد أن هناك مواضع
أخرى تقسم إلى المراتب السابقة وذلك مثل مقدم اللثة (postalveolar) .

تحدث فيه الإعاقة في الفم، وتوجد نقاط كثيرة غير محدودة بطول الجبهة
النطق يمكن فيها إعاقة مسار الهواء بواسطة أعضاء النطق المتحركة مثل الوترين
الصوتين، واللسان، والأسنان، والشفنتين... إلخ، ولا نستخدم اللغات سوى
عدد قليل منها، ومخارج الأصوات التالية من بين تلك التي استخدم في اللغة
الإنجليزية واللغات المشهورة الأخرى (مع أنواع أخرى من النطق الثائوي
أو بدونها):

المخرج الشفوي وفيه تتغلق الشفتان كما في [p]، و [b]، و [m] .

المخرج الشفوي الأسناني وفيه تتقابل الشفة السفلى مع الأسنان العليا
وذلك مثل [f]، و [v]، وبينما [p]، و [b]، و [m] أصوات
انفجارية فإن [f]، و [v] أصوات رخسوة (والأصوات الشفوية
الاحتكاكية، والأصوات الشفوية الأسنانية الغموية منها والانفية أقل شيوعا
لكنها موجودة) .

المخرج الأسناني^(١) وفيه تتصل مقعدة اللسان بالأسنان العليا كما في [t]،

و [d]، و [n]، و [θ]، و [ð] .

المخرج اللثوي وفيه تتصل مقعدة اللسان باللثة (أصول الثنايا العليا) كما
في [t]، و [d]، و [n]، و [θ]، و [ð]، و [z]، ويجب أن نذكر
هنا أنه قد تستخدم رموز واحدة في الكتابة الصوتية العريضة لسكل من
الأصوات الأسنانية والقنوية الشديدة، ولذلك تقدم الأبجدية الصوتية العالمية

(١) أسناني (dental) مصطلح في التصنيف الصوتي للصراحت على أساس
مخارجها الصوتية ويشير إلى الصراحت التي تصدر بالتقاء أسلة اللسان وحافته
بالأسنان العليا أو العليا والسفلى معا، ومصطلح ذولاني أسناني (spico-dental)
أكثر وضوحا بيد أنه أقل استخداما .

علامات صوتية مميزة التمييزها إذا ما انتبخت الضرورة ذلك ، فالصامتان الأولان في الكلمتين الإنجليزيتين thick & thin أسنانيان احتكاكيان الأول مجهور والثاني مهموس ويمكن كتابتهما صوتيا كالآتي [θ] ، [θ] ، والأصوات [t] ، [d] ، [n] في معظم اللهجات الإنجليزية (في معظم مواضعها من الكلمة) لثوية (وتختلف عن الأصوات [t] ، [d] ، [n] في اللغة الفرنسية ، أو الأسبانية ، أو الروسية ، وعلى الأقل [t] ، [d] في اللغة الإيطالية) .

المخرج الحنكي وتصل فيه مؤخرة اللسان بالحنك الصلب وذلك كما في الصوتين الشديدين [k] ، و [g] ، والصوتين الرخوين [c] ، و [ɟ] .

المخرج الطبقي وتصل فيه مؤخرة اللسان بالعقب أو بالحنك الرخو وذلك كما في الصوتين الشديدين [k] ، و [g] ، والصوتين الرخوين [x] ، و [ɣ] ، والاختلاف بين الأصوات الغارية (الحنكية) والأصوات العظمية اختلاف في الدرجة (يزيد - على سبيل المثال - عن الاختلاف بين الأصوات الشفوية والأصوات الأسنانية أو بين الأصوات الأسنانية والأصوات الحنكية) ، ومع أن الأصوات الحنكية غير شائعة في معظم المواضع في الكلمة في اللغة الإنجليزية فإن الصوت الاحتكاكي الحنكي المهموس [c] موجود في اللغة الألمانية (في معظم لهجاتها) ، وفي لغة القشتالية ، وفي اللغة الأسبانية ، وفي اللغة الإغريقية الحديثة بالإضافة إلى صيغة محتملة من صور النطق الفوقجسي (RP) بصمت الأول في صيغة إنجليزية مثل hue (الحرف < h > في اللغة الإنجليزية يعلى قاعاً من الأصوات تحدد قيمتها - إلى حد بعيد - الحركة المصاحبة لها) والأصوات التي تتوافق في نظام الكتابة الخاص باللغة

الإنجليزية مع الحرفين : < k > ، و < c > في أغلب البيئات الصوتية طبقية غير أنها تختلف من حيث تخرجها الطبقى لسكنها في مواضع معينة (كما هو الأمر في كثير من اللغات) تقرب من أن تكون حنكية وذلك كما في ke و cue ، والصوت الرخو العابق المهموس [x] لا يوجد في النطق النموذجي الإنجليزية (RP) لسكنه موجود كصامت يقع في نهاية الكلمة loch في النطق الاسكتلندي وهو شائع في اللغة الألمانية وفي بعض اللهجات الأسبانية^(١) ، والصوت الطبقى الرخو المحمور [ɣ] أكثر ندرة في اللغات الأوروبية من نظيره المهموس غير أنه موجود في الإغريقية الحديثة (وفي بعض اللهجات الروسية) .

المخرج الحنجري^(٢) وفيه يتصل الوتران الصوتيان معاً لحظة من الزمن وذلك كما في الصوت الشديد [ʔ] ، والصوتين الرخوين [h] و [ɦ] وأولهما مهموس ، وثانيهما محمور ، وحيث إن الوترين الصوتيين لا يمكن أن يتذبذبا عند إغلاقهما إغلاقاً تاماً فإنه لا يوجد صوت حنجري مجهور شديد بينما يوجد كل من الصوت المهموس الحنجري الرخو ، والصوت المحمور الحنجري الرخو ، والصوت الحنجري الشديد يرد كما لو أنه (حسب ماتدركه الحواس) صورة ذات

(١) في اللغة الأسبانية الرسمية والأدبية المبينة على لهجة قشتالة - على كل حال - ما يطلق عليه الصوت الجوتا (jota-sound) في الصيغ مثل kija (ابنة) وينطق عموماً بوصفه احتكاكي طبقى خلفي أو لثوي ويكتب بالأبجدية الصوتية العالمية كالآتي [x] المؤلف .

(٢) الحنجرية (glottal) مصطاح يستخدم في تصنيف الصوامت على أساس المخرج الصوتي يشير إلى الصوت الصادر من الحنجرة وذلك بسبب غلق أو تضيق المفاة بين الوترين الصوتيين ، والفتحة التي تتألف من الفتححة التي تفصل بين الوترين الصوتيين يعرف بالوقف الحنجري (glottal stop) .

طابع اجتماعي لصوت [١] بين حركتين في صيغ مثل city و united و butter في امكنات مدنية عديدة في إنجلترا ، وأسكتلندا ، ومالشتر ، وبرمنجهام ، وجلاسكو (بالإضافة إلى ذكرها — بما لا يلاحظ هكذا — في بينات صوتية أخرى حتى في النطق الفونولوجي RP) ، لذا من الأهمية أن نؤكد أن هذا الصوت من وجهة النظر الصوتية صامت مستقل استقلالاً تاماً ولا يلتبس بالصوت [١] وأنه منتشر في لغات العالم .

وتميز الأبجدية الصوتية العالمية مخارج أخرى^(١) كثيرة لتصنيف الصوامت ، وبعض هذه المخارج تحتاج إلى أن نشير إلى وصف صوتي كامل في اللغة الإنجليزية ، ولما كنا بصدد توضيح للباديء العامة لتصنيف النطق للصوامت فإنه يكفي ما تقدم ، والرموز التي تناولناها حتى الآن (بالإضافة إلى عدد قليل آخر) ينظمها الجدول الآتي رقم ١ ، ويضم صوامت مختارة من رموز الأبجدية الصوتية العالمية ، (النفسية غير موجودة في الجدول إذ إن لهذه الخاصة في كل الحالات علامة صوتية مميزة ، أما الرموز الخاصة بالأصوات الأنفية للمهوسة فهي بالمثل تتركب بإضافة علامة صوتية مميزة لرمز حرف مناصب) .

(١) وذلك مثل المخرج الأثري الفاري palatal — alveo (١٥) مصطلح يستخدم في التصنيف الصوتي للصوامت على أساس المخرج الصوتي ويشير إلى الصيرت الحادث من التقاء مقدمة اللسان بالمنطقة النطقية الأمامية من سقف الحنك (الفار) واللثة .

Manner of articulation	Stops			Fricatives	
	Oral		Nasal		
	Voiceless	Voiced	Voiced	Voiceless	Voiced
bilabial	p	b	m	ɸ	β
labiodental	f	v	ɱ	f	v
dental	t	d	n	θ	ð
alveolar	t	d	n	s	z
palatal	c	j	ɲ	ç	ʝ
velar	k	g	ŋ	x	ɣ
glottal	ʔ	-	-	h	ɦ

الجدول رقم ١

ونلاحظ أنه بينما يمثل البعد الرأسي في الجدول ما يمكن أن نسميه حداً نطقياً مفرداً (إذا عملنا الاشتراك في المخرج وكذلك الخارج النانوية) فإن البعد الأفقي ليس كذلك، ويوجد تنظيم هرمي فالأصوات الانفجارية تقابل الأصوات الاحتكاكية، وتصنف الأصوات الانفجارية إلى أصوات قوية في مقابل الأصوات الأنفية، وكل من الأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية تصنف إلى أصوات مهموسة تقابل أصوات مجهورة، وتعدد الأبعاد الخاصة بما نطلق عليه طريقة الفم تقابل البعد للفرد بالضرورة الخاص بمخرج الصوت وهو ما يتضح بصورة أفضل إذا ما تعمقنا في تصنيف الصوامت (تميز طوائف مثل الصوامت المسكورة، والصوامت للسئلة، والصوامت للائمة... الخ)، ولنحفظ هذه النقطة في ذهننا.

وننتقل الآن إلى التحليل النطقي للحركات، ولما كانت الحركات (بقدر

ما يمكن أن يتميز بشكل حاسم من الصوامت (تتميز بغياب إعاقلة تيار الهواء في الفم فليس لها مخرج صوتي بالمعنى الذي نعرفه في الصوامت ، ويجب أن نعزم في اعتبارنا الشكل السكلي لتجويف الفموى ، فهو يتنوع بلا حدود في ثلاثة أبعاد وثيقة الصلة بالأصوات تدعى تقليدياً الآتى : مغلق / مفتوح (أو مرتفع / منخفض) ، وأمامى / خلفى ، ومستدير / غير مستدير .

فالحركة المغلقة (أو المرتفعة) هى تلك الحركة التى يكون الفم كان عند النطاق بها منطبعين (وذلك لأن اللسان يكون فى أعلى الفم) وفى المقابل فإن إصدار حركة مفتوحة (أو منخفضة) يتضمن فتح الفم بصورة أكثر انساها (وذلك بسبب انخفاض اللسان) ، والحركتان [i] ، و [u] كلتاهما مغلقة (مرتفعة) والحركتان [e] ، و [ɛ] كلتاهما مفتوحة (منخفضة) .

والحركة الأمامية تصدر بتنشيط اللسان (وبصورة أكثر وضوحاً النقطة العليا من اللسان بينما يكون بطبيعة الحال مثبتاً من جذره فى مؤخرة الفم) فى اتجاه مقدم الفم ، وتتضمن الحركة الخلفية تراجعاً للسان ، والحركتان [i] ، [e] كلتاهما أمامية والحركتان [u] ، [ɛ] كلتاهما خلفية .

والحركة المستديرة تصدر مع استدارة الشفتين ، والحركة غير المستديرة تصدر بدون استدارتهما ، والحركات [u] ، و [i] ، و [ɔ] كلها مستديرة ، والحركات [i] ، و [e] ، و [ɛ] ، و [u] كلها غير مستديرة ، والحركة المعيارية رقم ٥ [ɔ] مفتوحة إلى أقصى حد ، وهى أيضاً غير مستديرة .

ونقطة نقاط يمكن أن تتناوها الآن بشكل مختصر تدور حول تصنيف الحركات وفق هذه الأبعاد الثلاثة ، أولاً أنه مادام كل بعد منها مستمراً فإن ما يميز بين حركتين من خلال الانفتاح ، والخلفية ، والاستدارة حالة تفرعية دائماً ، وعلى كل حال فقد وضع علماء الأصوات - بهدف توحيد مقاييسهم

الخاصة بالحركات — نظاماً للحركات الأساسية^(١)، وهذه الحركات الأساسية

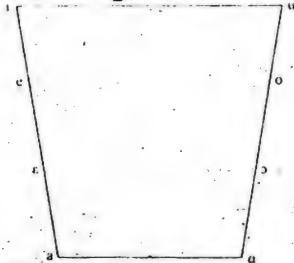
(١) الحركات الأساسية (cardinal vowels) مجموعة من النقاط المرجعية الشككية ابتكرها عالم الأصوات البريطاني دانيال جونز . Daniel jones . (١٨٨١ - ١٩٦٧) ليقدم وسائل أساسية لتعريف أصوات الحركات في اللغات ، ويعتمد نظام الحركات الأساسية على مجموعة من الأحكام اللغوية والسمعية ، وهناك أربعة مستويات نظرية في ارتفاع اللسان يمكن تمييزها وهي : (١) الموضع الأعلى الذي يمكن أن يصل إليه اللسان دون حدوث احتكاك ، (٢) الموضع الأدنى الذي يكون فيه اللسان قادراً على الإنجاز أما (٣) ، و (٤) فهما المستويان المتوسطان اللذان يقسمان المسافة التي تنوسط ما بين (١) ، و (٢) إلى منطقتين متساويتين في البعد ، وباستخدام مقدمة اللسان دون استدارة الشفتين تصدر أربع حركات أساسية ، وباستخدام مؤخرة اللسان تصدر أربع حركات أساسية أخرى وتأخذ هذه الحركات الأساسية رموزاً رقمية من (١) إلى (٨) حسب ترتيبها .

والحركات الأربعة الأساسية الأولى هي على الترتيب من أعلى إلى أسفل : [i] ، [e] ، [æ] ، [a] ، والحركات الأربعة الأساسية الثانية هي على الترتيب من أسفل إلى أعلى : [ɑ] ، [o] ، [u] ، [ɔ] ، والأصوات الثلاثة الأخيرة تشتمل على عنصر استدارة الشفتين .

وإذا ما عكسنا وضع الشفة تصدر أنواع أخرى من الحركات هي الحركات الثانوية وتأخذ رموزاً رقمية من (٩) إلى (١٦) .

والهدف من الشكل الرباعي المرسوم تقديم صورة تقريبية لدرجة حركة اللسان واتجاهه وتساعد خطوط إضافية على إقامة حدود المنطقة التي تعمل فيها أصوات الحركات الأساسية ، وهذه الحركات الأساسية ليست حركات حقيقية بل هي نقاط مرجعية ثابتة يستطيع بها علماء الأصوات تحديد مكان حركات لغة من اللغات أو مقارنة الحركات الخاصة بلغات أو لهجات مختلفة ويمكن باستخدام العلامات أو الرموز الإضافية تخطيط مواضع الحركات على نحو أدق وثمة أطروحات أخرى عديدة لتقسيم المنطقة الخاصة بنطق الحركات تلقى الاهتمام بيد أن النظام الذي قدمه دانيال جونز لم يزل الأوسع انتشاراً .

لا نحدد حركات أى لغة ، موجودة بالفعل ، ولسكنها نقاط نظرية يمكن لعالم الأصوات للتمرّس بالرجوع إليها أن يحدد موقع أصوات الحركات الخاصة بلغات معينة ، وهو يستطيع أن يصدر تقريرات مثل : الحركة للوجود فى الصيغة الفرنسية pie التى يمكن كتابتها صوتياً هكذا [pi] تقترب اقتراباً أو ثنى من الحركة المعيارية [i] إذا ما فورنت بالجزء الأول من الحركة المارودة فى النطاق النموذجي (RP) للكلمة الإنجليزية per التى يمكن كتابتها كتابة صوتية عريضة كالآتى [pi] ، أو كتابة صوتية أضيق (مشيرين إلى لغة الصامت ، وطول ازدواجية الحركة - على الرغم من عدم إدراكه - وكما هو الحال كالاتى [$ph i :$] ، والحركات الثمانية المعيارية الرئيسية نجد بعضاً فى الشكل رقم ٢ ، وسنأتى الآن إلى الحركات للمعيارية الثانوية ، وسنلاحظ أن الحركات للمعيارية ١، ٤، ٥، ٨ أى [i] ، و [e] ، و [a] ، و [u] التماثلية النظيرة لبعدي الانفتاح والخلفية ، وفيما بين الحركتين [i] ، و [e] ، وفيما بين الحركتين [u] ، و [a] ، وبمتوسط دقيق ومتساو نجد الحركتين نصفى للفلقتين [e] ، و [o] ، والحركتين نصفى للفتوحتين [e] ، و [a] .



الشكل رقم (٢) : الحركات المعيارية الأساسية ،

والنقطة النائية أنه فى حين أن كل الحركات الأمامية فى الشكل ٢ ، مستديرة فإن كل الحركات الخلفية (باستثناء الحركة المعيارية رقم ٤) مستديرة

وهذا لا يمتنع أن الحركات الأمامية للمستديرة أو الحركات الخلفية غير المستديرة غير موجودة ، فكلما التوهين ، وجود بالتأكيد غير أنهما موجودان بشكل أقل شيوعاً - وبالأخص الحركات الخلفية غير المستديرة - في اللغات الأوروبية ، والسبب من الأهمية الصوتية العالمية والنظام للتطور الخاص بالحركات للعتبارية أنمايز معين تجاه اللغات الأوروبية ، غير أنه ليس كل حركة معيارية أساسية نظير فيما بين الحركات للعتبارية الثانوية (الأمامية للمستديرة والخلفية غير المستديرة) وتأخذ الأرقام من ٩ إلى ١٦ فلي سبيل المثال النظر الثانوي لـ [i] يكون رقم ٩ حركة أمامية مستديرة (٩) تقترب منها الحركة الموجودة في الكلمة الفرنسية *tu* ، والنظير الثانوي لـ [u] يكون رقم ١٦ الحركة الخلفية غير المستديرة [u] وفي اللغة اليابانية حركات تشبه الحركة المعيارية الثانوية (u) .

وما يلاحظ كذلك أن الحركات للوجود في الشكل رقم ٢ تقع على جانبي الشكل الرباعي الذي تقل قاعدته عن قمته ، ويميز هذا الشكل عن حقيقة أن هناك - لأسباب فسيولوجية من وجهة النظر النطقية والسمعية - اختلاف يتعلق بالحركات المفتوحة أقل مما يتعلق بالحركات المغلقة في البعد الأمامي - الخلفي فالاختلاف الموجود على سبيل المثال بين [a] و [ɑ] أقل من الاختلاف الموجود بين [i] و [u] ، وهو ما ينطبق كذلك على الاستدارة ، ولذلك فإن الاختلاف بين [i] و [u] أكثر من الاختلاف بين [a] و [ɑ] في بعدين من ثلاثة (الاستدارة غير متصلة بشكل تام في حالة الحركات المفتوحة إلى أقصى حد) ، ولهذا لم يكن من الدهش أن تنجم اللغات إلى امتلاك نظم للحركات غير المتناسقة تقل فيها مميزات الحركات المفتوحة عن مميزات الحركات المغلقة .

وأخيراً يجب أن نؤكد مرة أخرى أن الشكل الرباعي يمثل حلقة ثلاثية

الأبعاد أشهر رموز الحروف الخاصة بالأبجدية الصوتية العالمية في إطارها -
باستثناء الفوذج النظري - إلى مناطق أكثر من أن تكون نقاطاً، وهناك
فضلاً عن ذلك - وعلى الأخص في منتصف الحلقة - مناطق لا تستخدمها
الأبجدية الصوتية العالمية أو نظام الحركات المميارية على نحو حسن على
الإطلاق .

هناك الكثير إذن فيما يتصل بنطق الصوامت والحركات ، وما قلناه
مختصر وقائم على الاختيار على الرغم من أن تعاملنا مع الموضوع جمل من
الواضح بما فيه الكفاية أن الصوامت والحركات متعلقات من الكلام ،
وهي عبارة عن حزمة من الملامح النطقية كل مملح منها يمكن أن يعالج كقيمة
خلافية في بعد معين ، فعلى سبيل المثال [m] صوت مجهور ، شفوي ، أنفي ،
شديد أي له قيمة [مجهور] في البعد الخاص بالجهر ، وله قيمة [شفوي] في البعد
الخاص بسخرج الصوت (الأساس) ، وله قيمة [الأنفية] في البعد الخاص
بالأنفية ، وله قيمة [الشدة] في البعد الخاص بانسداد مجرى الهواء أو إعاقته .

والاقواس [] التي تحيط بالكلمات : « مجهور » ، « شفوي » ... إلخ
في الفقرة السابقة توضح أن هذه الكلمات مسميات للامح صوتية ، والآن بعيد
الجدولان ٢ ، ٣ تصنيف بعض الصوامت والحركات التي قدمنا لها من قبل
بوصفها مجموعة من اللامح ، وهذه للامح متزامنة وليست متعاقبة (بأي
شكل من الأشكال) وهو ما سيدرك فيما بعد ، وسندرك أيضاً أنه من الواجب
أن نرسم مميّزاً بين اللامح التي تعد متغيراً مستقلاً للامح التي لا تعد كذلك ،
لذا لا يمكن لصوت من أصوات الكلام أن يكون في أي وقت من الأوقات
مجهوراً أو أنفياً وفوياً ، والجدول رقم ٢ ، والجدول رقم ٣
(م - ٨ - الختمة)

يستخدمان الإشارات اللوجية والإشارات السالبة لتحديد هذه الحقيقة ،
واختارنا الإشارة الموجبة لـ [مجهور] ، و [أنفى] ... إلخ ، والإشارة السالبة
لـ [مهموس] و [شفوى] ... إلخ ، وكلها أطراف لثنائيات من الملامح ذات
العلاقة المتبادلة ، وبقدر ما يلقى الفرج الصوتى للصوامت من اهتمام يكون الوضع
مختلفاً ، وصحيح أن الصامت إذا كان شفويا (بصفة أساسية) لا يمكن أن يكون
أيضا أسنانيا أو طبقياً (بصفة أساسية) غير أننا لا نستطيع أن نقهر [أصنانى]
أو [طبقى] إشارات سالبة فيما يتعلق بـ [شفوى] ، ويحدث كذلك أنه إذا
ميز صامت بالإشارة الموجبة بخصوص إحدى القيم الخلاقية الخاصة بمخرج
الصوت فى إحدى النقاط تكون باقى النقاط على طول البعد الخاص بمخرج
الصوت مميزة بالعلامة ٥ الحامية وليس بالعلامة السالبة — فيما يتعلق بالقيم
الخلاقية الأخرى ، وهو ما يكون كذلك بتدريج ما يلقى الاختلاف بين الأصوات
الشديدة والأصوات الرخوة من اهتمام ، ولا يمثل الجدول رقم ٣ سوى ثلاثة
أبعاد خاصة بالتصنيف النطقى للحركات تتعلق بشكل الفم ، ومن البسهر أن
يمتد الجدول رقم ٣ فى ضوء مناقشتنا السابقة ليمثل أيضا البعدين : « الجهر :
المهمس » ، و « الفموية : الأسنانية » فى الحركات ، والجدولان ٢ ، ٣
صمكونان مفيدان فى إحالات قادمة .

والجدول رقم ٢ صوامت مختارة حلت إلى الملامح النطقية المكونة لها
(والأصوات المجهورة الفموية المهموسة النفسية لها ما يمثلها أما الأصوات
الشديدة المجهورة النفسية الفموية منها والأنفية ، والأصوات الأنفية المهموسة
فلا يوجد ما يمثلها ومخارج الأصوات محدودة — بفرض التوضيح — فى ثلاثة
مخارج : الفرج الشفوى ، والفرج الأسنانى ، والفرج الطبقي ، ويمكن أن يتسع
الجدول بسهولة ليشمل كل الصوامت الواردة فى الجدول رقم ١ مع نظائرها
(النفسية) .

Phonetic segments	p	p ^h	b	m	ɸ	β	t	t ^h	d	n	θ	ð	k	k ^h	g	ŋ	x	ɣ
voiced	-	-	+	+		+	-	-	+	+	-	+	-	-	+	+		+
aspirated	-	+	-		0	0		+	-	-	0	0	-	+		-	0	0
nasal	-	-	-	+	0	0	-	-	-	+	0	0	-	-	-	+	0	0
stop	+	+	+	+	0	0	+	+	+	+	0	0	+	+	+	+	0	0
fricative	0	0	0	0	+	+	0	0	0	0	+	+	0	0	0	0	+	+
labial	+	+	+	+	+	+	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
dental	0	0	0	0	0	0	+	+	+	+	+	+	0	0	0	0	0	0
velar	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	+	+	+	+	+	+

المجدول رقم ٢

والمجدول رقم ٣ حركات مختارة حلت إلى مكوناتها (وهذا الجدول لا يتضمن الحركة [ε] ، [ɛ] ولا يميز بين الحركة نصف المفتوحة ، والحركة نصف المغلقة ، إنه لا يعتبر [e] ، و [ɔ] مفتوحتين ولا مغلقتين) .

	i	e	a	a	o	u	y	u
open	-	0	+	+	0	-	-	-
back	-	-	-	+	+	+	+	+
rounded	-	-	-	-	+	+	-	-

المجدول رقم ٣

غير أنه من الواجب أن ننهر الآن قضية التقطيع ذاتها ، كيف نقرر أن لفظة معينة من الكلام محلاة من وجهة نظر علم الأصوات النطق تتكون من كذا وكذا من القطع المرتبة بشكل متسلسل ؟ وإذا كان عرض الأساس المحدد لعملية التقطيع الصوتي سهل إلى حد بعيد فزانه ليس كذلك عند التطبيق بدون كمية كبيرة من الأحكام الاعباطية إلى حد ما في أمثلة بعينها ونحن نقيم الحدود

بين النطق (وبالتالي نقيم القطع نفسها) في تلك النقاط التي يوجد فيها تغير في القيمة لدى بعد نطقى واحد أو أكثر على سبيل المثال كالتغير من [الشفوى] إلى [الأنفانى] ، ومن [الجهور] إلى [الموموس] ، ومن [الخلقى] إلى [الأمامى] ومن [الأنفى] إلى [الفموى] وهذا المبدأ يكون عادة صعب التعليمى وذلك لأن التغيرات فى القيمة ليست حاصمة دائماً ، وامتدادات الصوت بين التغيرات المتتابعة للقيمة ليست حالات مطردة إلى حد بعيد^(١) . وأكثر من ذلك لا يدخل عادة فى حسابنا - إزاء هذا الفرض - انتقالات فى ملامح معينة (مثل بداية الجهر أو النفسية فى الصراحت) ما لم تكن هالك أصباب فونولوجية تدهو لذلك « انظر : ٣ - ٤ » ، وعليه فإن السؤال عن حدد الأصوات الكلامية الموجودة فى صيغة معينة - دون الرجوع إلى البنية الفونولوجية لنظام لغوى معين أو لانظم اللغوية عموماً - لا يسمح عادة بإجابة محددة ، وهذا شئ يجب دائماً أن يكون فى الذهن عند الإشارة إلى معطيات لغوية مكتوبة صوتياً .

وبعد ذلك فى الواقع أحد مساوىء النظام الألفبائى للكتابة الصوتية فهو يشجع غير المتخصصين على الاعتقاد فى أن الكلام عبارة عن توليف سلسلة من الأصوات الكلامية ، وينبغى على أى فرد يستخدم الأبجدية الصوتية أن يمرن نفسه على التعامل معها كسلسلة من الرموز تمثل القول المنطوق فعلى سبيل المثال يجب عليه فى [ɛmān] ألا يكون قادراً فحسب على تحليل [١] إلى ملاحظها المتزامنة [موموس] ، و [أسنانى] ... إلخ ، وكذلك فيما يتعلق بكل صوت من الأصوات الكلامية الخمسة المثلة هنا ، بل يجب أيضاً أن يلاحظ مباشرة

(١) الحركات المزدوجة تختلف من الناحية الصوتية عما يعرف بالحركات الحالصة أو الصراحت المفردة إذ إنها ليست أصوات مطردة الحالة (المؤلف) .

أن ملمح [الهمس] يعتمد إلى قطعتين ، وأن كل من [الجهر] ، و [الأنفية] يعتمد إلى ثلاثة قطع وهلم جرا ، وهذه الملاح : [الهمس] ، و [الجهر] ، و [الأنفية] لا تنقطع بسرعة ولا تبدأ بسرعة بين [T] و [ʔ] أو بين [m] و [ʔ] أو بين [ʔ] و [ʔ] ، وعندما تشترك قطعتان أو أكثر في ملمح مفرد بهذه الطريقة (وعلى الأخص إذا كان ملمحاً خاصاً بالصوامت يتعلق بمخرج الصوت) فإنها توصف بشكل شائع بالتجانس في المخرج (« يصدرها عضو واحد ») ، ونستطيع أن نقول بصورة أهم إن هناك اتجاهات تماثل الأجزاء المتتابعة (بقدر ما تكون قطعاً تميزها المعايير المذكورة أعلاه) لتصبح متماثلة في مخرج الصوت أو صفته أو في كليهما ، وهذه الحقيقة لها أهميتها الخاصة في التحليل الفونولوجي للغات

ويتضح مما قلناه أن أى ملمح صوتي يمكن في الواقع أن يكون ممتداً فوق قطع صوتية متتابعة ، ويمكن تبعاً لذلك أن يكون ملمحاً تطريزياً ، فعلى سبيل المثال [الجهر] ملمح تطريزي في [amba] ، والأنفية ملمح تطريزي في [mān] وهلم جرا ، ومع ذلك يقتصر مصطلح « ملمح تطريزي » على الملاح لاقى تصنيفاً فونولوجياً وليس تصنيفاً صوتياً مثل الطول ، والنفاة ، والنهر وسوف نعود إلى هذه الفكرة بمعنىها في قسم آخر .

ويجب على كل حال أن نؤكد أن التعامل مع القطع الصوتية والملاح التطريزية الواردة في هذا الكتاب انتقائي إلى حد بعيد ، وهناك بقدر ما تلقى القطع الموجودة بالقوة من اهتمام لغوات خاصة بتقسيم الأصوات الكلامية من أنواع مختلفة لم تذكر بعد وذلك مثل الأصوات المائعة ، والأصوات الزلاقية والأصوات الانفجارية الاحتكاكية . . . إلخ ، ويرجع ذلك إلى أن الهدف ليس تقديم تصنيف كامل للاختلافات المنطقية ولكن توضيح الأسس العامة فقط .

رابعاً: الوحدات الصوتية والصور الصوتية

من الآن ستكون عنايتنا بعلم الأصوات (دراسة الوسيطة المتناوطة) بقدر ما يتصل بالتحليل الفونولوجي للنظم الغوية فحسب ، وتوجد نظريات عديدة في الفونولوجيا ، وتمايز هذه النظريات بين فونيمية وغير فونيمية تبعاً لما إذا كانت هذه النظريات الفونولوجية تجعل من الفونيمات (الوحدات الصوتية) العناصر الأساسية للتحليل أم لا ومن النظريات الصوتية الفونولوجية ما يعرف باسم « علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي » ، ومع أن هذه النظرية قد تخلى عنها معظم اللغويين فهي ذات أهمية جديرة بالاعتبار في فهم تطور معظم النظريات الحديثة ، فضلاً عن ذلك فإن لهذه النظرية فوائد تربوية نظراً لسهولة تصورها وبساطتها إذا ما قورنت بنظريات أخرى كثيرة ، لذا سنكرث هذا القسم لإيضاح الأفكار الأساسية لعلم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي ، وقد استفيض في هذه الأفكار في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، وسنركز على هذه الأفكار والمصطلحات التي سوف نستخدمها فيما بعد وسنجنب المزيد من التفصيل .

وتحدد الفونيمات في إطار النظرية التي نتناولها هنا بواحدة معيارين : أولهما التماثل الصوتي ، وثانيهما التوزيع (ويتبع المعيار المهيمن الذي نجسد تعابيرقاته في كل نظريات الفونولوجيا ألا وهو التقابل الوظيفي : 'نظر مابل') ، وقد رأينا في القسم السابق أن التماثل الصوتي حالة تقريبية متعددة الأبعاد ، ويتبع ذلك أن صوتاً كلامياً معيناً قد يماثل صوتاً كلامياً ثانياً في بعد واحد أو أكثر بينما يختلف عنه ويمثل غيره في بعد واحد أو أكثر ، والنتيجة العملية لهذه الحقيقة - بقدر ما يلقى التحليل الفونيمى من اهتمام - أن الحلل يواجه عادة بحلول بديلة عندما يأتى إلى مشكلة تحديد الأمور الكلامية التي تشكل معناها

تذرات أو - بتعبير أكثر تقنية - صوراً صوتية للفونيم الواحد ، وفي هذه النقطة يمكن أن يطبق معايير متكاملة متفوعة (سوف نهملها) ويمكن أن يبقى مع ذلك مجال الاختلاف حول عدد الفونيمات الموجودة في لغة معينة وصورها الصوتية الموجودة في سياقاتها المختلفة حتى عندما يتوصل بهذه المعايير المتكاملة وعلى الرغم من الانطباع الأول المأخوذ من مقررات أساسية كثيرة فهناك شك ضئيل في أن تفشل النظرية الأمريكية الكلاسيكية في إيجاد تحليل فونولوجي متميز ومقبول على المستوى العالمى لكثير من اللغات .

وتتحول الآن إلى فكرة التوزيع ، وهذه الفكرة — كما سنرى خلال هذا الكتاب — لا تتصل بالفونولوجيا فحسب لكنها تتصل أيضاً بالنحو والطلاقة ، وتوزيع كيان ما — باختصار — مجموعة للسياقات التي يذكر فيها خلال جمل لغة ما ، ومصطلح كيان يؤخذ بمعناه العام قدر الإمكان ، وبقدر ما يلقى القسم الحالى من اهتمام يظل مشتملاً على الأصوات الكلامية والملاح الصوتية من ناحية والفونيمات من ناحية أخرى ، ومفهوم التوزيع يفترض خلفاً لمفهوم صحة التركيب (انظر ٢ - ٦) ويعنى ذلك — بقدر ما تلقى الفونولوجيا من اهتمام — أن ما يجب أن نتعامل معه ليس ببساطة صيغ نظام لغوى موجودة بالفعل ولكن مجموعة من الصيغ الصحيحة التركيب على المستويين للفونولوجي والصوتي ، وفي كل اللغات الطبيعية صيغ موجودة بالفعل مستخدمة استخدماً شائعاً إلى حد ما (مستعارة بصورة متكررة من لغات أخرى) لا تتطابق مع الأنماط الفونولوجية الأعم ، وهناك كثير من الصيغ التي لا وجود لها يدركه المتكلمون أنها صيغ كائنة — بالمعنى المناسب — في انتم أي أنها تطابق الأنماط العامة ، ولتأخذ مثلاً كلاسيكياً حاضراً إذ إن [brik] صيغة كلمة موجودة بالفعل وموجودة بالقوة (بالكتابة الصوتية العريضة) لاحظ أن brick ؛ [blik] صيغة موجودة بالقوة وليست موجودة بالفعل ، وأن

[• baik] من الناحية الأخرى ليست صيغة كلمة فهي موجودة بالفعل بحسب
في اللغة الإنجليزية بل هي صيغة هائلة البنية من الناحية الفونولوجية (ومن ثم
كانت العلامة النجمية) ، وتوجد صيغ صيغة البنية في اللغة الإنجليزية تبدأ
بـ [bɔ]^(١).

وإلى المدى الذي تكون فيه اللغات انظما محكومة بـ نون فإن كل كيان
لغوي يخضع لقوانين في نظام لغوي ماله توزيع مميز ، ويكون لكيانين أو
أكثر توزيع واحد إذا - وإذا فقط - ذكرا في المحيط نفسه أي إذا أمكن
استبدال الواحد منهما بالآخر (أي إذا كانا يتصفان بإمكانية الاستبدال
الداخل) في كل السياقات (الخاصة لشرط صحة البنية) ، والكيانات التي يمكن
استبدالها في بعض السياقات وليس جميعها تتداخل في التوزيع ، والمهوية
التوزيعية يمكن لذلك أن تعد حالة محدودة من التداخل التوزيعي ، وإذا كان
« البعض » يلزم أن يندرج تحت « الكل » فإنها تعرف بحيث تقع في إطار
تعريف التداخل ، ولنعرفها من الآن فصاعدا كآلاتي : الكيانات التي لا يمكن
استبدالها في أي سياق تقع في إطار التوزيع التكاملي .

ونستطيع الآن تطبيق هذه الأفكار على قضية تعريف الوحدات الصوتية
وصورها الصوتية ، وبإحدى ذي بدء يجب أن نذكر أن أي صوتين لا يمكن
أن يكونا في وضع تقابل وظيفي ما لم يتداخل في التوزيع : على الأخص الأصوات
النكلامية التي لا تتداخل في التوزيع لا يمكن أن يكون لها وظيفة التمييز بين
صيغة وأخرى ، فعلى سبيل المثال هناك أصوات [l] عديدة ومختلفة من

(١) فيما عدا ما يطلق عليه الصيغ المختصرة (في النطق) التي توجد باعتبارها
صور مختلفة في الكلام السريع أو الكلام العامي (فعلى سبيل المثال [bni:ə]
باعتبارها صورة مختلفة مختصرة لـ [baniə] beneath في النطق النموذجي
(المؤلف) .

الناحية الصوتية في النطق النموذجي (RP) للغة الإنجليزية ، ومعظم هذه الأصوات تنقسم إلى مجموعتين يشار إليهما بصورة انطباعية بالمرققة ، والمفخمة (وقد يكون لأفراد هاتين المجموعتين موضع أساسي واحد في النطق لكنها تختلف فيما إذا كان الجزء الرئيسى من اللسان متجها إلى مقدم الفم أو مؤخرته) ولا تذكران في موضع واحد في صيغ الكلمات : فأصوات [L] للمرققة تقع قبل الحركات الأمامية داخل صيغ الكلمات ، وأصوات [L] للمفخمة تقع بقية المواضع ، واستبدال صوت [L] المرقق بالصوت المفخم المعتاد لنقل في leaf لا يستطیع أن يغيرها إلى صيغة أخرى (على الرغم من أن ذلك قد يجعل على أن تبدو فيما يتصل بهذا الشأن أيرلندية أو فرنسية) وبالمثل فإن استبدال [L] للمفخمة بـ [L] المرققة المعتادة لنقل في leaf لا يمكن أن يغيرها إلى صيغة كلمة أخرى موجودة بالفعل أو بالقوة ، وعموما فإدات كل أصوات [L] سواء منها المفخم والمرقق تقع في توزيع تكاملي فلا يمكن أن تكون في تقابل وظيفي فهي تناسب الشروط المذكورة التي تحدد الوحدة الصوتية وتحدد التماثل الصوتي والتوزيع التكاملي لها وتخصص على وجه العموم للوحدة الصوتية المفردة كما تخصص لصورها الصوتية أى ما يميزها من الناحية الصوتية وما يميز أشكالها المختلفة تبعاً للموضع ، وهو ما يعد جوهر العناصر الفونولوجية التي يجب أن تكون في تقابل وظيفي في مكان ما على الأقل في النظام اللغوي .

والصور الصوتية دون الوحدة الصوتية ومع هذا فلها توزيع محكوم بقانون أى أنها تتعلق في هذا الشأن بالنظام اللغوي بسبب ظهورها في الوصلة الصوتية لكنها ليست عناصر في النظام اللغوي ، وعناصر نظام لغوي ما (تبعاً للنظريات الفونيمية في الفونولوجيا) هي وحداتها الصوتية (الفونيمات) ، والوحدات الصوتية - حسب العرف - يمثلها الحرف الرمز (مع العلامات الصوتية المميزة أو بدونها) بما يتناسب مع الكتابة الصوتية العريضة لإحدى

الصور الصوتية التي يمكن تمييزها صوتيا وتوضع داخل الشرطتين المائلتين //
 على صيبل المثال الوحدة الصوتية الإنجليزية / L / لها كما لصورها الصوتية
 مجموعة من الأصوات الكلامية المتميزة صوتيا يمكن أن نميز كل صوت منها
 من غيره - عند الضرورة - في الكتابة الصوتية الضيقة وهكذا يكون لدينا
 طريقة أخرى للإشارة إلى الصيغ الأخرى الطريقة الفونيمية أو بصورة أهم
 إذا عممنا استخدام الشرطتين المائلتين (كما صنعنا في هذا الكتاب) الطريقة
 الفونولوجية ، ومن الأهمية أن ندرك - كما أوضح من الشرح السابق - أن
 التمثيل الفونيمي ليس ببساطة كتابة صوتية مريضة .

وثمة نقطة أخرى يجب أن نثار ، فكل الكتب الأساسية في علم اللغة
 تقدم غالبا شرحا غامضا ولا نقول هراء لمبدأ التقابل الوظيفي ، فقد تذكر على
 صيبل المثال أن استبدال صوت [L] المرقق بصوت [L] المفخم في feel
 لا يغير معناها بينما استبدال صوت [r] بصوت [L] في كلمة lamb يغير معناها
 وهذا الكلام - بلامواربة - خطأ فاستبدال [r] بـ [L] في كلمة lamb يغير
 الصيغة ولا يغير المعنى أي أنها تغير صيغة lamb إلى صيغة ram حقا إن « lamb »
 و « ram » (أي الكلمات التي تعيد lamb و rain صيغا لها) تختلف
 في المعنى ، ومن هنا فإن الأقوال التي تشتمل عليها سوف تختلف (بشكل عام)
 في المعنى ، ولم تدفع حذقة علمية لاداعي لها إلى أن ألقت النظر إلى الشرح
 النامض المتكرر لمبدأ التقابل الوظيفي ، فالاختلاف في الصيغة لا يتضمن اختلافا
 في المعنى (انظر ظاهرة الترادف) كما أن الاختلاف في المعنى ليس المعيار الوحيد
 الذي نعتمد عليه في إقرار اختلاف الصيغة ، وما إذا كان ممكنا أن يكون هناك
 اختلاف في الصيغة لا يرتبط بعلاقة متبادلة في بعض النقاط في نظام لغوي ما
 مع اختلاف ما في المعنى قضية خلافية تعتمد جزئيا على تعريفنا للمعنى ، لكن
 ليس من شك في أن ما بوضع في الاعتبار عند شرح مبدأ التقابل الوظيفي هو
 تطابق الصيغة واختلافها وليس تطابق المعنى واختلافه .

والنداخل التوزيعي شرط ضروري - لكنه غير كاف - للتقابل الوظيفي ، ومن الشائع إلى حد بعيد أن الأصوات الكلامية المختلفة على المستوى الصوتي يمكن تبادلها داخليا في السياق نفسه ومن ثم تكون بدائل حرة أي أنها لا تكون في حالة تقابل وظيفي فعلى سبيل المثال [؟] و [١] يكونان في وضع البدائل الحرة عند كثير ممن يتكلمون اللغة الإنجليزية بطريقة النطق النموذجية (RP) في صيغة مثل brightness ، [... ? n ...] في مقابل [... t n ...] أو that block ، [... ? b ...] في مقابل [... t b ...] أي قبل الصوامت الشديدة الفموية منها والانفية ، ولم يغير إبدال صوت كلامي بآخر هنا صيغة brightness أو that bloke إلى صيغة أخرى ، وهو ما قد يمر في الواقع بلا ملاحظة ، وفي حالات أخرى خاصة بما يعد عادة - لغرض التحليل الفونيمي - بدائل حرة فإن اختيار نطاق معين دون آخر قد تحدده عوامل أسلوبية مختلفة الأنواع وبقدر ما يلتقي التحليل الفونيمي من اهتمام فإن التقابل الوظيفي يمكن فهمه على أنه محدد للوظيفة المميزة أي وظيفة تمييز صيغة عن أخرى ، وما يمكن أن يكون مثار جدل - كما يصر الفونولوجيون من أتباع مدرسة براغ أن الوصف الفونولوجي يجب أيضاً أن يؤخذ في الاعتبار عند الاختلاف الأسلوبى (انظر ٧ - ٣) .

ومن أقدم المكتشفات في الفونولوجيا وأعظمها أهمية أن الأصوات الكلامية التي في حالة تقابل وظيفي في لغة معينة قد تكون في حالة توزيع تكاملي أو تنوع حر في لغة أخرى فعلى سبيل المثال [لا] و [d] في حالة تقابل وظيفي في اللغة الإنجليزية (انظر there في مقابل dare) غير أنهما في حالة توزيع تكاملي (ربما مع بعض التنوع الأسلوبى) في اللغة الأسبانية القشتالية (انظر nada [naða]^(١) في مقابل dos [dos]^(٢) ، ويمكن أن تتعدد الأمثلة ،

والنقطة الهامة أن اللغات تختلف إلى حد بعيد فيما يتصل بالمميزات الصوتية التي تضعها لإدراك الصيغ (في الوسيلة الصوتية) التي تتركب منها الجمل ، وهذه النقطة ثابتة ولا تعتمد على النظرية الفونولوجية التي تشرح في إطارها .

خامساً : الملامح المميزة والفونولوجية التطريفية

تعد للفونيات - تبعاً للنظرية - علم الفونيات الأمريكي الكلاسيكي المشار إليها في القسم السابق - أصغر العناصر الفونولوجية في النظم اللغوية ، ووجهة نظر أخرى أخذ بها تروبتسكي أحد الأعضاء المؤسسين لمدرسة برغاف في علم اللغة التي ماورت رؤيتها الخاصة لبنائية دي سوسير وكان لها تأثيرها الكبير خصوصاً في الفونولوجيا وعلم الأسلوب في الثلاثينيات من هذا القرن (انظر ٧-٣) ، والفكرة الأساسية لفونولوجيا مدرسة براغ أن الفونيات هل الرغم من أنها مازالت أصغر القطع في النظم اللغوية فإنها ليست أصغر العناصر فهي حزمة (أو مجموعة) من الملامح المميزة المتزامنة ، وهذه الفكرة - مع تعديلات معينة أدخلت فيما بعد عليها - تبناها في الستينيات من هذا القرن مؤيدو النحو التوليدي ، وفي صياغتها الحالية حلت محل الابتكار التي تميز علم الفونيات الأمريكي الكلاسيكي التي ترتبط في الأصل بالنحو التوليدي بوصفها جانب من موروث ما بعد البومفيلدية^(١) (انظر ٧-٤) ، وما نحن بصدد هنا فيما يخص نظرية السمة المميزة لا يفتى بالتمييز بين المراحل التاريخية لتطورها .

(١) البومفيلدية Bloomfieldian (ism) وصف لمن يتبع المنهج اللغوي لعالم اللغة الأمريكي ليونارد بومفيلد ، وذلك كما يتمثل في كتابه ، اللغة ، (Language) الذي نشر عام ١٩٣٣ ، ويشهر الاتجاه البومفيلدي (=Bloomf-)

ويشير مصطلح مميز إلى ذلك الجانب الخاص بالتقابل الوظيفي في النظم اللغوية الذي يتعلق بتميز صيغة عن صيغة أخرى (انظر ٣ - ٤) ، وقد أعطى الفونولوجيون التابعون لمدرسة براغ اهتماما كبيرا لأنواع أخرى من الوظيفة الفونولوجية غير أن هذا لا يعنيننا الآن ، ومصطلح ملح معروف سلفا منذ تناولناه في ذلك القسم الذي يتناول علم الأصوات النعاني (انظر ٣ - ٣) ، ويمكننا في الواقع أن ننقل سريعاً إلى تفسير الأفكار الأساسية لنظرية للملح المميز على أساس ما قلناه في الفصلين السابقين .

فالأصوات الكلامية يمكن أن تصور على أنها مجموعة من الملاح الصوتية ، والملاح الصوتية التي استخدمناها من قبل نطقية لكنها قد تكون بالدرجة نفسها سمعية أو - من حيث المبدأ - نغربية ، ويصدق الأمر نفسه على ما يتصل بالملاح الفونولوجية الخاصة بنظرية الملح المميز ، وتستخدم كلا من الملاح السمعية والنطقية ، وبقدر ما يمكن أن تعد الفونولوجيا - بخلاف علم الأصوات - إحالة غير مباشرة لوصيلة الصوتية (على الرغم من أن نظريات الملح المميز تميل كلها إلى عدم الأخذ بهذه الوجهة المجردة إلى حد ما للفونولوجيا) فقد يكون من الواجب أن يتعامل المرء مع الملاح الفونولوجية غير النطقية وغير السمعية لكنها قادرة (حتى ولو من

= jeldianism) بصفة خاصة إلى مدرسة في الفكر تطورت في الفترة الواقعة بين منتصف الثلاثينات والخسينات وبصفة خاصة في أمريكا وكان لها تأثيرها على علم اللغة البنيوي (structural linguistics) ، وتميزها بصفة خاصة بمبادئها السلوكية في دراسة المعنى ، وتأكيدها على الخطرات الكشفية الحازمة في تأسيس الوحدات اللغوية ، والاهتمام العام بتحقيق الصفة العلمية لعلم اللغة (بالمعنى السلوكي) ، وأمد القوة التي أخرجت النحو التوليدي رد فعل ضد الاتجاهات البلومفيلدية ، وعلى الرغم من أن البلومفيلدية لم تعد متمشية مع الاتهامات المعاصرة فإن بعض طرائقها مازالت مستخدمة على نطاق واسع في مجال البحث .

خلال طريق معقد إلى حد ما) على الارتباط بهما مما على قدم المساواة ،
وأيضا بالملاح التجريبية عندما يحقق علم الأصوات التجريبي تطورا أبعد مما
هو عليه الآن ، وسنستخدم المسميات النطقية صعبا وراء بساطة العرض ، وحتى
نحمل الأمور واضحة فإننا عندما نتكلم عن الملامح الفونولوجية وليس الملامح
الصوتية سنستخدم الأقواس التي على شكل // وليس الأقواس التي على شكل []
لتحيط بالمسميات النطقية (وماذا كرهناه لا يعد حرفاً مشتركاً لسكنه
يعمل على وضوح التصور ويفتح الباب لخيارات نظرية معينة) لذلك فإنه ينما
يمكن! وصف الصوت الكلامي [P] بالرجوع إلى الجدول رقم ٢ بالمجموعة :
{ [+ شفوي] ، [+ شديد] ، [- مجهور] ، [- أنفي] } فإن الفونيم
الإنجليزي / p / يفترض أنه يمكن تحليله إلى المجموعة { / + شفوي / ،
/ + شديد / ، / - مجهور / } .

وربما بدا لنا من الوهلة الأولى أننا لانفعل أكثر من خدعة رمزية
نستبدل خلالها الأقواس // بالأقواس [] وندعى أن النتيجة فونولوجية
بدلاً من أن تكون صوتية ، ومع ذلك يجب أن نلاحظ أن ثلاثة ملامح وليس
أربعة ملامح قد ذكرت بخصوص الفونيم الإنجليزي / p / كلامح مميزة ،
ولا يوجد الملاح الفونيمى / - أنفي / مذكوراً للفونيم / p / وذلك لأن غياب
الأنفية يمكن التنبؤ به في اللغة الإنجليزية (وليس في جميع اللغات) من غياب
الطهر ، وتذكر / - أنفي / للفونيم / b / لشرح وظيفته المتميزة في ban التي
تقابل man وفي cub التي تقابل come ... الخ ، والوصف النعالي ل [p] أيضاً
لائق إلى حد بعيد (فهو ينحصر في الملامح النطقية التي يشملها الجدول رقم ٢)
وعموماً فإن مجموعة الملامح المميزة التي ونحدد الوحدة الصوتية وتميزها ستكون
أقل بكثير من مجموعة الملامح الصوتية التي تميز إحدى صورها الصوتية ،
لعل سبيل المثال للفونيم الإنجليزي / p / صورة صوتية عبارة عن صوت

نفسى مهموس شفوى قوى شديد ، وله وصف نطقى أتم من ذلك لا يشتمل على الإشارة إلى النفسية فحسب ولكنه يشير أيضاً إلى درجة اندفاع تيار الهواء بعد إعاقه الشفتين له ، وإلى مدة الإعاقه ، وإلى مدة النفسية وإلى الملامح الأخرى عديدة تجعل منها الصوت الإنجليزى المميز [p^h] (بمجرى معين) فى الموضع الذى يذكر فيه ، غير أنه لا يوجد من بين تلك الملامح الصوتية ملح مميز إلى الدرجة التى تؤدى إلى تغيير الإدراك الصوتى لصيغة من الصيغ فى اللغة الإنجليزية إلى الإدراك الصوتى لصيغة أخرى .

وفىما يتعلق باللامح الثلاثة التى تعرفنا عليها سلفاً باعتبارها مكونات الفونيم /p/ وهى /+ شفوى/ ، وتسكافى [+ شفوى] وتميز نطق pin من نطق tin ، و kin ... الخ ، و /+ شديد/ وتميز pat من fat (حيث إن اللغة الإنجليزية لا يوجد فيها صوت شفوى احتسكاكى باستثناء الصور الصوتية الفونيم /p/ فى مواضع أخرى ، ولا يوجد فيها أصوات أسنانية لثوية شديدة ويمكن أن يعتبر المرء الفونيم /f/ ، والفونيم /v/ نظيرين احتسكاكيين الفونيم /p/ والفونيم /b/ وتميز tick عن sick و (thick) ، و /- مجهود/ تبعاً لوجهة النظر ، التقليدية ملح يميز pin عن bin ، و pat عن pad ، ويمكن إثبات أنه للملح الذى يميز /p/ ، و /t/ ، و /k/ ، و /s/ ، و /θ/ ... الخ من /b/ ، و /g/ ، و /d/ ، و /z/ ، و /ð/ ... الخ ، ولا يتحدد فى اللغة الإنجليزية باللمس ولكن بشئ آخر يكون معه اللمس أو النفسية (أو كلاهما) مصاحباً صوتياً مألوفاً ، وعلى كل حال ومهما كانت وجهة النظر التى نأخذ بها فى هذه القضية تظل حقيقة أننا بحاجة إلى كل من /+ نفسى/ ، و /- جهري/ فى تحليل اللامح المميزة للغة الإنجليزية :

وقد استخدمنا مصطلح « صورة صوتية » في التفسير الذى قدسناه الآن
 هن العلاقة بين الوحدات الصوتية والملاح المميزة التى تتكون منها ، وفكرة
 اختلاف الصور الصوتية تعالج - فى الواقع - معالجة مختلفة إلى حد ما
 فى إطار نظرية الملاح المميز لذلك فإن إمكانية تطبيق المصطلح ذاته مثار جدل ،
 والنقطة الحاسمة فى تحليل الملاح المميز للفونيمات أن كل فونيم يختلف عن غيره
 فى النظام اللغوى بما لا يقل عن ملح واحد - وجوداً أو هدماً - من مجموعة
 الملاح التى تحدده ، ومجموعة الملاح المحددة الخاصة بالفونيمات تظل ثابتة
 خلال الإطار الكلى لموضع فكرها وما تشير إليه نظرية الفونيمات الأسبكية
 الكلاسيكية فيما يتعلق بتنوع الصور الصوتية تعالجه فى إطار نظرية الملاح المميز
 (على الأخص فى إطار النحو النوايى) قوانين (تحويل أصغر مجموعة فونولوجية
 كافية لتمييز كل وحدة صوتية عن غيرها إلى ملاح صوتية : / + شفوى /
 ← [+ شفوى] ، و / + مجهور / ← [+ مجهور] . . الخ) وتضاف
 الملاح الصوتية غير المميزة المناهضة سياقياً لموضع معينة من ورودها ، فعلى
 سبيل المثال الملاح الصوتى [+ نفسى] يضاف إلى التحقق الصوتى الخاص
 بالفونيم الإنجليزى / p / فى موضع أول الكلمة (وذلك كما فى pit أو pot) ولكنه
 لا يضاف عندما يكون هذا الفونيم واقعا بعد / s / (وذلك كما فى spit أو spot
 والملاح الصوتى [- مجهور] يضاف إلى كل مواضع ورودها .

وقد أصبح من الواضح فى القسم السابق أن اللغات تختلف إلى حد بعيد
 فيما يتعلق بالملاح الصوتية التى تصنع التمييز ، وتلك التى لا تصنع التمييز (إذا
 كانت موجودة بشكل من الأشكال) ، ويظل هذا صحيحاً بغض النظر عن
 عن النظرية الفونولوجية التى تأسست هذه للفكرة فى إطارها ، وبما يمد أيضاً
 برغم كل شيء حقيقة تجريبية أن [+ نفسى] ملح مميز فى اللغة الهندية واللغة

الصينية المدرسية^(١) ، وأن حركات اللغة الفرنسية يمكن أن تكون أمامية ودائرية في آن واحد ، وأنه في لغات أسترالية كثيرة للغاية تكون الأنفية — وليس الجهر — ملحاً مميزاً ، وتميز وحدات صوتية أكثر مما تميزه في أية أوربية وهم جرا ، وسنلاحظ مع ذلك أننا في كل مثال من هذه الأمثلة استخدمنا مصطلحات مثل « نفس » ، و « أمامي » ، و « خلفي » ، و « أنفي » ، وهذه المصطلحات تستخدم في وصف المثات ولا نقول الآلاف من اللغات المنطوقة الأخرى ، ونظرية الملح المميز تلك لا يمكن أن تتناقض مع وجهة النظر التي تذهب إلى أن عدداً غير محدد من الملامح المميزة الممكنة تصنع منها النظم اللغوية اختياراتها الخاصة المتفردة ، وتربط هذه النظم بين هذه المكونات بطرق لا يمكن الإخبار عنها حتى تقيم فوائدها الخاصة ، غير أن الصياغات الحديثة لنظرية الملح المميز تتجه نحو افتراض توبده شواهد مناسبة فاللغات الطبيعية الموجودة يمكن أن توصف وصفا مرضيا اعتماداً على قائمة تزيد قليلاً عن اثني عشر ملحاً مميزاً موجوداً بالقوة بقدر ما تلقى لظمها الفونولوجية من اهتمام ، وإنه لحقيقة مؤكدة أن تكون هناك ملامح صوتية فسيولوجية كثيرة إلى حد بعيد لا نضم تمييزاً — على حد علمنا — في النظام الفونولوجي لأي لغة طبيعية ، وتوجد روابط فسيولوجية كثيرة ممكنة بين الملامح لكنها نافرة إلى حد بعيد أو غير موجودة على الإطلاق ، وقد ذهب تشومسكي^(٢)

(١) اللغة الصينية الرئيسية المنطوق بها في حوالى أربعة أخماس الصين .

(٢) أفرايم نوح تشومسكي « Avram Neam Chomsky » (١٩٢٨)

— (الأستاذ بقسم اللغات الحديثة وعلم اللغة في « Massachusetts Institute of Technology » ، وتعرف نظريته في البنية اللغوية بالنحو التوليدي التحويلي ، وتعد ثورة في علم اللغة أحدثها نشر كتابه « Syntactic Structure » ثم كانت منشوراته الأساسية في الموضوعات اللغوية القوية « Current Issues in linguistic theory » عام ١٩٦٤ (م ٩ — اللغة)

إلى أن ذلك سببه أن النظام الفونولوجى فى اللغات الطبيعية - مثل النظامين النحوى والدلالى فيها - يقيده بشده النزوع الإنسانى النوعى إلى التعامل مع أنواع معينة من المميزات دون غيرها (انظر ٧ - ٤) .

ومن أكثر الفوائد اللافتة للنظر فى نظرية الملح المميز إذا ما قورنت بعلم الفونيات أنها تقدم تفسيراً معيلاً للمبادئ التى تحدد صحة بنية تنابعات الفونيات فى إطار موسع من الأمثلة فى لغات كثيرة ، فعلى سبيل المثال يمكن أن تقع بين /٥/ الذى يقع فى بداية الكلمة^(١) و /٢/ الموجود فى الصيغة نفسها الفونيات

== والكتاب الصادر عام ١٩٦٥ « Aspects of the Theory of Syntax » ، وأدخل هذا الأخير اتجاهها جديداً فى النظرية التوليدية وصار وجهة النظر المعتمدة لسنوات عديدة ، وصدر عام ١٩٦٨ مؤلفه الرئيسى فى الفونولوجيا « The Sound Pattern of English » بالاشتراك مع موريس هـال (Morris Halle) ، ويتضمن كتابه Reflections on language الصادر عام ١٩٧٦ أحدث ما وصل إليه .

وبحلول منتصف الستينات أكد تشومسكى على دور اللغة كوسيلة استراتيجية لبحث العقل الإنسانى ، وناقش وجهة النظر هذه فى كتابه اللغة والعقل الصادر عام ١٩٦٨ وهو الجانب الذى جذب أوسع القراء - وبصفة خاصة الفلاسفة وعلماء النفس - إلى علم اللغة .

(١) ويسمى الأول أو الابتدائى (initial) ويشير إلى العنصر الأول من الوحدات الصوتية ويستخدم بصفة خاصة فى الفونولوجيا فعلى سبيل أمثال الوحدة الصوتية (الفونيم) / K / يذكر فى الموضع الابتدائى أو الأول من الكلمة (cat) ، والكلمة the تذكر فى الموضع الابتدائى أو الأول من العبارة الاسمية (the big house) ، ويشار إلى المواضع الأخرى بالموضع المتوسط (medial) والموضع النهائى (Final) ، وتأخذ السمات اللغوية الأخرى التى تذكر فى هذا الموضع مسميات مناسبة مثل النبر الأول (initial stress) أى التبر على المقطع الأول من كلمة ما .

/p/ ، و /t/ ، و /k/ لكن لا يمكن أن تقع الفونيمات /b/ ، و /d/ ، و /g/ (انظر spray ، و stripe ، و scratch في مقابل /sbr -/ ، و /sdr -/ ، و /sgr -/) وهو مجرد سياق من سياقات كثيرة يمكن أن تستبدل فيها الفونيمات /p/ ، و /t/ ، و /k/ استبدالا داخليا بخلاف الفونيمات /b/ ، و /d/ ، و /g/ ، وهذا الجانب من توزيع هاتين المجموعتين من الفونيمات يفسره (بطريقة صوتية معقدة) قانون مفرد يشير إلى التقابل بين /- جهر/ ، و /+ جهر/ ، وبالمثل فإن للمائلة بين /n/ ، و /m/ ، (في ظروف معينة) عندما تلي /p/ ، أو /b/ ، أو /m/ من ناحية ،

/k/ ، أو /g/ من ناحية أخرى يمكن أن تنسب إلى وجود /+ شفوي/ من ناحية ، و /+ طبقى/ من الناحية الأخرى ضمن مكونات الفونيم موضع المائلة ، انظر :

unmistakeable و [mb] unbeatable ، و [mp] unproductive

[mm] ، و [uncouth] ، و [unguarded] ، و [ng] (ولا

يعبر الهجاء هنا عن المائلة كما يحدث عند تحول /n/ إلى /m/ في الصيغ المشتقة من اللاتينية مثل imponderable ، و imbued ، و immutable) ، وتشيع تلك الحالة التي يمد فيها ملح معين مثل /+ شفوي/ ، و /+ أنفي/ ، و /+ جهر/ - في سياقات معينة - ملحاً نظرياً أي ممتداً إلى سلسلة من قطعتين صوتيتين أو أكثر .

لكن ماذا عن احتمال ألا يجوز للمحميز معين إلا أن يكون ملحاً نظرياً في نظام لغوي معين ؟ وهذا ليس ببساطة احتمالاً نظرياً ، ولللامح النظرية من هذا النوع موجودة في لغات كثيرة ، فعلى سبيل المثال ما يطلق عليه التوافق الحركي ليس أمراً غريباً شائعاً ، وتشمل كما نرى في اللعبة التركيبية

للاملاح المتقابلة / + خلفية / في مقابل / - خلفية / و / + مستديرة / في مقابل / - مستديرة / ، ولو أننا نحينا جانبا صيغ الكلمات التي لا تتوافق مع النمط العام (وهي تلك التي تكون غالبا مقترضة من لغات أخرى) فإنه يمكننا القول بأن كل الحركات في المواضع للمتتابعة في الكلمة التركية يجب أن يكون لها قيمة واحدة . فما يتصل بالتقابل / \pm خلفية / وفيما يتصل بالتقابل / - مستديرة / (وفق شرط آخر يمنع تركيب / + مستديرة / مع للمح القطعي / - مفتوح / في كل المقاطع الابتدائية) ، وبغض النظر عن الطول الذي يمكن أن تمتد إليه الكلمة - وبفضل البنية النحوية للغة التركية نجد فيها صيغ كلمات كثيرة طويلة - تكون التقابلات / \pm خلفية / ، و / \pm مستديرة / تطريزية بالمعنى الذي أوضحناه من قبل .

وللاملاح التطريزية للميزة من ذلك النوع الذي ضربنا له مثالا الآن هو ما يطلق عليه النظرية التطريزية في الفونولوجيا وتشير - بمعنى خاص للمصطلح - إلى التطريزيات ، وتميز النظرية التطريزية للفونولوجيا ما يعرف بمدرسة لندن اللغوية التي لديها الكثير لدرجة أنها تشارك نظرية للمصطلح المميز أكثر تطوراتها الحديثة ، ومن سوء الحظ أن الاختلافات في المصطلح - ولا نذكر الاختلافات الخاصة بالاستشراف النظري فيما يتصل بالموضوعات الأعم - تعمل على إخفاء أوجه الشبه ، والاختلاف الاساسي بين نظرية للمصطلح المميز التقليدية والنظرية التطريزية أن الأولى مازالت نظرية فونيمية أو قطعية مثل علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي بينما تسمح النظرية التطريزية على الجانب الآخر بتواجد العناصر الصوتية (القطعية) والعناصر التطريزية (الموسيقية) وأن يكون لها مكانة متكافئة ومتكاملة في قوائم المحتويات الفونولوجية للنظم اللغوية ، وأكثر من ذلك تدرك أنه على الرغم من وجود إنجاء (الأسباب

صوتية) لأن تصبح مكونات معينة قطعية و تطريزية معا فإن فكرة التطريزية ترتبط من حيث المبدأ بنظم لغوية معينة .

ومصطلح تطريزي يجب شرحه الآن وقد استخدم هنا بمعنى غير متفق عليه ، ومعظم اللغويين إذا استخدموا مصطلح تطريزي بأي شكل من الأشكال فإنهم يستخدمونه ليشيروا إلى أشياء مثل النبر ، والنغمة ، والدول وهي أشياء تعد مشكلة في علم الفونيمات الأمريكي الكلاسيكي الذي يفترض أساسا أن بنية الكلمات والجل يمكن أن تفسر تفسيراً تاماً بواسطة العناصر الفونولوجية المرتبة ترتيباً متسلسلاً .

واختلاف النبر بين الصيغة الإسمية import والصيغة الفعلية import في اللغة الإنجليزية المتعلقة (الأول منبور المقطع الأول ، والثاني منبور المقطع الثاني) لا يعالج بشكل طبيعي باعتباره اختلافاً بين فونيميين قاطعيين ، ويرجع ذلك إلى سببين مستقلين جزئياً أولهما أن النبر بصفة أساسية حالة من البروز الأهم لمقطع فيما يتعلق بالمقاطع الأخرى في الصيغة نفسها (أو الصيغ المصاحبة لها) وثانيهما أن التحقق الصوتي للنبر - بخلاف التحقق الصوتي للفونيمات القطعية - لا يمكن أن يسبق أو يتلو (في الزمن) التحقق الصوتي للعناصر الفونولوجية المجاورة له ، ويستطيع المرء بشكل واضح أن يمثل اختلاف النبر بين الصيغ تمثيلاً فونيمياً عن طريق وضع الفونيم المنبور المناظر قبل (أو بعد) الفونيم الحركة التي تناظر نواة المقطع في التحقق الصوتي ، والنقطة الأساسية أنه على الرغم من أن التجزئة يمكن أن تنفذ دائماً في الفونولوجيا على أساس - إذا كان ضرورياً - من القرار العشوائي فإن عشوائية القرارات المفروضة على اللغوي في حالات كهذه هي في حد ذاتها دليل على عدم الكفاية النظرية للإطار الذي ينفذ من خلاله التحليل .

وما قيل عن النبر يقال كذلك عن النغمة وتوجد في لغات كثيرة (يطلق عليها اللغات النغمية) ونعمل على تميز الصيغ بالطريقة التي يسلـكها النبر مع أن ذلك ليس منتشرأ إلى حد بعيد في اللغة الإنجليزية ، وفيما يتعلق بالطول فيمكن أن تكون هناك صوامت طويلة وبالمثل يمكن أن تكون هناك حركات طويلة في لغات معينة ويمكن أن يكون هناك اعتماد متبادل بين طول أحدهما وطول الآخر ، وحتى في اللغة الإنجليزية (في النطق النموذجي لها) يختلف طول الحركات تبعاً لنوعية الصوامت التي تتلوها في المقطع نفسه ، وما يطلق عليه بشكل تقليدي الحركات العويلة يحلها بعض الفونولوجيين دون غيرهم على أنها أيضاً قطع قصيرة على المستوى الصوتي عندما يتلوها صوت شديد مهموس ، وعليه فإن القطعة الحركية في segment أقصر من الناحية الصوتية من تلك الحركة التي في seed أو seo ، وفي الحقيقة يمكن أن تكون أقصر في تحققها الصوتي إذا ما قورنت بالحركة القصيرة على المستوى الفونولوجي في sit وهذه الحقيقة لا توضح فقط الاختلاف بين الطول الفونولوجي وللمدة الصوتية لكنها تبين كذلك بشكل أعم تعقيد العلاقة بين التحليل الفونولوجي والكتابة الصوتية .

سائلا : البنية الفونولوجية

هنا قسم قصير إلى حد بعيد خصص لموضوع كبير إلى حد بعيد ، وهذا بعبارة شرح ما المقصود بالبنية في هذا السياق ، والتأكيد على أن هناك — في التحليل الفونولوجي — ما هو أكثر من تأسيس قوائم محتويات من العناصر انقطعية والتماريضية .

وإذا أخذنا في اعتبارنا وجود قائمة محتويات من العناصر الفونولوجية للغة معينة فإن البنية الفونولوجية لهذه اللغة يمكن أن توصف من خلال العلاقات

التي تربط بين العناصر نفسها والعلاقات - بأنواعها المختلفة - التي تربط بين مجموعات من العناصر الفونولوجية من جهة والتمثيلات الفونولوجية أو الصيغ والوحدات النحوية الأخرى إلا كثر اتساعا من الجهة الأخرى .

وللعلاقات التي تربط بين العناصر نفسها نوعان يشار إليهما بصورة شائعة في التقليديّة السوسيرية بالعلاقات الأفقية ، والعلاقات الرأسية ، ويرتبط المصطلح الأول « العلاقات الأفقية » syntagmatic ارتباطاً تأصيلياً بـ « syntactic »^(١) فغير أنه لا يلتبس بهما فهي لا تعنى أكثر من تنظيمي ، ونظراً لأن مصطلح علاقات رأسية (paradigmatic) على الرغم من إمكانية شرعه شرها تاريخياً وعلى الرغم من استخدامه استخداماً واسعاً إلا أنه من المحتمل أن يكون مضللاً فسوف استخدم بدلاً منه مصطلح « علاقات إحلالية » ، ويمكن ثابتهما - فيما عدا الموقف الذي نتناول فيه على وجه التخصيص بنائية سوسير - العلاقات الأفقية والعلاقات الإحلالية ، والعلاقات الأفقية هي التي تربط بين العناصر التي يمكن أن تذكر في تركيب مع غيرها في سلاسل (من الوحدات) هيكلية البنائية ، والعلاقات الإحلالية هي التي تربط بين مجموعات من العناصر التي يمكن إحلالها إحلالاً داخلياً في أما كن معينة من سلاسل الوحدات ، ومن إنجازات سوسير الرئيسية في هذا القرن - كما سنرى عند مناقشتنا للبنائية - أنه أوضح الاعتماد للتبادل بين العلاقات الأفقية والعلاقات الإحلالية (انظر ٧ - ٢) .

والنظم اللغوية - كما رأينا - يمكن أن تختلف من الناحية الفونولوجية في عدد العناصر الفونولوجية التي في قوائم محتوياتها فحسب (وفي التحقق

(١) النظمي (الخاص بنظم الكلام) .

الصوتى لهذه العناصر) لكنها تختلف أيضا من جهة العلاقات الأفقية التي
تحدد صحة البنية الفونولوجية للتراكيب المحتملة أى سلاسل الوحدات
الفونولوجية ، ونحن نتكلم - لغرض التبسيط - كما لو كانت سلاسل الوحدات
الفونولوجية يمكن أن تحدد بصورة مرضية كما لو كانت تنابعات من الفونيمات
فمنحن نعرف أنه ليس لسكل الفونيمات أن تسبق أو تنلوكل الفونيمات الأخرى ،
فهناك تقييدات تنابعية تمنع ذكر أفراد مجموعة من الفونيمات بعد أفراد مجموعة
أخرى من الفونيمات ، والقوانين التي تحدد صحة البنية الفونولوجية فى لغات
معينة يجب أن تذكر بالتفصيل هذه التقييدات ، وبصورة أعم يجب أن
يذكر بالتفصيل أى هذه العناصر يمكن أن توجد معا فى سلاسل الوحدات
صحيحة البنية وبأى طريقة يكون ذلك .

لكن ليس ذلك كل ما يتصل بالوصف الفونولوجى ، ومصطلح سلسلة
وحدات الذى استخدمناه لتونا يحمل معه ضمنا أن هناك كيانات معينة أكبر
- سلاسل الوحدات - تكون العناصر الفونولوجية أجزاء مكونة لها ، والامر
كذلك بالنأكيد ، والأكثر إثارة للجدل ما إذا كان هناك فى كل اللغات
الطابعية - أو فى الواقع فى أى لغة طبيعية - سلاسل فونولوجية بحتة مثل
المقاطع (ولن نذكر عبارات فونولوجية) ، ونحتاج إلى افتراضها حتى نصف
البنية الفونولوجية موضع البحث ، ومن الممكن تحديدها بدون الرجوع إلى البنية
النحوية للغة ، وإليه لا أكثر سهولة أن نصوص التقييدات التنابعية التى تربط بين
صوامت اللغة الإنجليزية من خلال مواضعها فى للمقاطع نفسها أو للمقاطع المتتالية
أكثر مما لولم نشر - على الإطلاق - إلى المقاطع ، غير أن هذا يفترض سلفاً
تعريفاً نظرياً مرضياً للمقاطع باعتبارها كيانات فونولوجية ، ولا يزال اللغويون
يفصلون قدر الإمكان وتبعاً للضرورة بين المقاطع الافتراضية وسلاسل الوحدات
الفونولوجية البحتة الأخرى فى بنية اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى ، ويمكن

بإبديتها الحال أن يظهر أن بعض اللغات لديها سلاسل وحدات فونولوجية بحتة وأخرى ليست لديها ذلك .

وهناك جدل قليل إلى حد بعيد في هذه الأيام حول ضرورة الإشارة إلى الوحدات النحوية في التحليل الفونولوجي للغات أو بعبارة حديثة حول دمج القوانين الفونولوجية مع القوانين النحوية الخاصة بالنظم اللغوية ، وفي لغات طبيعية كثيرة - ومن المفترض سلفاً أن تكون فيها جميعاً - اعتمادات متبادلة بين المستويات بمختلف أنواعها والتي هي جزء من اللغة كالعلاقات الفونولوجية البحتة أو العلاقات النحوية البحتة ، وقد أدرجنا في الواقع - بشكل مقنع - هذه الفكرة في التبعية الداخلية للمستويات في الأقسام الأولى من هذا الكتاب (أى فيما يتعلق بالسلاسل الفونولوجية التي هي أيضاً وحدات نحوية - تحت الافتراضات الموضحة في ٢ - ٦) إلا أننا أشرنا مراراً وتكراراً إلى موضع الفونيمات في أول الكلمة وفي أوسطها وفي آخرها . . . الخ ، والكلمات تكون بمثابة الأصناف الفرعية للصيغ .

والاعتماد المتبادل بين النحو والفونولوجيا أشمل بكثير - على كل حال - من أى شيء نكون قد عرضناه من قبل ، وهناك ظواهر الاتصال وذلك مثل ما يشار إليه تقليدياً في اللغة الفرنسية بالوصل (Liaison) ومن الضروري لوصفها ألا نشير إلى حدود الكلمات فحسب ولكن أيضاً إلى العلاقة النحوية - إن وجدت - التي تربط بينها عبر حدود الكلمة وذلك مثل وجود (z) في Les hommes [Lezom]^(١) ، وفي [3alzepy] je les ai vu^(٢) في مقابل غيابها في [donleamari] donne - les a Marie^(٣) ، وكثير

(١) الرجل .

(٢) رأيتهم .

(٣) أعطها لماري .

من الظواهر في الجزء غير الكلامي من اللغات المنطوقة الذي نشير إليه بالجزء
التعريزي (انظر ١ - ٥) ويكون فيه النبر والتنغيم على قدر كبير من الأهمية
لا يمكن تفسيرها تفسيراً مناسباً ما لم يكن مجالها محدداً على المستوى النحوي ،
وتعد هذه الظواهر ظواهر فونولوجية ؛ أيضاً حيث تشمل الظواهر الفونولوجية
على المكونات التعريزية والمكونات القعاعية في النظام اللغوي ، وكما رأينا
وإلى الحد الذي لا ترتبط فيه المكونات التعريزية باللغة المكتوبة يكون عدم
تصابق اللغتين المكتوبة والمنطوقة ، ومن الواضح الآن أنه بقدر وجود مميزات
فونولوجية ذات ارتباط بالدلالة والنحو لا يمكن تحويلها إلى وسيلة مكتوبة
تختلف بالضرورة اللغة المنطوقة عن الكتابة المناظرة لها على المستويين الدلالي
والنحوي .

الفصل الرابع

النحو

أولاً : النحو ، والتصريف ، والصرف

أول ما يجب قوله في هذا الفصل إن مصطلح نحو^(١) (grammar) سوف يستخدم هنا وخلال هذا الكتاب (باستثناء عبارتين : « النحو التقليدي » ، « والنحو التوليدي ») بمعنى ضيق إلى حد ما يقابل « الفونولوجيا » من ناحية « الدلالة » من ناحية أخرى ، وهو أحد معانيه التقليدية وأوثقها صلة بالمعنى للمناد للوصف منه « نحوي » (grammatical) ويدرج كثير من اللغويين مصطلح « فونولوجيا » وحتى مصطلح « دلالة » تحت مصطلح « نحو » (grammar) وهو ما يمكن أن يؤدي إلى الالتباس .

(١) النحو (grammar) أحد المصطلحات الأساسية في علم اللغة ويفطى مجالا واسعا من الظواهر اللغوية ، ويمكن أن نميز أنواعا عديدة من النحو فهناك النحو الوصفى (descriptive grammar) ، والنحو النظري (theoretical grammar) ، والنحو السطحي (surface grammar) ، والنحو العميق (deep grammar) ، والنحو الشكلي (formal grammar) ، والنحو الفكري (notional grammar) والنحو المقارن (comparative grammar) ، والنحو التقليدي (traditional grammar) ، ويشير مصطلح نحو (grammar) في معنى ضيق له إلى مستوى من التنظيم البنيوي يمكن دراسته بصورة مستقلة عن الفونولوجيا (phonology) ، وعن الدلالة (semantics) وينقسم بشكل عام إلى نظم الجملة (syntax) والصرف (morphology) ،

وحق الآن كان تعاملنا مع الافتراض الذي يذهب إلى أن اللغات لها مستويات لبنية : الفونولوجيا ونظم الجملة ، وهذا الافتراض صحتي فيه بما بعده ، لكن ذلك في حاجة إلى تعديل ما لم نكن على استعداد لأن نوسع تصورنا عن الفونولوجيا وأن نحدد مصطلح « نظم الجملة » وراء التفسير التقليدي له ، وما رأيناه من قبل من أنه في بعض اللغات الطبيعية — ومن المفترض أن يكون فيها جميعاً — اعتماد متبادل فيما بين المستويات يجعل من المستحيل الفصل الحارم بين البنية الفونولوجية والبنية النظمية ، وسنرى الآن أنه في لغات معينة على الأقل توجد فجوة بين نظم الجملة (بما هو مفهوم من المصطلح « syntax » بشكل تقليدي) والفونولوجيا ، وهذه الفجوة يسدها في النحو التقليدي مصطلح التصريف ^(١) .

وتفترض كل المعاجم الأوروبية المعيارية القديمة منها والحديثة سلفاً اختلافاً بين نظم الجملة ^(٢) (syntax) والتصريف (inflection) ، وهو ما تفعله

(١) على عكس ما تتضمنه كثير من الكتب الأساسية في علم اللغة فإن التصريف (inflection) وليس الصرف (morphology) هو المقابل لنظم الجملة في النحو التقليدي ، ومصطلح صرف (morphology) ليس حديث النشأة نسبياً لحسب ولكنه عندما يوضع في مقابل نظم الجملة (syntax) — خصوصاً إذا عرفناه من خلال المصطلح الأحدث « الوحدة الصوتية » (morpheme) — فإن استخدامه يتضمن وجهة نظر تقليدية إلى حد بعيد في البنية النحوية للغات ، والنحو التقليدي — على الرغم من عيوبه القاطعة — ليس منطقي بالضرورة في هذه النقطة بعينها ، وتعد وجهة النظر التقليدية المصوغ صراحة واضحة والمشروحة شرحاً مناسباً اختياراً مرضياً مطروحاً من قبل اللغويين ، المؤلفين ، (ب) نظم الجملة « syntax » مصطلح تقليدي يستخدم للإشارة إلى دراسة القواعد التي تحكم طريقة تركيب الكلمات لتكوين الجمل في لغة من اللغات ، ويتماثل هذا المصطلح بهذا المعنى الصرف أو المورفولوجيا « morphology » =

أيضا الطريقة التي تعلمنا جميعا أن نتكلم بها عن اللغة في المدرسة ، ومهما كان مصطلحا « نظم الجملة » و « التصريف » جديدين بالنسبة لنا فإن فيهما معنى نعرف جميعا من خلاله ماذا يعنىان ، وقد اعتدنا على التعامل مع مصطلح « كلمة » واستخدامها - كما هو الواقع في النحو التقليدى - للدلالة على معنيين مختلفين تماما يعتمدان في النهاية على فهمنا العملى لما يقع في إطار مصطلح « التصريف » وانبدا إذن بمصطلح « كلمة » .

كم كلمة في اللغة الإنجليزية ؟ هذا السؤال ملبس ، وتبعا لأحد تفسيرين تعد sing ، و sings ، و singing ، و sang ، و sung كلمات مختلفة ، وتبعا للتفسير الثانى تعتبر صيغا مختلفة لكلمة واحدة هي « sing » ، وعندما نتكلم بشكل عام إذا ما أثير السؤال عن عدد الكلمات للوجود في معجم معين فإننا نأخذ مصطلح « كلمة » بالمعنى الثانى ، أما إذا طلب منا كتابة مقال من ألفى كلمة في موضوع ما فإننا نأخذ المصطلح بالمعنى الأول وأكثر من ذلك نحسب الكلمة إذا تكررت مواضعها بعدد مرات تكرارها .

ولندخل الآن بعض المصطلحات التي يمكننا استخدامها عند الضرورة حتى نحافظ على الحدود الفاصلة بين دلالات مصطلح « كلمة » ، وسنقول إن sing ، و sings ، و sang . . الخ صيغ كلمات (أى أنها صيغ وهي أيضا كلمات) ، وقد استخدمنا مصطلح « صيغة كلمة » في الأقسام السابقة ، وسنقول إن sing (لاحظ أنها تكتب بالحروف العمودية لا للمائلة) هي المفردة ، ولهذه المفردة صيغ عديدة هي : sing ، و sings ، و sang

== وهي دراسة بنية الكلمة ، ويمكن تعريف هذا المصطلح كذلك بأنه دراسة العلاقات الداخلية بين عناصر بنية الجملة ، ودراسة القواعد التي تحكم ترتيب الجمل في تنبغات .

... الخ وهي في الحقيقة ما يمكن أن نصفه تقليدياً بالصيغ التصريفية ، لكن sing تشغل موضعاً متميزاً بين الصيغ الأخرى فهي الصيغة الاستشهادية المعيارية وهي أيضاً ما بعده كثير من التفرع بين الصيغة الأساسية والتمييز بين الصيغة الاستشهادية والصيغة الأساسية لا يقل أهمية عن التمييز بين إحداهما والمفردة نفسها ، فالصيغة الاستشهادية للمفردة هي الصيغة المستخدمة للإشارة إلى المفردة ، وهي أيضاً الصيغة المستخدمة في وضع القائمة الالغائية للمفردات في معجم تقليدي ، والصيغة الأساسية هي الصيغة التي يمكن أن تؤخذ منها كل الصيغ الأخرى الخاصة بالمفردة وفق القوانين الصرفية في اللغة ، وهي الصيغة المميزة للصيغة الأساسية - بقدر ما تلقى الأفعال من اهتمام - في اللغات الفرنسية ، الألمانية ، والروسية ، ومعظم اللغات الأوروبية الحديثة ، ولجميع الأفعال ومعظم الأسماء والصفات في اللغتين اللاتينية والأفريقية .

ونستطيع أن نشير إلى المفردات مثلما نستطيع أن نشير إلى أي صيغة من صيغها ، ونحن - في الواقع - نفعل ذلك ، وسنواصل عملنا هذا عادة بالحروف المائلة (بدون الأقواس < > ، انظر ٣ - ٢) ، وأحياناً بالرموز الصوتية أو الفونيمية خلال هذا الكتاب ، ويمكن أن تختلف الصيغ نفسها في جوانب معينة تبعاً للسياق الذي تذكر فيه ، وتحدد القوانين الفونولوجية درجة اختلافها الصوتي وطبيعته في اللغة المنطوقة ، لكن هذه الصيغ لها صيغة استشهادية يستخدمها اللغويون بصورة متكررة وعلى الأخص علماء الأصوات فيما يتصل بالصيغ الاستشهادية الخاصة بالصيغ المتغيرة من الناحية الصوتية ، فعلى سبيل المثال الكلمتان : come و came كلتاهما (صيغتان للمفردة come) تنطق بصوت شفوي أنفي [m] في الموضع الأخير من صيغتهما الاستشهاديتين على الرغم من أن هذا الصوت قد يكون شفوياً إنسانياً أنفياً [m] - في الاستخدام العادي - إذا وقع مباشرة قبل صامت شفوي إنسانياً آخر مثل [f] أو [v] .

ويمد هذا النوع من التغير دون الفونيمى حيث إن الشفوية في مقابل الشفوية الأسنانية لا تمد من التقابلات المميزة من الناحية الفونولوجية في اللغة الإنجليزية لكن هناك أيضا قدراً معيناً من التغير المحدد سياقياً الواقع في إطار علم الفونيمات الأمريكى الكلاسيكى يقال إنه يشمل إبدال فونيم بآخر ، وفى كلتا الحالتين من الشائع هذه الأيام خصوصاً فى الفونولوجيا التوليدية الحديث عن اشتقاق أو توليد كل الصيغ المتغيرة من الناحية الصوتية من الصيغة العميقة المشتركة التى إما تتعاقب مع الصيغة الاستشهادية للصيغة المتغيرة من الناحية الصوتية موضع البحث أو تكون أكثر شهاهاً من أى تنوعات صوتية أخرى .

وعلى أساس التمييز بين المفردة (الكلمة المفردة بشكل أكثر وضوحاً) وصيغها نستطيع الآن أن نصوغ المميز التقليدى بين نظم الجملة والتصريف^(١) ، فالنحو والتصريف متكاملان ويشكلان مع الجانب الرئيسى مما يسمى بالنحو (grammar) إن لم يكن النحو بأكمله ، كما أنهما يحددان مع الصواب النحوى (محنة البنية النحوية) للجملة ، فنظم الجملة يوضح كيفية ارتباط المفردات الواحدة بالأخرى فى أبنية معينة ، والقوانين التصريفية (بقدر ما يكون للنحو التقليدى من قوانين أكثر من جداول تصريفية) توضح أى صيغ المفردة ينبغى أن ترد فى تركيب دون آخر ، ويتوسط النحو والتصريف مستوى (أو دون المستوى) يستخدم المرء فى الوصف الموجود فيه عبارات

(١) التصريف ، inflection ، مصطلح يستخدم فى المورفولوجيا يشير إلى عملية الاشتقاق التى تتماق بصياغة الكلمة أو الفصيصة النحوية ، وهو ما يشير إليه مصطلح ، accidance ، فى الدراسات النحوية التقليدية ويعنى التغير فى الصيغة .

مثل « المفرد الغائب » ، وصيغة الزمن المضارع للمفردة « sing » ، والملكية بصيغة الإفراد للمفردة « BOY » وقد أدخلت عن عمد في هذه النقطة كتابة رمزية متاحة للمفردات (أى الكتابة بالحروف الكبيرة العمودية) وهذه الكتابة الرمزية مستخدمة في أعمال حديثة عديدة أى أن sing ، و SING (الكتابة بالحروف الكبيرة العمودية) شكلان رمزيان مختلفان لشيء واحد (١) .

والفارق الحديث (وبالأخص في البلومفيلية المناخرة) بين نظم الجملة والصرف أن نظم الجملة يتناول توزيع الكلمات (أى صيغ الكلمات) ويتناول الصرف البنية النحوية الداخلية لها ، ويبدو هذا الفارق من الوهلة الأولى شبيهاً إلى حد بعيد بالفارق التقليدى بين نظم الجملة والتصريف لكنه يختلف عنه من ناحيتين أولاً أن الصرف لا يشمل التصريف وحده ولكنه يشمل الاشتقاق أيضاً ، وثانياً أن الصرف يتناول التصريف والاشتقاق كليهما من طريق قوانين تجرى على الوحدات الأساسية نفسها — الوحدات الصرفية « للمورفيات » ، فعلى سبيل المثال مثلما تتركب الصيغة التصريفية singing من وحدتين أساسيتين (من للمورفيات) sing ، و ing فإن الصيغة الاشتقاقية singer تتركب أيضاً من وحدتين أساسيتين sing ، و er وأكثر من ذلك فإنها العملية الإلحاقية نفسها أى إضافة اللاحقة إلى الصيغة الأساسية فى كلنا

(١) والكلام على نحو دقيق أنها ليست الكلمات التى هى بمعنى المفردات ولا الكلمات التى بمعنى صيغ الكلمات ولها توزيع تفسره القوانين التنظيمية فى النحو التقليدى ولكن الكلمات بمعنى الكميات الوسيطة أى الكلمات التنظيمية الصرفية ، غير أننا لنبأ بحاجة إلى الإهتمام فى هذا الكتاب بتعذيب إضافي كهذا ، أنظر : matthews, 1974 ، المؤلف .

لحالتين ، وتعد الوحدات الصرفية (للمورفيات) من وجهة النظر هذه الصيغ الأدنى وتعد وحدات أساسية للبنية النحوية ، ويمكن أن يقع قدر كبير من الصرف في مجال نظم الجملة عن طريق زحزحة الكلمة من مكانها التقليدي محور النظرية النحوية .

وهناك جدل حول تفضيل النحو للمؤسس على اللوفيات فهناك من يؤيد وهناك من يعارض ، وينطبق الكلام نفسه على النحو الأكثر تقليدية للمؤسس على الكلمة ، والمشكلة في الجمع بين إيجابياتهما داخل نظرية متماصة وأكثر حركية من نواح أخرى تتعلق بالبنية النحوية للغات الإنسانية ، ويسير في هذا الاتجاه التقدم العظيم الذي تم إنجازه في العشرين سنة الماضية الذي لا يقارن به ما حدث في التاريخ الطويل لعلم اللغة ، ومعظم هذا التقدم يمكن أن يُعزى بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر إلى تشكيل نظرية معينة في نظم الجملة في إطار النحو التوليدي الذي أخرجه تشومسكي ، وسيقال الكثير عن هذا الأخير ، ويكفي هنا أن نذكر أنه على الرغم من أن نظرية تشومسكي في نظم الجملة مبنية على المورفيم أكثر من أن تكون مبنية على الكلمة إلا أنها تبنت في تطورها الأحداث وجهة نظر أكثر تقليدية في تكامل نظم الجملة والتصريف مما تبنته في صورها الأولى ، وتعالج الآن — على الأخص — الصرف الاشتقاق كشيء لا يعالجها الجزء النظمي الرئيس من النحو لكنه يرتبط ببنية المفردات (أو المعجم)^(١) ، ومهما كانت نظرية النحو التي نتعامل

(١) المعجم ، (lexicon) و يترادف هذا المصطلح مع مصطلح المفردات (vocabulary) ، ولهذا المصطلح مكانة خاصة في النحو التوليدي حيث يشير إلى المسكون الذي يشمل كل المعلومات عن الخصائص البنيوية للألفاظ المعجمية في لغة ما أي خصائصها الدلالية والنحوية والمورفولوجية .

معها الآن فإنه من الواضح أننا لا نستطيع القول ببساطة — كما قلنا في شرحنا السابق لمبدأ الازدواجية — إن وحدات المستوى الرئيسى تتركب من عناصر المستوى الثانوى (١ — ٥) ، والعلاقة بين المستويين أكثر تعقيداً مما يوحى به هذا الشرح ، ومع ذلك فإن هذا التعقيد محكوم بقانون ، وأكثر من ذلك فإنه على الرغم من الاختلافات الجديرة بالاعتبار إلى حد بعيد فى البنية اللغونولوجية والنحوية فى اللغات الإنسانية فإن هناك تشابهات واضحة فيها على حد سواء توحى على الأقل ببعض القوانين التى تحدد كلا المستويين وتدمجهما معاً ، وهذه القوانين التى يستطيع الأطفال السيطرة عليها فى فترة قصيرة نسبياً أثناء اكتساب اللغة تعد قاسماً مشتركاً بين اللغات الإنسانية كلها .

ثانياً: الصواب النحوى والإفتاجية ، والاعتباطية

المحل حسب التعريف — صحيحة نحوياً (أى صحيحة البنية النحوية) ^(١) ،

(١) الصحة النحوية (grammaticality) مصطلح يشير فى علم اللغة إلى توافق جملة ما (أو جزء من جملة ما) مع قوانين نظام نحوى خاص بلغة معينة ، والعلامة النجمية التى تقع قبل الجملة تشير بشكل عام إلى أن هذه الجملة غير متوافقة مع قوانين النظام النحوى الخاص باللغة التى تقع فيها ، بيد أن الحكم بتوافق جملة ما أو عدم توافقه مع النظام النحوى للغة لا يكون سهلاً دائماً فقد يختلف المتكلمون الأصليون فى أحكامهم ، والمصطلح البديل للصحة النحوية (grammatical) هو صحة الصياغة (well - formed) ويقابل اختلال الصياغة (ill formed) ولا تتلحق هذه الأحكام بمعنى الجملة أو بقبولها أو عدم قبولها فى المجتمع فقد تكون الجملة صحيحة من الناحية النحوية (أو متوافقة =

أن نعتبرها — لأغراضنا الحالية — سلاسل من الكلمات صحيحة
البنية (أى تناوبات) من صيغ الكلمات وذلك مثل :

(1) This morning he got up late.

(2) He got up late this morning.

فهما تبعاً للتعريف جملتان مختلفتان فى اللغة الإنجليزية ، ومن وجهة نظر أهم
وأكثر تقليدية من الناحية النظرية يمكن أن نعرف الجمل كاصناف من
سلاسل صيغ الكلمات كل عضو فى صنف له البنية النظامية نفسها ، وبسمح
لنا هذا التعريف — لكنه لا يهيننا — بأن نتعامل مع (1) ، و (2)
كصورتين لجملة واحدة وليستاه جملتين مختلفتين .

ويجب أن نتذكر أن لكل جملة فى اللغة المنطوقة منحنى تطريزى متميز
مركب على سلسلة صيغ الكلمات (وبصفة خاصة نمط تنفيى معين) ، وبدون
هذا المنحنى التطريزى لا تكون جملة ، وئمة خلاف فى علم اللغة حول المدى
الذى تناسب فيه البنية التطريزية للأقوال المنطوقة إلى بنية الجمل ، وينذهب
معظم اللغويين إلى أن جانب البنية التطريزية الذى يميز — على الأقل —
الأخبار عن الأسئلة والأوامر يجب أن ينتسب إلى بنية الجملة ، وهى
وجهة نظر منقبل بها ضمناً ، وتؤدي إلى فتح باب الاحتمالات أمام تناظر
(1) ، و (2) ليس مع جمل مفردة ، ولكن مع مجموعات من الجمل المختلفة
فى اللغة الإنجليزية المنطوقة ، ويتبع ذلك أنه — من وجهة النظر التى فكرتها

= مع النظام النحوى للغة أو صحيحة الصياغة) لكنها غير ذات معنى وذلك كما فى
مثال تشومسكى الشهير :

. Colourless green ideas sleep furiously .

وقد تكون الجملة صحيحة من الناحية النحوية لكنها لا تلقى القبول لسبب أول آخر .

في الفقرة السابقة — إذا أعطينا الاختلاف في رتبة الكلمة^(١) والاختلاف في للنحنى التطريزي الأهمية نفسها باعتبارهما مؤشرين كائنين للبنية النحوي فإن الاختلاف بين صورتين متميزتين من حيث التنظيم للجملة (1) أو (2) يؤخذ في الاعتبار من حيث المبدأ بقدر الاختلاف بين (1) و (2) ، ويجب أن تتولد هذه النقطة في الذهن حتى لو كنا نتحدث في أكثر هذا الكتاب كما لو أن الجمل في اللغات المنطوقة تُصور بشكل مرض على أنها سلاسل من الكلمات .

ما الفرق بين سلسلة من الكلمات صحيحة نحويا وأخرى غير صحيحة نحويا؟ الإجابة بسيطة لكنها غير واضحة في حرد ذاتها ، فسلسلة الكلمات غير الصحيحة نحويا تركيب لم تراعى فيه القوانين النحوية للنظام اللغوي ، ولا ينطبق هذا الكلام على الجمل وحدها وإنما ينطبق أيضا على أجزائها فعلى سبيل المثال : *late got up* * *morning this* * غير صحيحتين من الناحية النحوية (ومن هنا كانت العلامة النجمية انظر ٢ — ٦) ، وإنرى ما يتضمنه هذا الكلام ، وأيضا — بما لا يقل أهمية — ما لا يتضمنه بقدر ما تلقى الجمل اهتمام .

إنه لا يتضمن بطبيعة الحال موقفا معياريا تجاه اللغة أى أننا نعتق بالقوانين الداخلية التي يطبقها المتكلمون الأصليون بلا وهي مع إهمالنا لأي مانع

(١) رتبة الكلمة (word — order) مصطلح يستخدم في التحليل النحوي ليشير إلى الترتيب التتابعى للكلمات في وحدات لغوية أوسع ، وتعتمد بعض اللغات (مثل اللغة الإنجليزية) على رتبة الكلمة كوسيلة للتعبير عن العلاقات النحوية داخل الأبنية ، وفي لغات أخرى مثل اللغة اللاتينية واللغة العربية نجد ترتيب الكلمات أكثر مرونة إذ إن العلاقات النحوية يشار إليها في اللغة اللاتينية عن طريق التصريفات وفي اللغة العربية عن طريق علامات الإعراب .

لا يتصل باللغة ، ولا أى عامل من عوامل التشويه ، ولا يتضمن أى ارتباط مباشر بين الصحة النحوية وإمكانية الحدوث^(١) ، وأخيراً لا يتضمن أى تطابق بين الصواب النحوى وإفادة المعنى ، ويسمح لنا من الناحية الأخرى بإمكانية وجود ارتباط وثيق وجوهري على الأقل بين بعض جوانب الصواب النحوى للجمل وإفادة المعنى للأقوال الموجودة بالفعل أو الموجودة بالقوة .

والطريقة التى تحمل اللغات الطبيعية بها المعنى بأنواعه المختلفة ستشغلنا تماماً في الفصل الخامس ، والنقطة التى نثيرها ببساطة أنه مهما كانت العلاقة التى تربط بين الصواب النحوى وإفادة المعنى فإن هاتين الصفتين يجب أن تتميز بينهما ، ومثال تشومسكى المشهور الآن :

(١) أو إمكانية القبول (acceptability) هو ذلك المجال الذى يحكم عليه المتكلمون الأصليون باحتماليته فى لغتهم ، والقول الممكن قبوله هو ذلك القول الجائز أو المعتاد ، وقد يكون الحكم بإمكانية قول ما مخوف بالمصاعب فن المعتاد ألا يتفق المتكلمون الأصليون حول ما إذا كان قول ما معتاداً أو حتى محتملاً وأحد الأسباب التى تكون وراء ذلك أن الحدس (intuition) يختلف من متكلم إلى آخر بسبب التباين فى الخلفيات الاجتماعية ، والإقليمية ، والسن ، والاستحسان الشخصى وهلم جرا ، وقد يكون قول ما معتاداً فى لهجة لكنه غير مقبول فى لهجة أخرى ، وكثير منها يعتمد على ما شب الناس على اعتقاد صحته أو خطئه ، وقد يكون قول ما فى لهجة واحدة مقبولاً فى سياق معين وغير مقبول فى سياق آخر ، ويخترع علم اللغة وسائل فنية عديدة لقياس إمكانية قبول المعلومات اللغوية وتأخذ عادة شكل التجارب التى يسأل من خلالها المتكلم الوطنى أن يقيم مجموعات من الأقوال يحوم الشك حول قبولها ومن الأهمية أن يكون لدينا وسائل فنية متفق عليها نحكم بها على إمكانية القبول ، ويميز القول غير المقبول بالعلامة النجمية * أو علامة الاستفهام اللتين تصدران القول وهو ما يميز الجملة غير الصحيحة نحويًا كذلك .

(3) Colourless green ideas sleep furiously^(١)

جملة إنجليزية محببة التركيب على الرغم من أنها لا تستطيع أن تقدم تفهوماً موضوعياً مناسباً وبالعكس :

(4) * Late got this morning he up^(٢)

مثال — بلا شك — غير نحوي على الرغم من إمكانية إثبات أنه لا يقل سهولة في إمكانية التفسير من (1) ، و (2) ، وقد تساهنا هذه المرة في تهظيم القوانين الخاصة باللغة الإنجليزية التي تحكم مواضع الكلمات بأصنافها المختلفة في صلاتها الواحدة منها بالأخرى في الجمل ، وهناك جمل كثيرة غير محدودة خلاف تلك التي مثلناها به — (3) ، و (4) ، وهناك — بلا شك — مناطق اعتماد متبادلة بين الصحة النحوية وإفادة المعنى وهي مناطق واسعة إلى حد بعيد وممتعة نظرياً ، غير أن هاتين الصفتين غير متطابقتين في الجمل .

ولا يعطى النحو التقليدي سوى تفسير جزئي إلى حد بعيد وغالباً ما يكون غميراً واضحاً للصواب النحوي ، وقد نجح في تأسيس كثير من المبادئ الأكثر دقة التي لا يزال اللغويون يتعاملون معها ، وفيما يتصل بلغات معينة مدروسة جيداً صنف عدداً ضخماً من التراكيب النحوية المختلفة بالإضافة إلى ذكره عدداً ضخماً مماثلاً من الحقائق اللغوية التي تقع خارج مجال قوانين النظام اللغوي هذه على الرغم من أنه يجب أن يقرها الاستخدام ومن ثم تكون بمعنى من المعاني نحوية ، وقد بدت النظرية النحوية الحديثة أوضح وأتمثل — على الأخص فيما يتصل بصياغة القوانين النظامية لتنظيم اللغوية — مما كان يطمح

(١) الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بشكل هائج .

(٢) هذه الكلمات غير مرتبة بالترتيب الصحيح والمفروض أنها تعني :
استيقظ هذا الصباح متأخراً .

إليه النحو التقليدي ، وأحد أسباب ذلك أنه نظراً لأن اللغة اللاتينية واللغة الإغريقية لغتان تصريفتان بدرجة عالية ، وأن معظم ما بعد بوضوح صواباً فهوياً يمكن أن يعرض بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الفصائل النصرفية (الجنس « من حيث التذكير والنسب » ، والعدد « في النحو » والحالة « في النحو » ، والزمن ، وصيغة « الأفعال » ... الخ) ، وأن النحو كما يفسر تقليدياً منحازاً شديداً إلى دراسة التصريف ، فمن ثم لم يكن قريباً الاعتقاد بأن اللغات غير النصرفية مثل اللغة الصينية الكلاسيكية ليس لها نحو ، وأن اللغة الإنجليزية التي لها صرف تصريفي قليل نسبياً لها نحو أقل مما للغتين اللاتينية والإغريقية أو حتى اللغتين الفرنسية والألمانية ، النظرية النحوية الحديثة تتعامل مع مفهوم « النحو » الذي لا ينحاز إلى اللغات النصرفية .

والسبب الآخر وراء فشل النحو التقليدي بل حتى عدم محاولته تقديم تفسير شامل وواضح تماماً لنظم الجملة في اللغات التي تناولها كانت فكرة أن الكثير من نظم الجملة يلزم أن يحدده صراحة أو ضمناً الإدراك العام أو - باستخدام مصطلح أكثر فخامة - قواعد التفكير ، حقيقة أن لاريقول في اللغة الإنجليزية :
 This morning he got up late أو He got up late this morning
 ولا يقول Late got this morning he up * لاحتجاج إلى تفسير آخر سوى أن ترتيب الكلمات يعكس ترتيب الفكر ، وهذه الفكرة تصبح صعبة أكثر فأكثر عندما تبحث بجديّة عميقة واسعة - بما فيه الكفاية - مثل لغات العالم ، فرنسية الكلمة - في إطار القيود - مجال واسع إلى حد بعيد للتنوع الأسلوبى في اللغتين اللاتينية والإغريقية ، وتوجد لغات كثيرة

من بيئتها اللغة الإنجليزية يكون فيها الدور الأسلوبى لرتبة الكلمة أقل أهمية .
تسكون وظيفتها التنظيمية أكثر أهمية بشكل تناسبى .

ويمكن أن نضرب مثالا جيدا بشكل واضح لوجهة النظر التى تذهب إلى
أن التنوع الأسلوبى الخاص بترتيب الكلمات كما مثلناه فى (1) ، و (2) تحدده
العوامل السيكلوجية والأسس المنطقية التى يمكن أن يشار إليها بشكل فضفاض
باعتبارها قواعد للتفكير ، لكن كيف نفسر حقيقة تقدم المسند إليه على
للمسند (الفعل) فى الجمل الخبرية المحايدة من الناحية الأسلوبية فى اللغة
الإنجليزية بينما يأتى الفعل فى المقدمة فى الجمل المشابهة فى اللغة الأيرلندية ؟
أو مرة أخرى كيف نفسر حقيقة أنه فى العبارة الإسمية تسبق الصفات عادة
الأسماء فى اللغة الإنجليزية (red coat) لكن فى اللغة الفرنسية تأتى معظم
الصفات عادة بعد الأسماء (manteau rouge) ؟ ولم تصمد طويلا التفسيرات
الشوفينية التى ترى أن ترتيباً معيناً للكلمات أكثر اتفاقاً مع قواعد التفكير
من غيره ، وبالتالي فإن لغة أمة من الأمم أكثر منطقية من غيرها ، ولم تصمد
كذلك طويلا الافتراضات الأكثر إفراطاً التى تذهب إلى أن كل أمة لها
منطقها الخاص الذى قد يختلف عن منطق الأمم الأخرى وأن منطق أمة معينة
تحدده أسس رتبة الكلمة للموظفة من الناحية التنظيمية فى لغة قومية معينة ،
وإذا طلب من رجل إنجليزى ورجل فرنسى أن يصفوا معطفا أحمر هل يفكر
الأول أولا أن هذا الشيء أحمر ثم يفكر فى أن هذا الشيء الأحمر معطف ،
وهل يجرى الرجل للفرنسى هاتين العمليتين العقليتين بطريقة معاكسة ؟ هذا
أمر يبدو بعيد الاحتمال .

ورتبة الكلمة ذات الوظيفة التنظيمية جانب من جوانب عديدة من البنية
النحوية الاعتبارية إلى حد ما أى أنه لا يمكن تفسيرها من خلال مبادئ
صيكولوجية ومنطقية أهم (انظر ١ - ٥) .

وأكثر من ذلك فإن الطفل الصغير في السياق المعتاد لاكتساب اللغة ينجح في تعلم - دون تعليم - القوانين النحوية للغة الأم ، والأكثر إثارة أن اللغات الطبيعية تنصف كذلك - بفضل بنيتها النحوية - بخاصة الإنتاجية (انظر ١ - ٥) ، والمهمة التي تواجه الطفل أثناء فترة اكتساب اللغة هي استنتاج تلك الأسس النحوية الاعتبارية من هيئة ضخمة - لكنها محدودة - من الأقوال ، وتكون مجموعة غير محدودة - وربما كانت لانهاية - من صلاسل الكلمات بفضل هذه الأسس جملاً صحيحة التركيب ، وتكون مجموعة أخرى حتى لو كانت أكثر اتساعاً عملية التركيب .

ويعد تشومسكي أول من قدر أهمية سيطرة الطفل على المحددات النظامية للصواب النحوي وكان ذلك في منتصف الخمسينات ، وهو الذي قدم أيضاً ما يمكن إثبات أنه أكثر النظريات تأثيراً في نظم الجملة في كل مراحل تطور علم اللغة قديماً وحديثاً حتى الآن ، وقد صيغ نظم الجملة التشومسكي في إطار النحو التوليدي وبصفة خاصة في أحدث صوره ، ويدمج نظم الجملة التشومسكي نظم الجملة مع الفونولوجيا والدلالة في نظرية شاملة لبنية اللغة ، ولاستطيع في كتاب بهذه الطبيعة أن نتعمق في تفصيلات فنية أكثر في النحو التوليدي ، وعلى كل حال سوف نذكر أحد الأقسام في هذا الفصل لتفسير المبادئ الأساسية للنحو التوليدي التشومسكي تفسيراً غير تقني (انظر ٤ - ٦) ، وفي فصل تال سنلقى نظرة على ما سأطلق عليه اسم « التوليدية » في سياقها التاريخي (انظر ٧ - ٤) .

والتوليدية في مقابل البنائية ، والوظيفية ، والتاريخية تتوارد إلى ذهن معظم الناس بصورة مباشرة عندما يشيرون إلى الثورة التشومسكية ، ومثل

كل الثورات سبق نقطة بزوغها فترة أخذت فيها صورتها النامية قبل أن يدركها أصحاب الثورة أنفسهم أو معاصروها ، والفلسفة الأرسعاطيلية أيضاً لا يمكن أن تفهم إلا في سياق الفلسفة الأفلاطونية ، ولا يمكن أيضاً أن يفهم ديكرت دون الرجوع إلى التقليدية المدرسية التي كان رد فعله ضدها وإلى ماسلم بقبوله منها بنفس درجة الرجوع إلى مارفصه منها ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بأفكار تشومسكي التي حاز بها شهرة عظيمة بفضل درسته الخاصة في علم اللغة وعلم النفس والفلسفة ، التوليدية التشومسكية إذن يحددها السياق الثقافي والعقلي — الخالص إلى حد بعيد — الذي تطورت فيه ، وهذه القضايا الأعم سوف نمسك الآن بأحد جوانبها .

ثالثاً: أجزاء الكلام

وأصناف الصيغ والفصائل النحوية

يلعب ما يشار إليه بصورة تقليدية وغامضة إلى حد ما باعتباره أجزاء الكلام - الأسماء ، والأفعال ، والصفات ، وحروف الجر . . . الخ - دوراً حاسماً في صياغة القوانين النحوية للغات ، ومن الأهمية أن ندرك مع ذلك أن القائمة التقليدية التي تتكون من عشرة أجزاء أو نحو ذلك غير متجانسة إلى حد بعيد فيما تتوحد منه وفيما تعبر عنه في كثير من تفصيلات التعريفات التي تصاحبها ، كما أنها تختص باللامح المميزة للفتين الإغريقية واللاتينية التي هي أبعد من أن تكون عالمية ، وأكثر من ذلك فالتعريفات نفسها معيبة عادة من الناحية المنطقية ، وبعضها دائري ، ويضم أغلبها معايير تعريفية ، ونظمية ، ودلالية ينتج عنها - إذا ما طبقت على إطار واسع من أمثلة معينة في لغات عديدة - نتائج متضاربة ، وفي الواقع إذا ما أخذنا القيمة الحقيقية لهذه التعريفات

التقليدية فإنها لا تعمل بشكل مطلق حتى في اللغتين الإغريقية واللاتينية ، وهي مثل معظم التعريفات في النحو التقليدي تعتمد اعتماداً كبيراً على الفهم الجيد والتساهل من قِبَل أولئك الذين يطبقونها والذين يفسرونها .

ومن السهولة - بما فيه الكفاية - أن نصيد الأخطاء للتعريفات التقليدية :
 « فالإسم ما يطلق على شخص أو مكان أو شيء » ، و « الفعل كلمة تدل على حدث » ، و « الصفة تغير الإسم » ، و « الضمير يقف إزاء الإسم . . . الخ » ، وبرغم ذلك لا يزال معظم اللغويين يتعاملون مع مصطلح « اسم » ، و « فعل » ، و « صفة » . . . الخ ، ويفسرونها - صراحة أو ضمناً - بطريقة تقليدية إلى حد ما ، وهم على صواب فيما يفعلونه ، ومن الحقائق الهامة حول بنية اللغات الطبيعية أن اللغويين قادرون على إصدار أحكام يمكن تأكيد صحتها تجريبياً عن حقيقة أن بعض اللغات تتميز فيها الصفات عن الأفعال من الناحية النظامية (الإنجليزية ، الفرنسية ، الروسية . . . الخ) بينما هناك لغات أخرى (اللغة الصينية ، والمالاوية ، واليابانية . . . الخ) يمكن إثبات أن الصفات لا تتميز عن الأفعال فيها ، وأن معظم اللغات ذات مميز نظمي بين الأسماء والأفعال (الإنجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والصينية ، والمالاوية ، واليابانية ، والتركية . . . الخ) ، غير أن هناك قليلاً من اللغات (وبالذات اللغة الأمريكية الهندية نوتكا - Nootka ، كما وصفها سايبير) يمكن إثبات أن الأسماء فيها لا تتميز عن الأفعال ، وأنه في بعض اللغات (اللاتينية ، والتركية . . . الخ) تكون للصفات أكثر شبهاً من الناحية النحوية بالأسماء وأقل شبهاً بالأفعال مما هو موجود في لغات أخرى (الإنجليزية ، والصينية ، واليابانية . . . الخ) .

غير أن هناك جانب آخر من النظرية التقليدية لأجزاء الكلام يجب توضيحه في هذه النقطة ، فالمصطلحات « اسم » ، و « فعل » . . . الخ

تستخدم في النحو التقليدي مقترنة باللبس الذي نجد في مصطلح « كلمة » وهذا اللبس موجود بشكل أو بآخر في المعالجات الحديثة غير التقليدية لنظم الجملة التي تفضل الحديث عن أصناف الكلمات أكثر من الحديث عن أقسام الكلام ، وإذا قررنا أن نحصر مصطلح « أجزاء الكلام » في أصناف المفردات بقولنا إن (boy) اسم ، وإن (come) فعل وهلم جرا فإننا نستطيع أن نقول إن (boy) ، و (boys) ، و (boy's) صيغ الاسم ، وأن (come) ، و (comes) ، و (coming) ، و (came) صيغ الفعل وهلم جرا .

وفيما يتصل بهذه القضية فإن هناك ما هو أكثر من الرغبة في المطابقة الاصلاحية ، ومن المشكلات المتصلة بالنظرية التقليدية لأقسام الكلام أن الفشل في رسم مميز بينها يجبرها على اعتبار كلمات معينة « وقد راوخت هنا عن حد باستخدام مصطلح كلمة » تنسب في وقت واحد إلى نوعين من أقسام الكلام ، وهذه هي الحالة الأكثر شهرة مع اسم الفاعل أو اسم المفعول به « حيث إن مساهما التقليدي . participle . يشير إلى كلا الحالين » ، فبالنظر من زاوية الصرف النصرفي فإنها صيغ للفعل ، وبالنظر من زاوية أخرى من خلال وظيفتها النظمية فإنها صفات « انظر . dancing » في « the dancing girls » وتأويلها (the girls who dance/are dancing) ، وبالمثل ما يطلق عليها بصورة تقليدية المصدر (أو بشكل أكثر إيجاز « الاسم الفعلي ») تكون صيغاً للفعل لها الوظيفة النظمية المميزة للأسماء « انظر : dancing في « shoes for dancing » وفي نقلة أخرى يكون اسماً مستخدماً استخداماً وصفيّاً في « dancing shoes » .

والأكثر إثارة - إذا كان ذلك لا يعود إلا إلى أنه ليس مسلماً به على نطاق واسع سواء في النحو التقليدي أو في النظرية النحوية الحديثة - حقيقة

أن صيغ إسمية معينة تكون من وجهة نظر نظامية وصفية أو ظرفية على نحو
يميز ، فعلى سبيل المثال الملكية « bishop's » في « bishop's mitre »^(١)
(تأويلها : « the mitre of the kind that bishops wear ») صفة من
الناحية النظامية : انظر he episcopal mitre^(٢) ولا نستطيع أن نصدر
تقارير متأسكة حول حقائق كهذه مالم نرسم حداً فاصلاً بين تخصيص مفردة
من المفردات لنوع معين من أقسام الكلام ومطابقة الوظائف النظامية لصيغها
في السياقات المختلفة .

وتتسكلم أعمال حديثة عديدة عن أصناف الصيغ أكثر مما تتكلم عن
أقسام الكلام ، وتخصص مصطلح « أقسام الكلام » لأصناف المفردات ،
ونستطيع أن نخضع بشكل تقليدي مصطلح « صنف الصيغة » (بمعنى من
المعاني التي يحددها) لأصناف الصيغ التي لها وظيفة نظامية واحدة ، ونستطيع
أن نعرج آنذاك ما يطلق عليه التفسير التوزيعي للوظيفة النظامية فالصيغتان
لا يكون لهما وظيفة نظامية واحدة مالم يكن لهما توزيع واحد « أى إذا اتصفنا
بإمكانية الاستبدال الداخلي : انظر ٣ - ٤ » في كل الجمل الصحيحة^(٣) نحوياً
« وليست بالضرورة ذات المعنى » في اللغة ، والتعريفات التوزيعية من هذا
النوع لعبت دوراً حاسماً في المرحلة الأخيرة لعلم اللغة البلومفيدي المتقدم
ومهدت الطريق لتطوير النحو التقليدي التشومسكي .

ويتضح لما بشكل مباشر أن الصيغ المختلفة من الناحية التصريفية لمفردة
واحدة ليس لها - بصفة عامة - توزيع واحد ، وهو السبب في أن نظام الجملة
والتصريف جزءان متكاملان للنحو ، فعلى سبيل المثال boy ، و boys
يختلفان من الناحية التوزيعية من وجوه مختلفة لكن أكثر هذه الوجوه وضوحاً
أن الأول - لا الثاني - يمكن أن يذكر في مجموعة من السياقات تشمل :

(١) تاج الأسقف . (٢) التاج الأسقفى .

(1) The ----- is here

وأن الثانى - لا الأول - فى مجموعة من السياقات تشمل :

(2) The ----- are here

وبفضل الوظيفة الدلالية التى تميز boy عن boys فى معظم السياقات نشير إلى boy باعتبارها صيغة مفرد ، وإلى boys باعتبارها صيغة جمع لـ « boy » ، وإذا كان ما يميز بينهما لا يرتبط باختلاف التوزيع « أى إذا كانت صيغة المفرد وصيغة الجمع للمفردات يمكن استبدالهما استبدالاً داخلياً فى كل الجمل الإنجليزية دون تغييرات من أى نوع تنشأ عن ذلك فى المعانى نفسها » فلن يكون هناك قانون نظمى يعتمد على ذلك فى اللغة الإنجليزية ، وعلى الرغم من وجود علاقة جوهرية بين معنى الصيغ وتوزيعاتها فإن النحو لا يعنى نهاية مباشرة إلا بتوزيعاتها ، ومن يرغب فى فهم النظرية النحوية الحديثة فى أكثر تطوراتها تميزاً وإثارة يجب أن يكون قادراً على الاعتقاد بأن توزيع الصيغ مستقل عن معناها .

وحيث إن مصطلح « صيغة » أكثر اتساعاً ويشمل مصطلح « صيغة الكلمة » ، فإن مصطلح « صنف الصيغة » بالمثل أكثر اتساعاً من مصطلح « صنف الكلمة » أو « قسم الكلام » ، والمورفيات « أى الصيغ الدنيا » يمكن أن تصنف إلى أصناف صيغ على أساس معيار إمكانية الاستبدال الداخلى ولهذا يمكن أيضاً أن تتركب التعبيرات من كلمات عديدة ، وفى النحو المؤسس على الوحدة الصرفية « للمورفيم » يجب أن ينسب بالدرجة الأولى مسمى قسم الكلام الذى تخصصه للمفردات إلى ما يشار إليه بشكل تقليدى باعتباره جذوع الكلمات أو حتى جذورها ، « والاختلاف بين الجذوع والجذور أن الجذور لا يمكن تحليلها تحليلًا صرفياً بينما الجذوع قد تشمل بالإضافة إلى جذورها على لاصقة اشتقاقية أو أكثر » فعلى سبيل المثال تصنف الصيغة boy على أنها اسم بفضل كونها جذعاً لمجموعة كاملة من صيغ الكلمات المتصرفة

و تشمل boy ، و poye ، و boy's ، ومع ذلك فثمة حقيقة محتملة تماماً في البنية النحوية الإنجليزية إذ إن جذوع الأسماء ، وجذوع الأفعال ، وجذوع الصفات ... الخ تكون عادة صيغ كلمات « وصيغ اسنشمادية انظر ٤ - ١ » ، وثمة حقيقة محتملة تماماً أيضاً إذ إنه في اللغة الإنجليزية « كما في اللغة الصينية وليس في اللغة التركية » صيغ كثيرة إلى حد بعيد يمكن أن تستخدم جذوراً للأسماء أو جذوراً للأفعال « انظر walk ، turn ، و man ، و table .. الخ » ، وفيما يتصل بهاتين الناحيتين فإن اللغة الإنجليزية أبعد من أن تكون نموذجاً للغات العالم ، والصور الشائعة للنحو التوليدي الذي يعتمد على الوحدة الصرفية « المورفيم » تتعامل مع تعريفات « الاسم » ، و « الفعل » ، و « الصفة » ، ... الخ التي تنطبق بالدرجة الأولى على جذوع المفردات وتنطبق بشكل ثانوي على صيغ أكثر اتساعاً تشملها أو تكافئها من الناحية النظامية .

وكما يتكامل التصريف مع نظم الجملة في النحو التقليدي المؤسس على الكلمة تتكامل أيضاً الفصائل النحوية والتصريفية مع أقسام الكلام ، فهي سبيل المثال « المفرد » و « الجمع » مصطلحات في فصيلة العدد ، والحاضر ، والماضي ، والمستقبل مصطلحات في فصيلة الزمن ، والأخبار ، والشرط أو التمني أو الدعاء والطلب . : الخ مصطلحات في فصيلة صيغة الفعل ، والفاعلية ، والمفعولية ، والديتيف « مثل المفعول غير المباشر » ، والإضافة ... : الخ مصطلحات في فصيلة الحالة وهلم جرا ، ومسميات تقليدية مثل المتكلم المفرد الخبرى المضارع لفعل الكينونة « Be » تمثل الطريقة التي تكون فيها « مع استخدام المصطلحات التقليدية » أقسام معينة من الكلام متصرفة لمجموعة معينة من الفصائل النحوية .

وثمة نقطتان يمكن إثارتهما فيما يتصل بالفصائل التصريفية في النحو

التقليدى ، للنقطة الأولى أنه لا شيء منها على بحق بمعنى أن يكون موجوداً في جميع اللغات ، فهناك لغات بدون الزمن ، ولغات بدون الحالة ، ولغات بدون الجنس ، وهناك لغات ليس فيها أى فصيلة من هذه الفصائل التقليدية جميعاً بلا استثناء ، ومن الناحية الأخرى هناك فصائل تصريفية كثيرة لم تعرف في النحو التقليدى موجودة في اللغات التى يبحثها اللغويون مؤخراً .

والنقطة الثانية أن ما توصف بصورة تقليدية باعتبارها فصائل نحوية يرجى معالجتها بصفة عامة في النحو المؤسس على المورفيم باعتبارها مجموعات من المورفيمات النحوية « وفي مقابل المورفيمات المعجمية تدرج في قائمة باعتبارها جذوع أسماء ، وجذوع أفعال ... الخ في المفردات » ، وتنضبط القوانين النظامية توزيعها بصورة مباشرة ، وهو ما يعد - في جوهره - المعالجة المتبناة في الصور الشائعة للنحو التوليدي .

رابعاً : بعض التصورات النحوية الإضافية

وظيفة القوانين النحوية لغة ما أن تذكر بالتفصيل محددات الصواب النحوى لهذه اللغة (انظر ٤ - ٢) ، ويفعل ذلك النحو التوليدي عن طريق توليد (بمعنى تفسير) جميع الجمل « فحسب » في لغة ما ، وتخصيص وصف بنوي لكل جملة منها في جميع خطوات توليدها وذلك كما سنرى فيما بعد ، وفي هذا القسم سندرج عدداً من المفاهيم النحوية ونشرحها شرحاً مختصراً وقد أسهب اللغويون فيها وهم بصدد صياغة محددات الصواب النحوى وأنواع المعلومات التى يجب أن يتضمنها الوصف البنوي للجمل الخاصة بلغات معينة ، والخاصة باللغة عموماً .

ولا يمكن أيضاً التوكيد بقوة على أن اللغوى - على الأقل فى هذه الأيام - لا يعنى بالتصنيف ويفهم عينية على غرضه الخاص ، فهو يعنى كما رأينا فى البداية بالسؤال : « ما اللغة ؟ » ويعنى كذلك - بشكل مباشر أو غير مباشر - بمقدرة المتكلم الأصل على إنتاج عدد هائل غير محدود من الأقوال - واللاهنائى من حيث الإمكانيات - وفهمها ، وهذه الأقوال يختلف الواحد منها عن الآخر فى الشكل والمعنى ، وشرح تصور الصواب النحوى محور مهمة تفسير مقدرة المتكلم الأصل على القيام بالإنتاج والفهم ، « وتفسير اكنساب الطفل لهذه المقدرة » ، وتعد أحد الموضوعات الرئيسية التى تتضمنها أى إجابة عقلانية مرضية يمكن أن تكون للسؤال : « ما اللغة ؟ » .

والقائمة التالية من التصورات النحوية ليست شاملة على الرغم من طولها الواضح ، وقد نشأ كثير منها فى النحو التقليدى وبعضها طور حديثاً ، ولم ترد جميعها فى الأقسام الأخيرة من هذا الكتاب ، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن التفسير الذى سيقدم هنا للبنية اللغوية والنحو التوليدي لا مفر من أن يكون تفسيراً أولياً إلى حد بعيد وانتقائياً بدرجة عالية ، لسكن هناك سبباً أكثر أهمية ، فى الحالة الراهنة للنظرية النحوية ليس من الواضح تماماً كم عدد المفاهيم المستقلة منطقياً أو الأولية التى تتطلبها مواصفات محددات الصواب النحوى فى أى لغة معينة ناهيك عن أن تكون فى اللغات جميعها ، وإذا كانت مجموعة من المفاهيم مختارة على أنها أولية - بالمعنى المنطقى للمصطلح - فإن مجموعة أخرى يمكن أن تعين من خلالها ، لكن هناك احتمالات كثيرة أمام اللغوى فى حكمه على ماهو أولى وماهو مأخوذ من غيره ، والصور الشائعة للنحو التوليدي - لأسباب تاريخية بحتة - صاغت مجموعة مختارة من الأوليات (١١م - اللغة)

دون غيرها ، وربما لم يقيم الدلائل على أنها المجموعة المختارة الصحيحة ، وفي الحقيقة يجب أن يطرح السؤال عما إذا كانت هناك مجموعة مختارة صحيحة أي صحيحة لجميع اللغات الإنسانية .

ولا يعد ذا أهمية كبيرة إذا ما فشل القارئ في تذكر معظم هذه القائمة التالية من الأفكار النحوية غير المألوفة له ، وأي فرد يباشر دراسة علم اللغة على مستوى متخصص عليه بطبيعة الحال ألا يفهم تلك القائمة فحسب ولكن عليه أيضاً أن يكون قادراً على التمثيل لها وأن يكون قادراً — بما لا يقل أهمية — على الإضافة إلى هذه القائمة وعلى أن يوضح كيف تتحول فكرة تدريجياً إلى فكرة أخرى أو كيف يمكن توضيحها من خلال فكرة أخرى ، ويرجع السبب في تقديري هذه القائمة الطويلة إلى حد مناسب من التصورات النحوية فيما أردت له أن يكون كتاباً أساسياً وعاماً إلى حد بعيد في اللغة وعلم اللغة أن معظم الأعمال المشابهة فشلت في أن تجعل من هذه النقطة التي أثارناها في الفقرة السابقة شيئاً أساسياً ، وحتى الكتاب الأساسي يجب أن يقدم لقراءه فكرة ما من إطار الموضوع الذي يتناوله وكذلك عن تعقيداته ، ولم تقصر معالجة للنظرية النحوية في إيضاح أنه على الرغم من التقدم العظيم الذي أحرزناه حديثاً فإننا لم نزل بعيدين من حيابة نظرية عامة مرضية للبلى النحوية .

ويمكن أن تصنف الجمل « وقد صنفت هكذا في النحو التقليدي » وفق بعدين هامين : « ا » البلية ، « ب » الوظيفة ، فالجمل تنقسم من حيث البنية إلى جمل بسيطة تقابل جملاً غير بسيطة ، والجمل غير البسيطة تنقسم إلى جمل معقدة تقابل جملاً مركبة ، ومن ناحية الوظيفة تنقسم الجمل إلى خبرية ، واسمهائية ، وطلبية ... الخ ، وتتكون الجملة البسيطة من عبارة مفردة « مع منحني تطريزي مفاصب » ، والجملة المعقدة الصغرى تتكون من عبارتين تتبع إحداها الأخرى ، والجملة المركبة الصغرى تتكون من عبارتين أو

أكثر تكافؤ الواحدة منها الأخرى ، « وقد أدخلت مصطلح جملة مؤلفة ليعطى كلنا الجملتين المركبة والمعقدة وهو ما يتلائم مع الشرح » ، وفكرة التبعية ، وفكرة التكافؤ اللتان توصلنا بهما هنا - كما سنرى بعد - فكرتان عامتان إلى حد بعيد لا يصبح تطبيقهما على تصنيف الجمل ولكن يصبح تطبيقهما داخل الجمل .

ويمكن أن تثار نقطتان متصلان بالتصنيف الوظيفي للجمل ، النقطة الأولى أننا لو ميزنا بين الجمل الإخبارية والتصريحات ، وبين الجمل الاستفهامية والأسئلة ، وبين الجمل الطلبية والأوامر والطلبات . . . الخ فإننا نستطيع القول بأن الجملة الخبرية هي الجملة ذات البنية النحوية التي تستخدمها الجمل استخداماً مميزاً لصياغة الأخبار وهلم جرا ، وهو ما يمكننا من المحافظة على التمييز بين البنية النحوية للجمل والوظيفة الاتصالية للأقوال مع أنهم مترابطان « انظر ٥ - ٥ » ، وسوف نتوقف عند هذا المميز في الفصل الخاص بالدلالة ، والنقطة الثانية أن الطلبي - بخلاف الإخباري والاستفهامي - يستخدم تقليدياً مع الصيغة الإخبارية وصيغة الشرط أو التمني أو الدعاء . . . الخ لتمييز أحد المصطلحات في الفصيلة النحوية الخاصة بصيغة الفعل ، وهذا الاستخدام المزدوج يجب أن يلاحظ إذا كان بسبب قدر من اللبس في النظرية النحوية الحديثة .

وفي إطار الجمل البسيطة منها وغير البسيطة أنواع مختلفة من هلاقات الجزء - السكل أي هلاقات الاحتواء ، فعلى سبيل المثال كل العبارات في الجمل المعقدة أو المركبة مكونات للجمل ككل ، وفي الجملة البسيطة تكون كل صيغ الكلمات « دعنا نفترض » مكونات لها ، ومجموعات الكلمات يمكن أن تشكل تعبيرات تكون أيضاً مكونات للجملة ، والكلمات بدورها مكونات للتعبيرات ومن ثم فهي مكونات بصورة غير مباشرة فقط للجمل

التي تكون فيها التعبيرات مكونات لها ، وفكرة الاحتواء هذه كما سنرى في الأقسام التالية مقترنة مع رؤية أهم إلى حد ما للمفهوم التقليدي للتعبير في القلب من صياغة البنية للنحوية في النحو التوايدي التشومسكي .

والتبعية نوع آخر من العلاقة النظامية يقيم لها النحو التقليدي أهمية خاصة ، وهي علاقة غير متناصفة تربط « ولتستخدم مصطلحاً حديثاً » بين المتحكم أو الموجه وتابع أو أكثر ، فعلى صيقل المثال يقال إن الفعل يحكم مفعوله « إذا كان له مفعول واحد » في صيغة دون أخرى فالفعل (see) مثل كل الأفعال المتعدية في اللغة الإنجليزية تحكم مفعولها فيما يوصف تقليدياً بحالة المفعولية « انظر I saw him في مقابل I saw he * ، ففصيحة الحالة he في مقابل him ... إلخ فصيحة تصريفية للضمائر وليس للأسماء في اللغة الإنجليزية » ، وبصورة أهم نستطيع أن نقيم علاقة تبعية داخل بنية معينة كلما كان ذكر وحدة واحدة « المتحكم » شرط مسبق لذكر وحدة أو أكثر « تابعها » في صيغة مناسبة ، وما يشار إليه بشكل تقليدي على أنه حكم نحوي وقد مثلنا له من قبل - يمكن وضعه في إطار تصور أهم للتبعية لا يفترض مسبقاً وجود تنوع تصريفي ، ويتبدل ما تشكل مجموعة المتحكم والتابع ضمناً علاقة جزء - كل بين كل وحدة من ناحية والمجموعة نفسها من ناحية أخرى فإن علاقة الاحتواء وعلاقة التبعية ليستا مختلفتين إلى درجة الاستقلال التام ، وقد أثر النحو التوايدي التشومسكي علاقة الاحتواء متبهما في ذلك بلومفيلد وأتباعه ، وجعل النحو التقليدي لعلاقة التبعية أهمية خاصة .

وقد أشرنا في الفقرة السابقة إلى الأفعال المتعدية ، والمميز التقليدي بين الأفعال المتمدية ، والأفعال اللازمة يمكن أن يعمم في اتجاهين الأول بمحصر الأفعال في إطار أصناف أكثر انشاعاً من المسانيد ، وبعد ذلك تصنيف

نيد إلى أصناف فرعية من خلال التكافؤ الخاص بها أي من حيث هذه
حدات التابعة ومن حيث طبيعة هذه الوحدات ، ولا نحسب المفعول المباشر
فهم المباشر فحسب بل نحسب كذلك المسند إليه فيما يتعلق بالفعل بين
أبعه ، ويمكن أن نقول إن فعلا لازما مثل « die » له تكافؤ 1 ،
لعل متعدى مثل (eat) له تكافؤ 2 ، وأفعال مثل (give) ، و (put) لها
فؤ 3 وهلم جرا .

ويجب أن نتذكر أن فكرة التكافؤ لا تفترض سلفا أن توابع المسانيد
ات إسمية بالضرورة ، وما يعرف بصورة تقليدية بالمكملات الظرفية
من أو المكان ... إلخ تقع أيضا في إطار تعريف التكافؤ ، ويجب أن
ن كذلك بوجود المسانيد مع التكافؤ zero فعلى سبيل المثال الفعلان
(rain) ، و (snow) في اللغة الإنجليزية يمكن إثبات أنهما من هذا النوع ،
والصيغة في It is raining / snowing ... إلخ ليست أكثر من مسند
ومعى .

ومصطلح « تكافؤ » (مستعار من الكيمياء) غير مستخدم حتى الآن
نداما شائعا في الأعمال البريطانية والأمريكية في علم اللغة ، لكن الفكرة
لكنة في قدر كبير من النظرية النحوية التي لا تستخدم بالفعل هذا المصطلح ،
الجانب الأكثر إثارة للجدل والأكثر انتفاء للتقليدية من فكرة التكافؤ
لا طرحتها الآن هو تقليد المسند إلى للفوارق التقليدية بين المسند إليه والخبر « في
رة » من ناحية والمسند إليه والمفعول « للفعل » من جهة أخرى ، ويجب
ن نلاحظ أن وجهي الخلاف مستقلان من الناحية المنطقية ، ويعتمد الأول على
نسيم العبارة « طبقا للافتراضات التقليدية » إلى قسمين متكاملين والثاني
كذلك ، والمسند إليه الخاص بالفعل هو الوحدة التي تحدد صيغة الفعل

فيما يطلق عليه بصفة عامة «المعاقبة النحوية بين المسند إليه والفعل» على الرغم من أنه يعتمد على الفعل بنفس الدرجة التي يعتمد فيها على المفعول «انظر: The boy is running في مقابل The boy are running * و The boys are running في مقابل poys are running ويمكن أن نُقترح معايير أخرى لتحديد مفهوم أعم للمسند إليه النظمي الذي يمكن تطبيقه على اللغات جميعها ، لكن القضية الخاصة بالمالية أى نوع من نوعي المسند إليه النظمي «أو بعض المفاهيم الأعم للمسند إليه الذي يندرج تحتها» مثار جدل هذه الأيام كما كانت تبدو عندما تجادل حولها باندفاع وحماة اللغويون في أواخر القرن التاسع عشر .

خامسا : مكونات المنهجية

سوف نركز في هذا القسم على ذلك الجانب من البنية النحوية الذي يمكن تناوله من خلال مفهوم الاحتواء ، وسنفعل ذلك في إطار النحو المؤسس على المورفيم ومن وجهة نظر التوزيعيين التي تميز الفترة الأخيرة من علم اللغة البلومفيلدي المتقدم «انظر ٧ - ٤» ، وبتبني وجهة النظر هذه نستطيع أن نضرب هصفورين بحجر واحد أى نستطيع أن نوضح بالإضافة إلى ذلك تطبيق الأفكار الهامة التي أدخلناها من قبل - وترتبط هذه الأفكار بالمصطلحات : «وحدة صرفية» ، و «صرف» ، و «تصريف» ، و «الاشتقاق» ، و «صنف الصيغة» ، و «التوزيع» ، ولا نذكر «الاحتواء» نفسه ، ونستطيع أن نهد الطريق لمعالجة النحو التوليدي في القسم التالي .

على الرغم من أن التصور البلومفيلدي لمكونات البنية تصور نظمى بصفة أساسية فإننا سنبدأ ببيان كيف ينطبق على أصناف الصيغ ، ولنتذكر أن النحو في علم اللغة البلومفيلدي ينقسم إلى الصرف ونظم الجملة (انظر ٤ - ١) ،

يتناول الصرف البنية الداخلية لصيغ الكلام ، ويتناول نظم الجملة توزيع صيغ الكلمات خلال الجمل صحيحة البنية في لغة ما ، غير أن الصرف البلومفيلدي المتقدم — في حد ذاته — نوع من صرف نظم الجملة ، فهو يطبق المبادئ نفسها في التحليل النحوي لصيغ الكلمات مثلما يفعل فيما يتصل بالتحليل النظمي لوحدات أكثر اتساعا مثل التعبيرات والجمل ، والغويو البلومفيلدي المتقدم من حيث المبدأ — إن لم يكن ذلك مطرداً في الممارسة — اتجهوا مؤخراً إلى التخلي عن الفارق المميز بين الصرف ونظم الجملة مع توسيع ناتج من ذلك لتعريف « نظم الجملة » ، وأصبح نظم الجملة دراسة توزيع الوحدات الصرفية « المورفيات » أكثر من صيغ الكلمات ، ولم تعد صيغ الكلمات وحدات نحوية بحتة بل وحدات يمكن « مع نمط تنفيسي مناسب » أن تكون أصغر الأقوال ، كما أنها في لغات معينة يمكن أن تعد مجالا للملاح فونولوجية تطريزية معينة « انظر : ٣ — ٦ » وهو ما يعد — في جوهره — وجهة النظر التي يتبناها النحو التوايدي التشومسكي باعتبارها جانباً من ميراثه البلومفيلدي المتقدم .

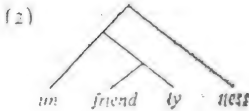
وفي هذا القسم وفي القسم التالي سنتعامل مع مصطلح « كلمة » على أنها تشير إلى صيغ الكلمات ، والكلمات بهذا المعنى يمكن أن تمثل سلاسل من مورفيم واحد أو أكثر أي أن المورفيات أصغر الصيغ ، والكلمة في التعريف الكلاسيكي البلومفيلدي « على الرغم من أنه ليس مرضياً إلا بشكل جزئي » أصغر الصيغ الحرة « أي الصيغ التي لا تتكون كلية من صيغ حرة أصغر » ، والصيغة الحرة في مقابل الصيغة المقيدة هي تلك الصيغة التي يمكن أن تكون مع منحني تطريزي مناسب قولاً « وليس بالضرورة جملة تامة » في بعض السياقات المعنقدة الاستعمال ، ولانعد كل الصيغ في اللغة الإنجليزية بصورة تقليدية كلمات ، وكون المسافات تفصل بينها في الوسيلة المكتوبة يرضى هذا التعريف ، ولن

نستخدم من الأمثلة إلا ما يكون كذلك ، ومن ثم فإن *cat* مورفيم « أصغر صيغة » ، وكلمة « صيغة حرة » ، و *cats* ليست مورفيماً حيث تتركب من صيغتين صغريين *cat* و *s* لكنها كلمة « مع أن *cat* صيغة حرة ، و *s* ليست كذلك » ، وتمتد *unfriendliness* كلمة مركبة من أربع وحدات صرفية « مورفيمات » *un-friend-ly-ness* كلها فيما عدا *friend* صيغ مقيدة ، والصيغ المقيدة التي هي مكونات للكلمات تكون سوابق إذا سبقت الصيغة الأساسية التي تلحق بها ، وتكون لواحق إذا تلتها .

غير أن هناك مما يتصل بمكونات بنية الكلمات أكثر من التفسير التام لها من جهة المورفيمات المكونة لها ، فكثير من الكلمات في اللغة الإنجليزية واللفظ الأخرى لها بنية متسلسلة داخلية يمكن تمثيلها صورياً عن طريق فكرة التتويع الرياضي (لتجزئة الجملة) ، فعلى صيبل المثال مكونات البنية للكلمة : *unfriendliness* يمكن تمثيلها كما يلي :

(I) [[*un - friend - ly*]] - *ness*

أو ما يكافئه بواسطة الرسم الشجري الآتي :



ومن الأهمية أن ندرك أن (1) ، و (2) متكافئان من الناحية الشكلية ، فكلاهما يخبرنا بما لا يزيد ولا ينقص عما يلي : إن المكونات المباشرة^(١)

(١) الوحدات النحوية المباشرة (*immediate constituent*) ، اصطلاح يستخدم في التحليل النحوي لإشير إلى التقسيمات الرئيسية التي تكون في إطار بنية

(ICs) لكلمة unfriendliness هي : (unfriendly) و (ness) ، وأن المكونات المكونات للمباشرة لـ unfriendly هي un و friendly ، وأن المكونات المباشرة لـ friendly هي friend و Ly ، وليس هناك تحليل إضافي ممكن على المستوى النحوي لاوصف ، فالمكونات الصغرى للوحدة النظامية بأ كلها هي : un ، و friend ، و ly ، و ness ، ويمكن أن نخبرنا بدلا من ذلك أن friend ، و ly يمكن أن يتركبا معاً مع الاحتفاظ بالترتيب ، لبشكلا المكون friendly ويمكن أن تكون un سابقة لها لتشكيل مكوناً وسيطاً أكبر unfriendly ، ويمكن أن تكون ness لاحقة لها لتشكيل صيغة السكامة بأ كلها ، لكن طريق التمثيل (I) ، و (2) كليهما محايدة بين تحليل الوحدات النظامية وتركيبها .

ولم أعرض لأبرر — بالتفصيل — النقويس المعين لـ unfriendliness الخصص لها في (1) ، (2) ، ومن حيث المبدأ يعتمد (وفقاً لافتراضات الاتجاه النوزيمى للبولومفيلية المتقدمة) على معيارى إمكانية الاستبدال والعمومية ، وتعلق صيغة (unfriendliness) بصنف الصيغة (أى مجموعة الصيغ التى يمكن استبدالها داخليا) الذى سنطلق عليه — مستخدمين مصطلحاً تقليدياً — الأسماء المجردة ، ورمز إليها بـ Na ، والكثير منها يصاغ فى اللغة الإنجليزية بإضافة اللاحقة -ness ، إلى ما يطلق عليه تقليدياً الصفات (أو بشكل أكثر إيضاحا الصيغ الأساسية للصفات) ، وبالمثل فإن إضافة السابقة un هى صيغة الصفة (A) عملية صرفية عالية الإنتاج فى اللغة الإنجليزية ،

نحوية على أى مستوى ، فالوحدات المباشرة على سبيل المثال فى الجملة The boy is walking هي : The boy ، و is walking ، وهذه الوحدات المباشرة تحلل بدورها إلى وحدات نحوية مباشرة هي : the + boy ، is + walking ، وتستمر هذه العملية حتى نصل إلى ما لا يمكن تحياله من الوحدات ، وتعرف هذه العملية ككل بتحليل المكونات الأساسية ، ويعد ذلك سمة أساسية فى علم اللغة البنويى البولومفيلدى .

وفي المقابل فإن إضافة السابقة un إلى صيغ الأسماء (للأصناف الفرعية Na) ليست عملية إنتاجية ، وينبع ذلك أنه حق لو كانت هناك كلمة (friendliness) في اللغة الإنجليزية فلن نرغب في اعتبار [friend - Ly] - ness - ولا نذكر [friend [Ly - ness] - مكوّنًا للكلمة (unfriendliness) ، والمثل ما يتعلق بالنقوبس الأعرق [friend - ly] ، وهو ما تبرره عملية صرفية إنتاجية محدودة تتشكل بواسطتها الصفات من الأسماء لنقل إلى من الصنف الفرعي Ne بإضافة لاحقة ly (انظر man - ly ... إلخ) .

والتفسير النوزيحي لمكونات البنية المخصص للصيغة الكلمة (unfriendliness) تفسير مباشر بشكل واضح ، وهذا أبعد من أن يكون الحالة التي تتعلق بكل صيغ الكلمات في اللغة الإنجليزية خصوصا إذا تحولت المعايير التوزيعية إلى إجراءات كشفية آلية « انظر ٧ - ٤ » ، وعلى كل حال فإننا لانعني بإثبات المذهب التوزيحي ولسكننا نعني فقط بتوضيح ما نعنيه بمكون البنية ، والفرضية ما إذا كان تحليل معين تقر بشرعيته معايير توزيعية بحتة أم لا ، واستخدام مصطلح أو رمز معين مثل « امم » أو Ne كإشارة إلى صنف الصيغة يعني ضمنا أن كل أفراد صنف الصيغة يمكن استبدالها استبدالا داخليا في كل السياقات التي يفعلها أي قانون يستخدم هذه الإشارة التي نحن بصدددها ، فعلى سبيل المثال دعنا نخصص بشكل عشوائي الإشارة Ax لمجموعة معينة من الصيغ الناتجة عن إضافة اللاحقة Ly لأفراد صنف الصيغة Ne ، ويمكننا الآن توضيح منطق القانون التالي :

$$(3) \text{ Ne} + \text{Ly} \rightarrow \text{Ax}$$

فهو يخبرنا - في الواقع بأن كل الصيغ الخاصة بالصنف الفرعي Ne يمكن استبدالها داخليا على الأقل في إطار السياقات التي يفعلها القانون (3) ، ويتضمن أيضا أن كل أفراد الصنف الفرعي Ax يمكن استبدالها داخليا في

السياقات التي تغليبها قوانين أخرى مثل (4) ، و (5) .

$$(4) Ax + \text{ness} \rightarrow Na$$

$$(5) un + Ax \rightarrow Ax$$

وحقيقة أن الاتجاه التوزيعي بالشكل الذي طوره أتباع البلومفيلدية المتقدمة قد أصبح مشكوكا فيه لا يعني أن فكرة التوزيع في حد ذاتها لم تعد مناسبة في التحليل النحوي ، بل على العكس تعد الفكرة الحاسمة في صياغة النحو .

وقبل أن نتابع كلامنا يمكن أن نذكر نقطة هـ فالقانون (5) في مقابل القانونين (3) ، و (4) تكرارى بصورة كاملة أى أنه إذا سمح بتطبيقه على النتائج الخاص به (Ax) فسوف ينتج عنه عدد غير محدود من الوحدات النظامية ذات التعقيد المتزايد — [un — friendly] ، [un — [un — [un — friendly]]] ، الخ ، ومن المفترض ألا نرغب في اعتبار ununfriendly — ودعنا من ununfriendly صيغة صحيحة من الناحية النحوية ، لذا فإن القانون (5) معيب من الناحية الفنية فالصيغتان friendly ، و unfriendly ليستا من أفراد صنف الصيغة ذاته ، ومن الناحية الأخرى يوجد كثير من الأبلية النظامية إن لم تكن الصرفية في اللغة الإنجازية تكرارية تماما ، ومن المحتمل أن يكون في كل اللغات الطبيعية مثل ذلك ، ولهذا السبب فإن جعل لغة ما مع أن كل جملة منها محدودة في طولها إلا أن هذه الجملة قد تكون غير محدودة في عددها (انظر تعريف تشومسكي للغة الذي اقتبسناه في ١ - ٣ ، و ٢ - ٦) .

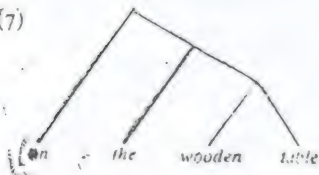
وتنطبق فكرة مكونات البنية ذاتها انطباقا تاما على تتابعات الكلمات - « التهجيرات » بمعنىها التقليدى والدارج - كما تنطبق هذه الفكرة (تبعا

لتصور أنبعا البهوفيلدية وما بعدها من الصرف) في إطار الكلمات ، فعل صيل المثال (on the wooden table) هو ما يطلق عليه بشكل تقليدى شبه جملة (تعيرة الجر) التى تتركب من حرف الجر (on) وما يطلق عليه بصورة تقليدية التعيرة الاسمية (the wooden table) التى تتكون من أداة التعريف (the) ، والتعيرة (wooden table) التى تتركب من الصفة (wooden) والاسم (table) ، ويمكن توضيح التحليل الذى أوردناه آنفا بدون الإشارات التقليدية المستخدمة عن طريق (6) ، و (7) :

[6] [on [the [wooden table]]]

أو الرسم الشجرى

(7)



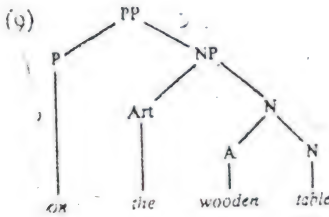
وكل من (6) ، و (7) مثل (1) ، (2) ممثلات بلا إشارات^(١) لمكونات البنية .

ومن المعتاد مع ذلك أن تتعامل مع فكرة للمثلات ذات الإشارات ، والإشارات تستخدم كما سبق للإشارة إلى أفراد صنف الصيغة ، ودعنا نحول لهذا السبب (6) ، و (7) إلى التقويس ذى الإشارات والرسم الشجرى ذى الإشارات (8) ، و (9) على الترتيب ونجعل رموز الحروف الأولى للإشارات أي NP للتعيرة الإسمية (noun phrase) ، و P لحروف الجر (preposition) ، PP لتعيرة الجر (prepositional phrase) ، و A لصفة

(١) الإشارة أو العنوان (Label) مصطلح في التحليل النحوى للعلامة المحددة للأجزاء أو المراحل الموجودة في التحليل البنىوى للجملة ما .

(adjective) ، و Art لأداة التعريف (" definite " article) (وصندكر أن (٨) :

[8] [PP [P on] NP [Np [Art the] [N [A wooden [N table]]]]]
و (٩) متكافئان من الناحية الشكلية ، ومادام التقويس ذو الإشارات -
هل الرغم من أنه أكثر تعقيداً - صعب القراءة فإن اللغويين يتعاملون عموماً
مع الرسوم الشجرية ذات الإشارات .



ويمكن أن نتناول نقطتين متعلقين بـ (٨) ، و (٩) النقطة الأولى أنهما
يمثلان التعبير wooden table كما لو كانت من صنف صيغة الكلمة table
(N) ذاته ، وهو ما يمكن تبريره بشكل توزيعي ، وعلى الرغم من وجود
مبادئ معينة تحدد تتابع الصفات التي تسبق الأسماء في إطار التعبير الواحدة
في اللغة الإنجليزية ، وليس هناك نهاية لعدد الصفات التي قد تذكر في ذلك
الموضع ، فهناك على كل حال مجال للشك حول البنية الداخلية لسلاسل الصفات
في تلك المواضع .

والنقطة الثانية تتعلق بالمصطلحين : « التعبير الإسمية » ، و « تعبيرة
الجر » ، وقد اقتبس هذان المصطلحان من النحو التقليدي ، وقد وجد هذان
المصطلحان تفسيرهما ليس في فكرة الاحتواء ولكن في فكرة التبعية (انظر

٤ - ٤) ، « تعبيرية التوزيع في التجدد التعليلي » عبارة ذات مركز حر التام ،
وتعبيرة الجر عبارة ذات مركز حر حرف الجر ، وتمثيل مكررات البنية في
(٨) ، و (٩) لا نقول شيئا عن النعنية ، والمصطلحان « تعبيرية الاسم » ،
و « تعبيرية الجر » ، ليسا مشبهين هنا ، وإذا فهم منهما بدلا من ذلك أن
« تعبيرية الاسم » ، و « تعبيرية الجر » لهما توزيع واحد باعتبارهما أسماء
وحروف جر على الترتيب فإن ذلك بوضوح ليس كذلك بقدر ما نلتقي
تعبيرات الجر من اهتمام ، ويبدو من الوهلة الأولى أن مصطلح « تعبيرية
اسمية » أكثر ملائمة من وجهة النظر هذه ، وفيما يتعلق ببعض اللغات - من
ضمنها اللغتين اللاتينية والرومية - التي لا تحتوي على أداة تعريف (بخلاف
اللغة الإنجليزية) يمكن أن تستخدم ما يعرف بالاسم (بمعنى العام) في المفرد
بدون أداة تعريف أو تنكير أو أى نوع آخر من أصناف الصيغ التي يشار
إليها في هذه الأيام كمحددات ، لكن قليلا من التأمل سوف يظهر أنه على
الرغم من أن (the wooden table) ، و (the table) لهما توزيع واحد
كأسماء أهلام وضمائر فليس لهما توزيع واحد كأسماء (بالمعنى العام)
مثل table .

والأمثلة التي استخدمت هنا لإيضاح فكرة مكون البنية سهلة بما فيه
الكفاية وهي بعيدا عن نقطتين تفصيليتين ليست موضع خلاف ، وعندما
نأتي إلى تحليل مجموعة نموذجية من جل اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى
من وجهة النظر التي تبنيها في هذا الفصل تنشأ كل أنواع المشكلات ، ومن
الصعوبة بصفة خاصة أن ندمج مكون البنية الخاص بصيغ الكلمات مع مكون
البنية الخاص بسلسلة من الوحدات الأكثر اتساعا والتي تكون فيها صيغ
الكلمات نفسها مكونات ، والقبيل من اللغويين - إن وجدوا - في هذه الأيام
يعتقدون أنه من الممكن أو من المرغوب فيه أن نصف نظم الحلة في لغة ما داخل

الإطار اللغوي. فمثلاً هنا ضاع هاماً دون أن نتوصل بأفكار تقليدية ، وفي الوقت نفسه من الواضح أن هناك شيئاً مثل مكون البنية في بعض اللغات الطبيعية ومن المفترض أن يكون فيها جميعاً ، وعلى المستوى النظري تقدم البحث في نظم الجملة تقدماً ملحوظاً بفضل محاولة البلومفيلدية المتقدمة صياغة فكرة مكون البنية بعبارات توزيعية :

وفي الختام يجب أن نتناول من ناحية ما يعرف بصفة هامة (على الرغم من أن ذلك قد لا يكون مناسباً) بالمكونات المنفصلة ، ومن ناحية أخرى قضية الترتيب التسلسلي ، وتقدم لغات كثيرة أمثلة للمكونات النائية أو الوسيطة ذات المكونات التي يفصل بينها سلسلة من صيغة أو أكثر ، فعلى سبيل المثال التصريف الثالث في معظم الأفعال الألمانية تصاغ عن طريق إضافة السابقة - ge واللاحقة ، - أو en - لصيغة أساسية مناسبة مثل : - job - ge (ممدوح) ، - en - ge - sprach (منطوق أو متكلم به) ، والانفصالية في إطار الكلمة ليس أمراً غير شائع في اللغات النصرية وهى من الشائع إلى حد بعيد في الواقع في سلاسل الوحدات الأكثر اتساعاً على سبيل المثال looked... up في :

he...doesn't like bananas و He looked the word up in the dictionary في He evidently doesn't like bananas و has ... en ، و be ing في has been singing

ومبدأ الاتصال ينتقض مبدأ التجاور أى مبدأ أن الوحدات (أو مكونات الوحدات) المتصلة من الناحية النظمية ينبغي أن توضع الواحدة منها بعد الأخرى في الجمل ، وفي بعض اللغات لا يكون هذا المبدأ أكثر من اتجاه أولي ، وفي بعض اللغات الأخرى تستخدم المحاوره نفسها كطريقة لإظهار

المصطلحات النظامية فعلى سبيل المثال walking down the road توضيح المجاورة أو
القربية اتفاقاً مع john أكثر من mary في كل من :

1 — walking down the road, john met Mary

2 — john, walking down the road, met Mary

(عندما تنطق كلتاهما بنهر وتنغم عاديين) ومن الأهمية أن نذكر أن فكرة
مكونات البنية لا تتضمن في حد ذاتها مجاورة المكونات للمشاركة .

كما لا تتضمن الفكرة أن المكونات المشاركة يجب أن تظهر في ترتيب
تسلسلي ثابت ، ويحدث كذلك أن كثيراً من الترتيب التسلسلي للصبغ —
وليس جميعه على الإطلاق — في اللغة الإنجليزية يكون موضوع قانون نحوي
أكثر منه اتجاه أسلوبى فليست صبغ الكلمات التى مثل :

... friend — un — ness — ly و * ness — friend — un — ly

ولا التعبيرات مثل :

on table the wooden * و * wooden the table on ... الخ

صحيحة البنية ، وليس من شك في أن الحالة النحوية في معظم الكلمات في كل
اللغات الطبيعية يحكم الترتيب التسلسلي للمورفيات المكونة لها قانون معين ،
لكن هناك اختلافاً ملحوظاً فيما بين اللغات فيما يتعلق باستخدامها للترتيب
التسلسلي في إطار سلاسل الوحدات الأكثر اتساعاً ، وصياغة تشومسكي
لمكونات البنية ولبنية النحوية بصفة عامة جعلت من التجاور والترتيب
التسلسلي — بالضرورة — مجالاً للقانون .

سائلاً : النحو التوليدي

مصطلح النحو التوليدي الذى أدخله تشومسكي في علم اللغة في منتصف
الخمسينات يستخدم اليوم لمعنيين مختلفين إلى حد ما . المعنى الأصلى الأضيق
والأكثر تقنية يشير إلى القوانين التى تحدد أنواعاً مختلفة من النظم اللغوية ،
وهو مانعنه بالنحو التوليدي في هذا القسم .

والمعنى الثانى الآكثر اتساعا الذى سنستخدم له مصطلح «التوليدية» يشهد إلى الهيكل السيكلى للافتراضات المنهجية والنظرية حول بنية اللغة وسنرجى مناقشته حتى الفصل السابع ، ولا يعد تشومسكي مؤسس النحو التوليدي فى شكله المستخدم بصورة أكثر اتساعا فى علم اللغة فحسب ولكنه يعد أيضا المتحدث الرسمى باسم التوليدية ، ولم يقتصر دوره المؤثر على علم اللغة وإنما تعداه إلى تخصصات أخرى ، وجدير بالذكر أنه من الصعوبة أن تكون من أتباع التوليدية دون أن تهتم بالنحو التوليدي ليكن من الممكن تماما أن تكون مهتما بالنحو التوليدي دون أن تقر بمبادئ النظرية اللغوية والمنهج اللذان يعدان أهم ما يميز التوليدية .

والنحو التوليدي مجموعة من القوانين التى تجرى على مفردات محدودة من الوحدات تولد مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من سلاسل الوحدات (كل سلسلة تتركب من عدد محدود من الوحدات) ومن ثم تعين كل سلسلة من الوحدات تكون صحيحة التركيب فى اللغة التى يميزها هذا النحو ، ونظم النحو التوليدي موضع اهتمام اللغويين سوف تخصص أيضا لكل سلسلة من الوحدات صحيحة البنية (وبصفة أخص لكل جملة) تولدها هذه النظم وصفا بنىويا مناسبها ، وتعريف «النحو التوليدي» الذى عرضناه هنا أعم فى جانب من جوانبه إذ ما قورن بتعريف تشومسكي ، فهو يستخدم مصطلح «سلسلة وحدات» (syntagma) بينما يستخدم تشومسكي مصطلح «سلسلة» (string) أو تسلسل (sequence) ، وسلسلة الوحدات تركيب من الوحدات النحوية (أو من العناصر فى الفونولوجيا) وليس من الضروري أن تكون مرتبة ترتيبيا تسلسليا ، ورغم ذلك أعرف تشومسكي الجمل والتعبيرات بأنهما سلاسل ذات بنية وهو منطقي تماما ويتوافق فى الواقع مع التصورات التوليدية ، (م ١٢ = اللغة)

بالجمل تعد كما لو كانت سلاسل من الوحدات أى مجموعات من الوحدات جُمِعَتْ معاً فى بنية معينة ، وما يسميه النحو التقليدى اختلافاً فى البنية يحدده فى النحو التوليدي الاختلاف الموجود فى الوصف البنىوى المرتبط به .

ومصطلح يولد (generate) يستخدم هنا بمعناه المطابق لاستخدامه فى الرياضيات ، ولكي نوضح ذلك هب أن \times يمكن أن تأخذ قيمة أى عدد من الأعداد الطبيعية (١ ، ٢ ، ٣ ، ٠٠٠) فإن وظيفة $1 + x + x^2$ (التى يمكن أن نعتبرها مجموعة من القوانين أو العمليات) تولد المجموعة (٣) ، (٧ ، ١٣ ، ٠٠٠)^(١) ، وهذا بالمعنى التجريدي أو الثابت للمصطلح الوارد فى « إن قوانين نحو توليدي ما تولد جملاً لغة ما » ، ولسنا فى حاجة إلى التعمق فى الرياضيات ، وللمنطقة الهامة أن « يولد » بهذا المعنى لا يرتبط بأى خطوة من خطوات إنتاج الجملة فى وقت حقيقى من قبل المتكلم (أو الماكينات) ، فالنحو التوليدي هو المواصفات الواضحة وضوح الرياضيات للبنية النحوية الخاصة بالجملة التى يولدها .

ولا يحصر التعريف السابق إمكانية تطبيق النحو التوليدي على اللغات الطبيعية ، فهذا التعريف فى الواقع لا يعنى ضمناً أن النحو التوليدي له أى ارتباط وثيق على الإطلاق بوصف اللغات الطبيعية ، ومجموعات سلاسل الوحدات التى يصورها النحو التوليدي على أنها لغات هى ما يدعوها المنطقة باللغات الشكلية ، وكل سلسلة ممكنة إما تكون صحيحة التركيب أو غير صحيحة التركيب ، وليس هناك سلاسل من الوحدات ذات حالة وسطى ، وأكثر من

(١) فعندما تكون $x = 1$ فإن $1 + x + x^2 = 1 + 1 + 1 = 3$ ، وعندما تكون $x = 2$ فإن $1 + x + x^2 = 1 + 2 + 4 = 7$ ، وعندما تكون $x = 3$ فإن $1 + x + x^2 = 1 + 3 + 9 = 13$ وهكذا .

ذلك فإن كل سلسلة من الوحدات صحيحة البنية لها بنية محددة بشكل تام يحددها الوصف البنيوي الذي يخصه لها النحو ، وليس من الواضح أن اللغات الطبيعية لغات شكلية بهذا المعنى ، وكثير من اللغويين يقولون إنها ليست كذلك .

ولا يعني هذا أن اللغات الشكلية لا يمكن أن تكون نماذج للغات الطبيعية ، وبكفي أن خاصة الصحة النحوية إن لم تكن محددة تماماً فإنها من الممكن أن نحدد بطريقة امنقرائية داخل حدود مقبولة ، ومثل هذه الخصائص البنيوية تعد أيضاً مبنى لنموذج يجب أن يتميز في أى لغة طبيعية تكون اللغة الشكلية موضع البحث نموذجاً لها ، وكلمة نموذج هنا تستخدم بالمعنى الذي يمكن أن يتحدث به خبير الاقتصاد عن نموذج ما أخقل نموذج المنافسة غير السليمة أو الذي يمكن أن يتحدث به كيميائي عن نموذج البنية الذرية ، وفي كلتا الحالتين ينضمّن النموذج تجريباً ومثالية ، وكذلك الأمر في علم اللغة ، وعلم اللغة البحث التزامنى النظرى الذى يهتم بالخصائص الأساسية للنظم اللغوية يمكن أن يتحمل إهمال الكثير من التفاصيل وما يتصل بالفروع الأخرى لعلم اللغة (انظر ١ - ٢) ، ولذلك فإن حقيقة أن اللغات الطبيعية قد لا تكون لغات شكلية لانف حائلا دون تطبيق النحو التوليدى في علم اللغة .

وثمة نقطة هامة نذكرها عن تعريف النحو التوليدى المذكور سلفاً . فهو يسمح بوجود أنواع مختلفة كثيرة من النظم النحوية وقضية علم اللغة النظرى : أى نوع من تلك الأنواع الكثيرة بغير حدود من نظم النحو التوليدى يعد أفضل نموذج للبنية النحوية فى اللغات الطبيعية ؟ وطرح مثل هذه القضية بفرض ضمناً أن اللغات الطبيعية كلها يمكن أن يكون لها نموذج واحد من نوع واحد من النظم النحوية ، وهذا الافتراض يشار بشكل عام هذه الأيام في علم اللغة النظرى ، وهو أحد الأسباب التى جعلت التوليديين

ينذهبون إلى أن جميع الكائنات الإلسانية قادرة من حيث الظاهر على اكتساب أي لغة طبيعية ، لكن من المحتمل من حيث المبدأ أن تناسب أنواع مختلفة تماماً من النحو التوليدي وصف أنواع مختلفة من اللغات الطبيعية لكن إلى الآن ليس هناك سبب يدهونا للاعتقاد بأن ذلك كذلك .

وقد برهن تشومسكي في عمله الأول على أن بعض أنواع النحو التوليدي أقوى في الحقيقة — من غيرها أي أنها تستطيع توليد كل اللغات الشكلية التي يستطيع النحو الأنل فعالية أن يولدها وكذلك التي لا يستطيع توليدها ، وقد برهن بشكل خاص على أن نظم النحو « ذات الإنتاج المحدود » أقل فعالية من نظم « النحو النحوي » ^(١) ، والاختلاف بين تلك الأنماط الثلاثة انظم

(١) لتحويل (transformation) عملية لغوية شكلية تمكن مستويين من التمثيل البنيوي من أن يكونا في موضع تناظر ، ويتكون القانون التحويلي (Transformational rule) من سلسلة من الرموز التي أعيد كتابتها باعتبارها سلسلة أخرى وفقاً لتقاليد وأعراف معينة ، والطرف الأيمن للقانون يعد وصفاً بنيوياً أو تحليلاً بنيوياً ، والنحو الذي يعمل مستخدماً هذه القوانين هو النحو التحويلي التوليدي ويرمز له بـ (T. G. G.) وناقشه لأول مرة تشومسكي في كتابه (Syntactic Structures) الصادر عام ١٩٥٧ باعتباره صورة توضيحية للأداة التوليدية وهو أكثر فعالية من النوعين الآخرين . phrase structure grammars ، و Finite — state grammars . وقد قدمت نماذج عديدة من النحو النحوي منذ أول تخطيط رئيسي له بيد أن النموذج القياسي قدمه تشومسكي في كتابه « Aspects of the theory of syntax » ويتكون من ثلاثة مكونات :

١ . المكون النحوي ويتضمن مجموعة أساسية من قوانين البنية النظامية أو قواعد تركيب أركان الجملة (phrase structure grammar) ، وتقدم مع المعلومات المعجمية المعلومات الخاصة بالبنية التحتية للجملة ومجموعة القوانين لتوليد الإبنية السطحية .

النحو التوليدي (التي عدها تشومسكي ثلاثة نماذج - ومعنى نموذج هنا مختلف إلى حد ما - لوصف اللغوي) لن نتمتع فيه هنا فهناك تفسيرات سهلة المنال في مستويات تقنية مختلفة ، وكل ما نحتاج قوله عن النحو « ذى الإنتاج المحدود » أنه في ظل افتراضات معينة معقولة عن البنية النظامية للغة الإنجليزية واللغات الطبيعية الأخرى أوضح تشومسكي أن اللغات الشكلية التي يولدها هذا النحو من غير الملائم أن تكون نماذج لبعض اللغات الطبيعية على الأقل ، ونظم النحو « ذى الإنتاج المحدود » ليس فعالا من حيث المبدأ بما فيه الكفاية ويرجع ذلك على نطاق واسع إلى أن نماذج الإنتاج المحدود التي أصمها علماء النفس السلوكيين في الخمسينات من هذا القرن قد عني تشومسكي بإثبات أنه من غير المناسب أن تعد نماذج للبنية النحوية للغة .

والنحو النحوي - على الجانب الآخر - فعال بشكل مؤكد من حيث المبدأ بما فيه الكفاية لأن يكون نماذج لوصف النحو في نظم اللغات الطبيعية ، لكن هناك كل أنواع النحو النحوي ، والمفارقة التي يمكن أن تبدو من الوهلة الأولى أن بعضها - وربما كلها - ذات فعالية كبيرة ، وهي تسمح بصياغة قوانين لا تستخدم أبداً - حسب علمنا - في وصف أى لغة من اللغات الطبيعية ، وما يمد مثاليا - وهو محور التوليدية - أن المرء يرغب في تخط النحو التوليدي الذي هو من القوة الكافية لأن يعكس بصورة مباشرة وواضحة خصائص البنية النحوية للغات الطبيعية المتفق بشكل عام على أنها جوهرية

٢ - المكون الفونولوجي ويحول تنابعات العناصر النحوية إلى قول يمكن النطق به .

٣ - المكون الدلالي ويقدم تمثيلا لمعنى المفردات المعجمية كما تستخدم في الجملة .

والطرق التي ترتبط بها هذه المكونات ترابطا داخليا موضع جدل منذ ظهور كتاب تشومسكي وقد طورت نماذج تحليلية بديلة ،

بالنسبة لها ، ورغم أن نمطا معيناً من النحو التحويلي قد صاغه تشومسكي في منتصف الخمسينات وهدل مرات عديدة منذ ذلك الوقت وما زال مهمنا على نظم الجملة النظري لعشرين عاما فإن دور القوانين النحوية كانت دائما محدودة ، ومستقبل النحو التحويلي في حيد ذاته (وليس النحو التوليدي) مريض شك في الوقت الراهن .

وقد وجه تشومسكي اهتماما معيناً منذ البداية إلى خاصيتين في اللغة الإنجليزية والفاظات الطبيعية الأخرى يجب وضعهما في الاعتبار عند البحث عن النوع الصحيح للنحو التوليدي ، وهاتان الخاصتان هما . التكرار ومكون البنية (انظر ٤ - ٥) وكلتاها تنعكس بشكل واضح ومباشر في نحو البنية النظامية ، (وتنعكسان كذلك في النحو التحويلي التشومسكي الذي يمكن وصفه بشكل تقريبي بأنه نحو البنية النظامية مع إضافة تحويلية ، وفي الواقع إن القانونين (٣) ، و (٥) في (٤ - ٥) إضافة في تصميم قوانين البنية النظامية ، ووظيفتهما توليد سلاسل الرموز ويخصص لكل واحد منهما تقويس ذو إشارات من النوع الذي أوضحناه من قبل انظر (٦) ، و (٨) في (٤ - ٥) ، ومثل هذه التقويسات ذات الإشارات يشار إليها باعتبارها علامات التعبير ، وحيث إن نظم نحو البنية النظامية صيغت في إطار أعم من نظم «نحو السلاسل» (أي نظم النحو التي تولد سلاسل من الوحدات) فإن علامة التعبير لا تمثل فقط مكون البنية في سلسلة الوحدات وصنف الصيغة في كل مكون لكنها تمثل أيضا ترتيبها المتسلسل الذي يربط الواحد منها مع الآخر .

وما دمنا بصدد كتاب أساسى لهذه الطبيعة فلن نتمدد في الاختلافات الفنية بين نوع وآخر من النحو التوليدي ، ومن ثم لن نطور صياغة المعروف باسم نحو « البنية النظامية » أو طريقة عمله ، وما يحتاجه النأ

عليه هنا أنه ربما كانت هناك فوائد لنوع من النحو التوليدي لانه يكون الآخر ،
وأنه ليس من الواضح - حتى الآن على الأقل - أي نوع من أنواع النحو
التوليدي التي تم تصميمها وبحسبها بعد أفضل نموذج لوصف النحو في
اللغات الطبيعية ، وعلى الرغم من وجود وجهة نظر شاعت لسنوات عديدة
مؤداهما أن بعض أشكال النحو التحويلي تؤدي هذا الغرض بأفضل ما يكون
الآداء (حتى إن المصطلحين : « النحو التوليدي » ، و « النحو التحويلي »
اعتبرا - على نحو متكرر - مترادفين) فإن العمل الحديث يبدى تشككاً
في صحة المناقشات التي قادت تشومسكى وغيره إلى هذه النتيجة .

الفصل الخامس

الدلالة

أولاً : (اختلاف المعنى)

علم الدلالة هو دراسة للمعنى ، لكن ما للمعنى ؟ نأش الفلاسفة هذا السؤال خاصة فيما يتعلق باللغة لفترة تزيد على ألفي عام ، ولم يقدم واحد منهم إجابة مرضية عليه ، وقد يكون أحد أسباب ذلك أن هذا السؤال بالصيغة التي أ طرح بها لا يمكن الإجابة عنه ، فهو يضع افتراضين مسبقين أقل ما يقال عنهما أنهما مشكلان ، الافتراض الأول أن لما نشير إليه في اللغة الإنجليزية بكلمة « meaning » (معنى) نوع ما من الوجود أو الواقع ، والافتراض الثاني أن ما يشار إليه باعتباره معنى يقشابه - إن لم يتطابق - في طبيعته ، ويمكن أن نعلق عليهما حسب ترتيبهما : الافتراض المسبق للوجود ، والافتراض للسبق للتجانس .

ولا أقول إن هذين الافتراضين المسبقين غير حقيقيين لكنهما ببساطة موضع جدال فلسفي ، وكثير من الدراسات التمهيدية لعلم الدلالة تعامل هذه الحقيقة معاملة خشنة ، وصنحصر فيما بعد على ألا نلزم أنفسنا بأى من هذين الافتراضين المسبقين ، وسوف نتجنب - بصفتي خاصة - القول بما تذهب إليه كتب أصاصية عديدة في علم اللغة من أن اللغة تقيم جسراً بين الصوت والمعنى ، وتقريرات مثل هذه يمكن - وهذا صحيح - أن تأخذ تفسيراً مفقداً إلى حد ما يجعلها أكثر قبولاً مما تبدو عليه من الوهلة الأولى ، وهي على كل حال -

بمراعاة قيمتها الظاهرية - مضللة وذات نزعة فلسفية ، وتشجعنا على الاعتقاد بأن المعنى مثل الصوت يوجد بشكل مستقل في اللغة وأنه متجانس في الطبيعة .

والنفكير في المعنى بهذه الطريقة تقليدى - بطبيعة الحال - بما فيه الكفاية ، والمعاني تبعاً للنظرية التي حازت انقبول الأكثر انساعاً في علم الدلالة أفكار أو تصورات يمكن أن تنتقل من عقل المتكلم إلى عقل المستمع بتجسيدها - إن جاز التعبير - في صيغ لغة أو أخرى .

وتحسب أن المعنى بالتصورات لن يساعدنا في الإجابة على السؤال : « ما المعنى ؟ » ما لم يحدد مصطلح « تصور » تحديداً واضحاً ، وهذا المصطلح - كما هو مستخدم بشكل عام - غير واضح أو عام أكثر مما ينبغي لأن ندعم النقل الذى يقتضيه دوره كحجر الزاوية في النظرية التصورية التقليدية للمعنى ، ما الفاسم المشترك الموجود فيما بين التصورات المرتبطة بالكلمات الآتية : « ال » ، « دل » ، و « أنا » ، و « أول » ، و « سنة » ، و « قليل » ، و « يكتب » ، و « ثلاثة » ، و « مدرسة » ، و « ولد » ، و « تطور » ، و « اسم » ، و « كل شيء » (everything) ؟ ويمكن في بعض الحالات - بشكل مقبول - أن نقول إن التصور المرتبط بالكلمة خيال مرئى من نوع ما لكننا لا نستطيع - بكل تأكيد - أن نحفظ بهذه الرؤية فيما ينصل بكلمات مثل : « ال » ، و « دل » ، و « كل شيء » ، أو حتى « اسم » ، وحتى في الحالات التي يكون من المقبول أن نعد التصور خيالاً مرئياً فإن ذلك يخلق من المشكلات أكثر مما يحل ، والتخيلات العقلية التي يربطها أناس مختلفون بكلمة مثل « مدرسة » متنوعة ، وملبسة بالتفاصيل ، ويوجد عادة قاسم مشترك ضئيل ، وقد لا يوجد قاسم مشترك بين هذه التفصيلات والتخيلات العقلية الشخصية إلى حد بعيد ، ومع ذلك ما زال زغب في القول بأن الناس - بشكل عام - يستخدمون الكلمات

بنفس معانيها إلى حد ما ، ولا يوجد ما يدعونا إلى افتراض أن التخيلات المرئية التي ترتبط بكلمات معينة جزء أساسي من معنى تلك الكلمات أو أنها ضرورية للاستخدام اليومي لهذه الكلمات .

ولا يوجد - في الحقيقة - ما يدعونا إلى افتراض أن تلك التصورات - بأي معنى محدد بوضوح لمصطلح تصور - وثيقة الصلة ببنية نظرية دلالية لغوية من الممكن تبريرها من الناحية التجريبية ، ومن الواضح أننا لن نكسب شيئاً من وراء استخدامنا لمصطلح « تصور » المفرق في غموضه حسبما يفسر عادة ونحن بصدد المحافظة على نظرية دلالية تعتمد على هذا المصطلح من التنفيذ والدحض ، ولن نلجأ إلى التصورات عند مناقشتنا للمعنى .

وبدلاً من أن نسأل : « ما المعنى ؟ » نطرح سؤالاً مختلفاً إلى حد ما : (ما معنى « المعنى » ؟) ، يغير محور الاهتمام من الحديث عن المعنى إلى الحديث عن مصطلح « المعنى » ، ولهذا التحول فوائد عديدة ، أولها أنه لن يلزمنا بالافتراض المسبق للوجود فيما يتعلق بالكلمة الإنجليزية « meaning » (معنى) ، بيد أن ذلك خال من السلبيات بما فيه الكفاية ، فالفائدة الإضافية لهذا التحول من الحديث عن الأشياء إلى الحديث عن الكلمات (إذا أمكن أن أصوغ مميّزاً - صياغة فجأة إلى حد ما - بين عبارة الكلمات وعبارة الأعياء) أنه يجعلنا بصورة حاسمة ضد احتمال أن تكون الكلمة الإنجليزية « meaning » (معنى) مختلفة من حيث التطبيق عن أى كلمة مفردة أخرى في اللغات الأخرى ، والامر كذلك ، فهناك سياقات يمكن أن تترجم فيها كلمة « meaning » إلى كلمة « signification » أو « sens » في اللغة الفرنسية ، وهناك سياقات لا يمكن فيها ذلك ، وبالمثل فإن الفارق بين الكلمتين الألمانيةين « Bedeutung » ، و « sinn » في اللغة الألمانية في الاستخدام المتبادل لا يتناظر

مع الفارق بين الكلمتين الفرنسييتين « signification » و « sens » أو الفارق بين الكلمتين الإنجليزيتين « meaning » و « sense » ، ومن الممكن أن ندرك على الأقل أنه بصياغة سؤالنا : ما معنى « المعنى » ؟ في اللغة الإنجليزية أكثر منه في لغة أخرى نؤثر مهما كان تأثيرنا ضئيلاً في بناء النظرية الدلالية ، وفيما يخص علم الدلالة فقد ذكرنا أنه دراسة المعنى أى كل ما تغطيه كلمة « معنى » ، وليس لدينا سبب يجعلنا نفترض أن كلمة مستخدمة استخدماً يومياً مثل « معنى » ، تختلف عن كلمة مستخدمة استخدماً يومياً مثل قوة أو طاقة يمكن انتباسها دون تهذيب أو إعادة تعريف الأغراض العلمية .

وتد ذكرت أن السؤال : (ما معنى « المعنى » ؟) لا يلزمنا بالافتراض المسبق للتجاسس ، وثمة حقيقة هامة عن معظم الكلمات اليومية فهي ليس لها معنى مفرد واضح العالم أو حتى مجموعة من المعاني يمكن تمييز كل معنى منها عن غيره تمييزاً قاطعاً ، وكلمة معنى نفسها ليست مستثناة من هذه الحقيقة ، ولذلك فليس مفاجئاً أن نجد قدراً ضئيلاً من الاتفاق بين اللغويين والفلاسفة فيما يتعلق بحدود الدلالة ، وهناك من يتخذ وجهة نظر واسعة في الدلالة كما سأفعل هنا ، وهناك آخرون يجعلون مجال الدلالة أكثر ضيقاً .

وليس الأمر ببساطة مسألة اختيار سواء أكان اختياراً عشوائياً أم غير عشوائى فيما يتعلق بالتفسير المنسجم لشيء ، والتفسير الضيق نسبياً للمعنى ، وكما قلت منذ لحظات فإن المعانى التى يمكن تمييزها لكلمة « معنى » يمكن أن يتحول الواحد منها إلى الآخر ، وسيتفق الجميع على أن استخدامات معينة لمصطلح « معنى » تقع في بؤرة اهتمام علم الدلالة اللغوية أكثر من استخدامات أخرى فعلى سبيل المثال :

(1) what is the meaning of "life" (١) ؟ .

بوضح استخداماً لكلمة « معنى » أقرب إلى الاستخدام الرئيسى من :

(2) what is the meaning of life ? (٢)

واستخدام الفعل « mean » (يعنى) من وجهة النظر الدلالية اللغوية -

من ناحية أخرى - فى (3) ، و (4) أكثر مركزية منه فى (5)

(3) The french word "fenêtre" means "window" (٣)

(4) The french word "fenêtre" means the same as the English word "window" (٤)

(5) He is clumsy, but he means well (٥)

والمشكلة أن هناك استخدامات وصيغة لكل من "meaning" (معنى) ، و "mean" (يعنى) تعد مجالا لعدم الاتفاق ، وقد أثبت بعض الفلاسفة أن الاستخدامات اللغوية الأكثر وضوحاً التى تتعلق بمعنى الكلمات ، والجل ، والآقوال لا يمكن تفسيرها تفسيراً مرضياً بطريقة أخرى تختلف عن اشتقاق هذه الاستخدامات أو للمعانى اللغوية الواضحة من الاستخدامات الوظيفية التى لا يبدو أنها تنطبق على اللغة وحدها بل تنطبق أيضاً على أنواع أخرى من السلوك الـسيمبولوجى (انظر ١ - ٥) .

(١) ما معنى « الحياة » ؟

(٢) ما معنى « الحياة » ؟

(٣) كلمة "fenêtre" الفرنسية تعنى "window" فى اللغة الإنجليزية ،

(٤) الكلمة الفرنسية "fenêtre" لها معنى الكلمة الإنجليزية "window"

ذاته

(٥) هو ثقيل لكنه يعبر بطريقة جيدة .

ولا أستطيع أن أتعق في هذه القضية في هذه الدراسة التمهيدية المختصرة المختارة للدلالة اللغوية ، ومع ذلك فمما هم أى فرد يُعنى على أية حال ببنية اللغة ووظائفها أن يعرف أن هناك تقليداً فلسفياً غنياً ومعتداً يتكبد في نقاط عديدة على قضايا أساسية في دراسة اللغويين للمعنى ، وسأستمر في استخدام مصطلح « معنى » (meaning) خلال هذا الكتاب دون تعريف على أنها كلمة غير اصطلاحية في اللغة الإنجليزية اليومية ، بيد أنى سأركز على أنواع معينة من المعنى أو على جوانب معينة منه ذات أهمية خاصة في علم اللغة ، وسندخل بعض المصطلحات الأكثر تقنية للنشير إليها عند الاقتضاء .

ومن المميزات الواضحة المرسومة تلك التى تميز بين معنى الكلمات أو المفردات بصورة أكثر وضوحاً ومعنى الجمل أى بين المعنى للمعجم ومعنى الجملة ، وإلى عهد قريب كان اللغويون يوجهون إهتماماً للمعنى المعجمى أكبر بكثير مما يوجهونه لمعنى الجملة ، ولم يدم ذلك طويلاً فقد أصبح من المسلم به الآن - بشكل عام - أن المرء لا يستطيع أن يفسر الواحد منهما دون أن يفسر الآخر ، ويعتمد معنى جملة ما على معنى مفرداتها المكونة لها (بما فيها المفردات التعبيرية إن وجدت انظر ٥ - ٢) ، ويعتمد معنى بعض المفردات - إن لم يكن كلها - على معنى الجمل التى تذكر فيها ، بيد أن البنية النحوية للجمل - كما هو واضح بداهة وكما سنبرهن على ذلك فيما بعد - وثيقة الصلة أيضاً بتحديد معانيها أى يجب أن نأخذ أيضاً في حسابنا المعنى النحوى باعتباره مكوناً إضافياً لمعنى الجملة (انظر ٥ - ٣) ، وبقدر ما يهتم علم اللغة إهتماماً أساسياً بوصفه العلم اللغوية (انظر ٢ - ٦) يقع المعنى النحوى والمعنى المعجمى ومعنى الجملة بشكل واضح في مجال الدلالة اللغوية .

ومكانة معنى القول منار جدل كبير إلى حد ما ، ولم نحدد إلى هذه اللحظة

الفارق المميز بين الجمل والأقوال رغم ذكره في الفصل السابق (انظر ٤-٤) ،
فمعنى قول ما يشتمل على معنى الجملة المنطوية إلا أن معناها لا يستنفد معناه ،
ويرجع بقية معناه إلى عوامل متنوعة يمكن أن نعرفها بشكل تقريبي بالعوامل
السياقية ، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن معنى القول يقع خارج نطاق الدلالة
اللفظية في حد ذاته ، وداخل ما يسلق عليه البراكمانية أو دراسة الأقوال الفعلية
(انظر ٥-٦) ، وهو منار جدل كما رأينا من قبل وذلك لأن مفهوم معنى
الجملة يمكن إثبات أنه يعتمد على مفهوم معنى القول من الناحيتين المنطقية
والمنهجية لدرجة أن المرء لا يستطيع أن يقدم تفسيراً كاملاً لمعنى الجملة دون
ربط الجمل - من حيث المبدأ - بسياقات القول المحتملة

ونمة مجموعة أخرى تتعاق بتنوع الوظائف الانصالية والسيمولوجية التي
تستخدم اللغات من أجلها ، ولا يتفق كل الناس مع الاقتراح الذي قدمه
وتجنستين Wittgenstein (واحد من أعظم فلاسفة اللغة تأثيراً في عصره) من
أن معنى كلمة ما أو قول ما يمكن بشكل مألوف أن يتحدد باستخدامه ، غير أن
هناك - بشكل واضح - أنوعاً من العلاقة بين المعنى والاستخدام وكان لنا كيد
وتجنستين على هذه العلاقة وعلى تعدد الأغراض التي تفي بها اللغات الأثر
المفيد في تشجيع الفلاسفة واللفظيين في التحسينات والسينات على مناقشة - أو
التخلي التام عن - الافتراض التقليدي الذي يذهب إلى أن دور اللغة أو
وظيفتها الأساسية توصيل المعلومات الافتراضية أو الحقيقية ، ولا يمكن
بطبيعة الحال أن ننكر أن لغات لها ماسوف أشير إليه باعتبارها وظيفة
وصفية ، ويمكن أيضاً أن يكون الأمر أنه لا يمكن استخدام نظام
سيمولوجي آخر بهذه الطريقة لصياغة الأخبار التي إما أن تكون حقيقية أو
زائفة تبعاً لما إذا كان الوضع الذي يفهم من الوصف موجوداً أم لا ، ومع ذلك
فلهجات وظائف سيمولوجية أخرى .

وترتبط بعض هذه الوظائف ارتباطاً تنظيمياً بالوظيفة الوصفية أو وظيفة الإدلاء بالتصريحات ، وترتبط بعلاقة متبادلة - وفقاً لما سبق - مع الاختلافات البنيوية فيما بين الجمل ، وعلى سبيل المثال - كما ذكرنا من قبل - الاختلافات الوظيفية بين التصريحات (أو الأخبار) ، والأسئلة ، والأوامر ترتبط بعلاقة متبادلة في لغات كثيرة مع الاختلاف البنيوي بين الجمل الخبرية ، والاستفهامية ، والطلبية ، وقد أدرك ذلك الفلاسفة والنحاة منذ عهد طويل ، وعلى كل حال نالت طبيعة هذه العلاقة المتبادلة اهتماماً كبيراً منذ فترة قريبة ، وأكثر من ذلك فن المعروف أن الأخبار ، والأسئلة ، والأوامر ليست سوى قليل من كثير من الأحداث الكلامية التي يمكن تمييزها من الناحية الوظيفية التي تتبادل الارتباط معاً بطريقة نظامية بطرق مختلفة ، وواحدة من أكثر المناقشات حيوية في السنوات الأخيرة في الدلالة اللغوية والفلسفية تركزت على قضية ما إذا كانت الأخبار ليست سوى نوع من الأنشطة الكلامية ضمن أصناف كثيرة ، وليس لها أى نوع من الصدارة المنطقية أم أنها تؤلف الصنف الخاص والأساسي من الناحية المنطقية الذي يمكن أن نشق منه - بمعنى أو بآخر - الأحداث الكلامية الأخرى ، ومازالت هذه النقطة الخلافية بلا حل ، وسنلقى نظرة عليها فيما بعد (٥ - ٤ ، ٥ - ٦) .

نستطيع إذن أن نرسم فصلاً بين المعنى الوصفي للأخبار ، والمعنى غير الوصفي لأنواع الأخرى من الأحداث الكلامية ، ونستطيع أيضاً أن نحدد - مؤقتاً على الأقل - المعنى الوصفي لقول ما بالخبر المؤكد عليه في التصريحات ، ويمكن أن يكون في أحداث كلامية أخرى لاسيما الأسئلة إلا أنه لا يكون مؤكداً ، فعلى سبيل المثال القولان التاليان (٦) ، و (٧) وهما خبر وسؤال على الترتيب حسب المقصود والمفهوم منهما .

(6) John gets up late ^(١)

(7) Does John get up late? ^(٢)

يمكن أن يقال بوجود أو استمرار خبر واحد فيهما مع أن (6) وحدها هي التي تؤكد ، ومن ثم تصف - أو يفهم منها من حيث الظاهر أنها نصف - وضعاً معيناً ، فهي تحدد خاصة الإخبار من حيث إنها ذات قيم صدق محددة أي أنها إما أن تكون حقيقية أو زائفة ، ولذلك يوجد ارتباط جوهري بين للمعنى الوصفي والصدق ، وهذا الارتباط - كما سترى فيما بعد - يعد في بؤرة علم الدلالة المتصفة بشروط الصدق ^(٣) ، وهو - في الواقع - يحد من مجال مصطلح « الدلالة » بحيث لا يغطي سوى المعنى الوصفي (انظر ٥ - ٦) .

ومما سبق يتضح أن بعض الأقوال - على الأقل - لها كلا للمعنيين الوصفي وغير الوصفي ، وفي الحقيقة يمكن إثبات أن الأغلبية العظمى للأقوال اليومية إما تصريجات أو غير تصريجات ، فإن كانت غير تصريجات سواء كانت ذات معنى وصفي أم لا فإنها تحمل ذلك المعنى غير الوصفي المعروف - بشكل عام - بالمعنى التعبيري ، والاختلاف بين المعنى التعبيري والمعنى الوصفي أن الأخير بخلاف الأول ليس خبرياً ولا يمكن شرحه بواسطة الصدق ، فعلى سبيل المثال

(١) استيقظ جون متأخراً .

(٢) هل استيقظ جون متأخراً ؟

(٣) علم الدلالة المتصفة بشروط الصدق th — conditional

semantics مدخل إلى علم الدلالة يؤكد على أن المعنى يمكن أن يحدد من خلال الشروط الموجودة في العالم الحقيقي التي يمكن أن تستخدم في ظاهرها الجملة لتصنع تصريحاً حقيقياً ، ويمكن تمييزها عن مدخل تحديد المعنى من خلال الشروط الموجودة في استخدام الجمل في عملية الاتصال وذلك مثل وظيفة الجملة من خلال الإشارات الكلامية أو ما يعتقده المتكلم في الجملة .

إذا هتف شخص ما (يا للسما ١) بنهر وتنغم يعبران عن الدهشة فإننا من الممكن أن نقول إنه مندهش (أو غير مندهش) ، وبناء عليه فإن : « جون مندهش » (على فرض أن جون اسمه) تصريح حقيقي (أو زائف) ، بيد أنه من السخف أن نقرر أن (يا للسما ١) نصف مشاعر المتكلم أو حالته الذهنية كما تفعل (جون مندهش) ، وإذا ما فعلنا ذلك نكون قد ارتكبنا ما يسميه بعض الفلاسفة مغالطة وصفية أو طبيعية و (يا للسما ١) (Good heavens !) - بطبيعة الحال - مثال واضح لما يمد في النحو التقليدي تعجباً ، وبالعلاج بشكل متكرر على أنه صنف من الأنوال التي تتميز عن التصريحات والأسئلة ، والأوامر ، وأكثر من ذلك فهو التعجب الذي لا يمكن ربطه مع تصريح مناظر بالمعنى الوصفي ويختلف لنقل عن :

Oh, Granny, what big teeth you've got ! (١)

لكن من الممكن أن توجد تصريحات تعجبية ، وأسئلة تعجبية ، وأوامر تعجبية وهم جرا ، وفي الحقيقة لا يتمدى التعجب طريقاً واحداً يعبر (أو يكشف) فيه متكلم (أو كاتب) عن انفعالاته ، وموافقه ، ومعتقداته ، وشخصيته ، وبقدر ما لا نستطيع — في اللاد الأخير — أن نرسم ميمزاً بين شخص ما وشخصيته أو مشاعره يكون من المنطقي أن نفسر مصطلح « التعبير عن الذات » تفسيراً أدبياً ، ويرتبط المعنى التعبيري بكل الأشياء التي تقع في مجال « التعبير عن الذات » ويمكن أن ينقسم إلى أنواع أصغر بطرق متنوعة لأغراض معينة ، ومن هذه الأنواع المعنى الانفعالي (أو العاطفي) (٢) وبولييه

(١) جراني ما هذه السنة الكبيرة .

(٢) المعنى الانفعالي للتعبير يشير إلى الأثر الانفعالي على المستمع كما في المحتوى الانفعالي للكلام الدعائي (Propaganda speech) ولغة الإعلام (advertising language) ... الخ

نقاد الأدب والفلاسفة العقلانيون اهتماماً خاصاً .

ويختلف المعنى الاجتماعي إلى حد ما عن المعنى التعبيري مع أن الواحد منهما - كما سنرى فيما بعد - يندمج مع الآخر ، ويمكن أن يعد كل منهما معتمداً على الآخر ، وهو ما يتعلق باستخدام اللغة في تأسيس الأدوار والعلاقات الاجتماعية وتدعيمها ، وكثير من أحاديثنا اليومية لها هذا الدور باعتباره الفرض الرئيس لها ، ويمكن أن تندرج تحت مصطلح المشاركة الانتباهية (أى « المشاركة عن طريق الكلام ») ، وهذا التعبير الموفق صاغه مالمينوفسكي (Malinowski) العالم الأنثروبولوجي في العشرينيات من هذا القرن واستخدمه اللغويون استخداماً واسعاً منذ ذلك الوقت ، ويؤكد على فكرة المشاركة والممارسة في الطقوس الاجتماعية التي تشترك فيها مجموعة ، ومن ثم كانت « المشاركة » (communion) أفضل من « الاتصال » (communication) .

وأكثر الأقوال الطقسية وضوحاً - التحايا والاعتذارات والانتخاب .. الخ - وهى تلك التي تنحصر وظيفتها في تزييت عجلات التعامل الاجتماعي ، وهذه الأقوال ثانوية إذا ما نظرنا إليها من وجهة النظر التي يمكن أن تميز - على نحو صحيح - أكثر الوظائف أساسية للغة بالمقارنة مع الوظائف الأخرى بما فيها وظيفتها الوصفية ، وفي العادة يكون السلوك اللغوي ذا هدف ، حتى التصريحات العلمية الهادئة الخالية من الماطفة والحساس والتي يكون المعنى التعبيري المرتبط بها في حده الأدنى يكون من أهدافها - عادة - كسب الأصدقاء والتأثير على الناس ، وعموماً فإن ما يقال والطريقة التي يقال بها تحددها - في أى سياق تستخدم فيه اللغة وبصورة أوضح في المحادثات اليومية - العلاقات الاجتماعية التي تسود فيها بين المشتركين والأغراض الاجتماعية الخاصة بهم ، وسوف نلقى نظرة على المعنى الاجتماعي بصورة أكثر تحديداً في الفصلين التاسع والعاشر

يبدو أن النقطة التي تتولد مباشرة في أذهاننا من خلال هذا الفصل أن اللغات تختلف من حيث الدرجة التي يجوز - أو يجب - فيها أن ينتقل المعنى الاجتماعي في الجمل باختلاف أنواعها ، وبناء عليه يجب ألا نعتقد أن المعنى الاجتماعي يمكن أن يترك العالم الاجتماع اللغوي ولا يكون ، وضع اهتمام اللغوي البحث الذي يحدد آفاته العقلية التعريف الضيق عن عمد للنظام اللغوي باعتباره مجموعة من الجمل (انظر ٢ - ٦) .

ويمكن أن نتعرف على أنواع أخرى للمعنى ، وسنذكر بعض هذه الأنواع فيما بعد في هذا الفصل ، وبني بفرضنا الآن أن نقول إن المعنى ينقسم إلى ثلاثة أقسام : وصفي وتعبيري واجتماعي ، وتبقى ملاحظتان تتصلان به ، الملاحظة الأولى أنه مادام الإنسان كائنًا اجتماعيًا ، ومادامت بنية اللغة يحددها ويدعمها استخدامها في المجتمع فإن التعبير عن الذات بشكل عام ، والتعبير عن الذات بواسطة اللغة بصفة خاصة يحكمه على نطاق واسع إلى حد كبير التواعد السلوكية والطبقية المفروضة المتعارف عليها من الناحية الاجتماعية ، ومعظم موافقنا ومشاعرنا ومعتقداتنا - معظم ما نعتقد أنه شخصي أو ذاتي - نتاج مشاركتنا الاجتماعية ، وإلى هذا الحد يعتمد المعنى التعبيري على العلاقات والأدوار الاجتماعية ، وفي نفس الوقت يساهم ما يمكن أن نعده تعبيراً عن الذات في تأسيس أو تدعيم أو تغيير هذه العلاقات والأدوار الاجتماعية ، وهو ما قصدته عندما قلت من قبل إن المعنيين التعبيري والاجتماعي يعتمد كل منهما على الآخر :

والملاحظة الثانية أنه بينما يختص المعنى الوصفي باللغة فإن المعنى الاجتماعي ، والمعنى التعبيري - بلarib - لا يختصان بها ، فهما موجودان في النظم السيميولوجية للطبيعة الأخرى الإنسانية وغير الإنسانية ، ومن المنهجر - في هذه القضية -

أن نعود إلى مناقشتنا لبنية اللغة من وجهة النظر السيميولوجية (انظر ١ - ٥) وقد رأينا هناك أن المكون الشفهي لإشارات اللغة هو الذي يميزها بشكل أكثر وضوحاً عن أنواع أخرى من الإشارات الإلسانية والإشارات غير الإلسانية، ويمكن الآن أن نشير إلى أن المعنيين التعبيري والاجتماعي محمولان في المنصر غير الشفهي لغة على نحو مميز على الرغم من عدم افتصارها عليه بينما يقتصر المعنى الوصفي على المكون الشفهي ، ومع هذا فوظائف اللغات ليست أقل اندماجاً بصورة وثيقة من مكوناتها البنيوية التي يمكن تمييزها الأمر الذي يعزز ما قلناه من العلاقة بين اللغة واللغة سواء أكد المرء على أوجه الشبه أو أوجه الخلاف وسواء اعتمد على وجهة نظر شخصية أو متخصصة ، وسنقضي في هذا الفصل بالدلالة اللغوية أي دراسة المعنى في اللغات الطبيعية ويخضع لقيد إضافي تقتضيه ضمناً الأشياء المسلم بها في النظام اللغوي (انظر ٢ - ٦) ، ومن الممكن تبني وجهة نظر أكثر اتساعاً .

ثانياً : المعنى المعجمي : التجانس وتعدد المعنى والترادف

كل لغة تحتوي على مجموعة المفردات (أو المعجم) التي تتكامل مع النحوي حيث إن مجموعة المفردات لا تسجل مفردات اللغة فحسب (وتفهرس هذه المفردات بواسطة صيغها الاستشهادية أو جذوع الصيغ أو من حيث المبدأ بأي طريقة أخرى تميز المفردات الواحدة منها عن الأخرى) لكنها تربط بكل مفردة جميع المعلومات التي تفقدها قوانين النحو ، وهذه المعلومات النحوية نوهان : معلومات تنظيمية ، ومعلومات صرفية فعلى سبيل المثال المفردة الإنجليزية « go » ينبغي أن يرتبط بها في مدخلها المعجمي معلومات تفيد أنها تنسب إلى صنف فرعي واحد أو أكثر من الأفعال اللازمة ، وكل

المعلومات الضرورية بما فيها الجذع أو الجذوع لاختيار صيغها أو بنائها
(gone و went و going و goes و go) .

والمفردات ليست جميعها مفردات كلمات (أى مفردات صيغها صيغ
كلمات) ، فكثير منها مفردات تعبيرية (أى المفردات التى صيغها تعبيرات
بالمعنى التقليدى لهذا المصطلح) فعلى سبيل المثال فيما بين مفردات التعبير
فى اللغة الإنجليزية التى نتوقع أن نجد لها مدرجة فى أى قاموس لها :

put up with ^(١)

pig in a Poke ^(٢)

red herring ^(٣)

draw a bow at a venture ^(٤)

go for a song ^(٥)

وتميل مفردات التعبير لأن تكون اصطلاحية ^(٦) من الناحية النحوية أو الدلالية

(١) يعانى دون شكوى أو ضجر .

(٢) يشتري شيئاً دون أن يراه أو يعرف قيمته .

(٣) رنجة . (٤) يتهور (يبالغ فى المخاطرة) .

(٥) يخرج من أجل الغناء

(٦) مصطلح يستخدم فى النحو والدلالة يشير إلى سلسلة كلمات مقيدة على
المستويين النحوى والدلالى ومن ثم تؤلف باعتبارها وحدة مفردة ، ومن
وجهة النظر الدلالية لا تستطيع معانى الكلمات المفردة أن تحصل أو تجمع لإنتاج
معنى التعبير الاصطلاحية ، ومن وجهة النظر النحوية لا يسمح للكلمات فى
التعبير الاصطلاحية بالتنوعات الموجودة فى السياقات الأخرى ، فعلى سبيل
المثال لا تسمح التعبير الاصطلاحية : - it's raining cats and dogs - بما يلى :

* it's raining a cat and a dog / dogs and cats

أو من كلتا الناحيتين أى أن توزيعها خلال جمل اللغة أو معناها لا يمكن التنبؤ به من الخصائص النظامية والدلالية لمكوناتها ، ومفردات التعبير — كما يتضح من (red herring) وربما اتضح في (pig in a poke) ، و (draw a paw as a venture) — يمكن بصفة عامة أن تناظر تعبيرات غير اصطلاحية (بعض صيغها أو جميعها تنطبق مع مفردات التعبير المناظرة) ، ومثل هذه التعبيرات غير الاصطلاحية ليست مفردات أى ليست جزءاً من مفردات اللغة ، وعندما يمكن أن توضع مفردة تعبير اصطلاحية من الناحية الدلالية مع تعبير غير اصطلاحية فن التقليدى أن نقول إن الأخيرة ذات معنى حرفي في مقابل المعنى الاصطلاحى أو الاستعارى أو المجازى للأولى .

ولن نضيف شيئاً إلى ما قلناه عن المفردات التعبيرية في حد ذاتها أو عن الأنواع والدرجات المختلفة للاصطلاحية التى توجد في اللغة ، لكننا سوف نرجع إلى الفارق المميز بين المعنى الحرفي والمعنى المجازى الذى يرسم أحياناً فيما يتعلق بالمعاني التى يمكن تمييزها في كلمات المفردات وأيضاً فيما يتعلق بمعاني التعبيرات المعجمية ، والتعبيرات غير المعجمية المناظرة ، ويجب أن نؤكد هنا أنه على الرغم من أننا نتكلم بشكل غير دقيق عن معجم لغة ما باعتباره يتألف من الكلمات (أى مفردات الكلمات) في تلك اللغة فإن مفردات الكلمات لا تشكل سوى جانب من مجموع المفردات في أى لغة طبيعية ، ومصطلح « معنى معجمي » الذى استخدمه عنواننا لهذا القسم يُفسر على أنه « معنى المفردات » ويمكن أيضاً أن نذكر هنا أنه على الرغم من وجود قدر كبير من الحالات الواضحة لمفردات التعبير في أى لغة فن المحتمل أن تكون هناك تعبيرات كثيرة يمكن أن يدور جدل حول كونها مفرداتية أو غير مفرداتية ، وليس هناك بصفة عامة معيار مقبول يمكننا من رسم فارق مميز بين مفردات التعبير

من ناحية والمسكوكات أو التراكيب الثابتة من ناحية أخرى ، وما هو السبب واحد وراء كون مجموع مفردات أي لغة طبيعية على الرغم من أنها محدودة العدد إلا أنها غير محدودة الشكل .

وهناك سبب آخر يتعلق بصعوبة التمييز بين التجانس ، وتعدد المعنى ، ويطلق التجانس بشكل تقليدي على الكلمات (أي للمفردات) المختلفة ذات الصيغة الواحدة ، وحيث إن للمفردات يمكن أن يكون لها أكثر من صيغة واحدة ، وليس من غير الشائع أن تشترك مفردة أو أكثر - لكن ليس جميع المفردات - في صيغها (ولا تشمل الصيغ المشتركة - بالضرورة - على الصيغة الاستشهادية أو الصيغة الأساسية) ، ويحتاج التعريف التقليدي للتجانس - بصورة واضحة - إلى تحسين يسمح بأنواع مختلفة من التجانس الجزئي ، وأي تحسين يتطلب أن نأخذ في اعتبارنا احتمال عدم التطابق بين وحدات اللغة المنطوقة ووحدات اللغة المكتوبة أي إمكانية وجود مشتركات صوتية ليست مشتركات هجائية والعكس بالعكس (انظر ٣ - ٤) ، وعلى كل حال فليس من الصعوبة أن نصنع أدوات ضبط ضرورية للتعريف التقليدي للمشارك اللفظي (التجانس) على أساس ما قيل في الفصول الأولى ، وسأفترض أن القارئ يستطيع أن يفعل ذلك وأن يقدم من اللغة الإنجليزية أمثلة مناسبة توضح أنماطاً فرعية مختلفة من التجانس التام والتجانس الجزئي ، ولا يعني هذا الجانب من مشكلة التمييز بين الاشتراك اللفظي (التجانس) ، وتعدد المعنى .

وتعدد المعنى صفة للمفردات الأحادية وهو ما يفرق - من حيث المبدأ - بينه وبين التجانس فعلى صيدل المثال « bank1 » ، و « bank2 » (وتعنيان على الترتيب « جانب النهر » ، و « مؤسسة مالية ») تعمدان هاتين متجانستين ، بينما يعالج الاسم « meek » في المعاجم النموذجية للغة الإنجليزية كمفردة أحادية

مع معان عديدة يمكن التمييز بينها أى باعتبارها متعددة للمعنى ، وتضبط رموزنا الفارق بين التجانس وتعدد المعنى انظر « bank1 » : « bank2 » وكل منهما يمكن أن تكون فى الواقع متعددة المعنى لكن « neck » لها - على وجه التقريب - المعانى الآتية : « neck1 » = الرقبة ، « neck2 » = ياقة القميص أو الثوب ، و « neck3 » = عنق الزجاجة ، و « neck4 » = شريط ضيق من الأرض ... الخ ، وتحترم كل المعاجم القياسية الفاصل المميز بين التجانس وتعدد المعنى لكن كيف تفرق بينهما ؟ .

والتأثيرية أحد المعايير ، فعلى سبيل المثال « meal1 » (وتعنى وجبة أو وليمة) ، و « meal2 » (وتعنى دقيق أو طحين) تعلمان مفردتين مختلفتين فى معظم المعاجم ويرجع السبب الاسامى - إن لم يكن الوحيد - إلى أنهما مشتقان من الناحية التاريخية من مفردتين غير متجانستين فى اللغة الإنجليزية القديمة ، ولا يتصل المعيار التأثيرى - كما رأينا من قبل - بعلم اللغة الوصفى (انظر ٢ - ٥) ، ولا يعتبر الاختلاف فى أى حالة - على الرغم من أن المعجميين قد يتمسكون بأنه يشكل شرطاً كافياً للتجانس - الشرط الضرورى أو حتى الأ أكثر أهمية فى تمييز التجانس عن تعدد المعنى .

والاعتبار الرئيسى قرابة للمعنى ، فالمعانى العديدة للمفردة الواحدة المتعددة المعنى (على سبيل المثال « neck1 » ، و « neck2 » ، « neck3 » ... الخ) تعتبر معان ذات قرابة ، وإذا لم يتحقق هذا الشرط فإن صانع المعجم يفضل أن يجعله من قبيل التجانس أكثر من أن يكون من قبيل تعدد المعنى ، ويضع مداخل معجمية مختلفة عديدة فى المعجم (« neck1 » ، و « neck2 » ، و « neck3 » ... الخ) ، وهناك بعد تاريخى لقرابة للمعنى وهو ما يعقد هذه المسألة ، فعلى سبيل المثال يمكن أن يتضح أن معنى « pupil » ،

(تلميذ) ، ومعنى « pupil2 » (بؤبؤ العين أو إنسانها) ذوا قرابة تاريخية مع
أنهما قد افترقا عبر الزمن إلى الدرجة التي لا يعتد منسكهم بالإنجليزية في
قرايتهما التزامنية ، وهى القرابة التزامنية التي سنكون بصدها فيما بعد .

ومن السهولة أن نرى أنه بينما تكون مسألة التطابق فى الصيغة مسألة قاطعة
(هناك تطابق أو ليس هناك تطابق) فإن قرابة المعنى مسألة تقريبية ، ولهذا
السبب فإن الفارقة بين التجانس وتعدد المعنى — على الرغم من سهولة
صياغتها — صعبة التطبيق بثبات وثقة .

واقترحت بعض المعاجات الحديثة للدلالة أن يحسم المرء المعضلة ويفترض
التجانس — مفضلاً إياه على تعدد المعنى — فى كل الأمثلة ، وعلى الرغم من
جاذبية هذا الاقتراح الذى تبدو من الوهلة الأولى فإنه لا يحل المشكلات اليومية
التي تواجه مؤلف المعجم حلاً عملياً ، كما أنه — وهو الأكثر أهمية — يغفل
الجانب النظرى ، فالمفردات ليس لها عدد محدد من المعانى المميزة ، وخاصة
التمايز فى اللغة تختص بالصيغة ولا تختص بالمعنى (انظر ١ — ٥) ، وجوهر
اللغات الطبيعية أن تتحول المعانى المعجمية فيها من معنى إلى آخر ، وأن تقبل
الاتساع بغير حدود ، والطريق الوحيد لحل المشكلة التقليدية الخاصة
بالتجانس وتعدد المعنى — أو ربما التقلب عليها — يكون بالتخلي التام عن
المعيار الدلالى عند تحديد المفردة ولا نعتمد إلا على المعيارين النظمى والصرفى
وهو ما يكون له الأثر فى تقسيم « bank1 » ، و « bank2 » إلى معنيين (يمكن
تمييزهما بسهولة) لمفردة واحدة متعددة المعنى من الناحية التزامنية ، ومعظم
اللغويين لا يفضلون مثل هذا الحل الراديكالى ، وحتى الآن فإن إمكانية
الدواع — نظرياً وعملياً — عن هذا الحل أكبر من إمكانية استبداله ، وربما
ظلنا قانعين بحقيقة أن مشكلة التمييز بين ظاهرتى التجانس وتعدد المعنى غير
قابلة للحل من حيث المبدأ ،

والمعنى — كما رأينا في القسم السابق — يمكن أن يكون وصفيًا ، ويمكن أن يكون تعبيريًا ، ويمكن أن يكون اجتماعيًا ، وكثير من المفردات تجمع بين نوعين للمعنى أو بين الأنواع الثلاثة له ، وإذا عرف الترادف بتطابق المعنى فإن المفردات لا يمكن أن نقول إنها مترادفات تامة (في إطار محدد من السياقات) إلا إذا كانت لها الممانى الوصفية ، والتعبيرية ، والاجتماعية ذاتها (في إطار السياقات التي نحن بصدددها) ، ولا يمكن القول بأنها مترادفات مطلقة إلا إذا كان لها التوزيع ذاته وكانت مترادفات تامة في كل معانيها وفي كل سياقات ذكرها ، ومن المعروف بصفة عامة أن الترادف التام للمفردات نادر نسبياً في اللغات الطبيعية وأن الترادف المطلق — كما عرفناه هنا — غير موجود تقريباً ، وفي الحقيقة من المحتمل أن ينحصر الترادف المطلق في مفردات خاصة إلى حد بعيد تكون وصفية بحتة ، وللثال النموذجي له « syphilitis » : « caecitis » (وتعني التهاب المصراان الأعور) ، لكن كم من متشكلى اللغة الإنجليزية الأصليين على معرفة بهاتين الكلمتين ؟ وما يلاحظ حدوثه في حالات كهذه أنه على الرغم من أن زوجاً أو مجموعة من المصطلحات قد تتواجه معاً فيما بين المتخصصين لفترة قصيرة فإن أحد هذه المصطلحات يحوز القبول باعتباره المصطلح النموذجي للمعنى المقصود ، والتحدى الذي نلقاه سائر المصطلحات إما الاختفاء أو التطور إلى معنى جديد ، ويمكن أن نلاحظ الخطوات ذاتها في اللغة اليومية فيما يتصل بالمفردات التي تخاق للهنوعات أو مؤسسات جديدة فكلمة (radio) أوضحت تقريباً كلمة (wireless) رغم أنها اشتركتنا في الوجود لفترة كانتا فيها بديلين لكثير من متشكلى اللغة الإنجليزية البريطانية ، وعلى الجانب الآخر تختلف الكلمات : « aerodrome » و « airfield » ، و « airport » الآن في معانيها الوصفية .

وحيا لاحظ أننى (بخلاف معظم من كتب في الدلالة) وضعت فارقا مميّزاً

بين الترداف المطلق ، والترداف التام ، وهو أمر هام من وجهة نظري ،
فالترداف المقيد بالسياق قد يكون نادراً نسبياً لكنه موجود بالتأكيد ، فعلى
سبيل المثال كلمة (broad) وكلمة (wide) ليستا مترادفتين ترادفاً مطلقاً
مادامت هناك سياقات لا تستخدم فيها عادة سوى إحدهما ، واستبدال
الواحدة منهما بالأخرى — إذا كان مقبولاً — قد يحدث اختلافاً ما في
المعنى (انظر : > He has broad shoulders > عريض الكتفين ،
> she has a lovely broad smile > ذات ابتسامة عريضة فاتنة ،
> The door was three feet wide > الباب ثلاث أقدام عرضاً) ،
لكن هناك سياقات تظهر أن فيهما مترادفتين ترادفاً تاماً (انظر :
> They painted a wide / broad stripe right across the wall >
والقارىء مدعو لأن يفكر في أمثلة مشابهة في اللغة الإنجليزية وفي اللغات الأخرى
وأن يلحظها بها ، واعتقد أنه سيجد أنه حق عندما توجد بعض الاختلافات
في المعنى بصورة محددة فن الصوبة أن نتأكد من ماهية هذا الاختلاف ،
وسيجد أيضاً أنه لا يتضح دائماً متى يوجد اختلاف في المعنى ومتى لا يوجد هذا
الاختلاف ، وقد يفويه — مثل الدلائل والكتابات المعياريين في مجال
الاستخدام الصحيح الذي لا يشوبه شك — أن يفترض وجود فروق دقيقة
تميز كلمة عن أخرى .

وهذه الاكتشافات مفيدة فهي تدعم ما أثراه من قبل حول الغموض
الجزئي للمعنى المعجمي ، وتبين في الوقت نفسه أن كثيراً من معلومات الفرد
عن اللغة — بقدر ما يكون النظام اللغوي محددًا — خارج مجال الاستبطان
الذي يمكن الاعتماد عليه ، وكذلك الأمر مع القوانين النحوية للغة ما ، وبالمثل
مع القوانين والمبادئ التي تحدد معنى الكلمات والتعبيرات إلى المدى الذي
يتمدد فيه المعنى المعجمي ، وقد أثبتنا — بمعنى من المعاني — أننا نعرفها

باستخدامنا اللغة أى أنها تظهر فى السلوك اللغوى ونستطيع بدرجة يمكن الاعتماد عليها أن نلاحظ إخلالاً بها وبمعنى آخر نحن لانعرف بوضوح ما هى هذه القوانين والمبادئ فعندما يطلب منا تحديدها فمن الصعوبة أن نفعل ذلك وعادة ما نخطأ .

وتتكمثل المشكلة بالوجود الذى لا يشوبه شك لما يشار إليه — بصورة شائعة — بالظلال الدلالية للمفردات ، (وهناك أيضاً استخدام أكثر تقنية لمصطلح « ظلال دلالية » فى علم الدلالة ، وهو ما لا يعطينا هنا) والاستخدام المتكرر لكلمة ما أو تعبيره ما فى إطار سياقات دون أخرى يميل إلى خلق مجموعة من الضمائم بين هذه الكلمة أو هذه التعبير وما يمكن أن يميز صيغاتها الخوذية ، فعلى سبيل المثال هناك اختلافات فى الظلال الدلالية — فضلاً عن الاختلافات فى المعنى الوصفى — بين كلمتى « church » (كنيسة) و « chapel » (كنيسة صغيرة) فى إنجلترا وويلز ، وعندما يكون الاختلاف واضحاً مثل هذا الوضوح فإن سؤال المثل : Are they church or chapel? له تفسير واضح تماماً ، ومع ذلك فإن الظلال الدلالية يكون تحديدها عادة أقل سهولة ، وعلى كل حال فهى حقيقة بما فيه السكامة على الأقل بالنسبة لمجموعات معينة من المتكلمين ، ويسترشد بها — بصورة واضحة — الخطباء والشعراء بل يسترشد بها كل منا فى أوقات ملاحظة أغراضنا اليومية ، وما إذا كنا نرى أن الظلال الدلالية المحددة سياقياً لمفردة ما جزء من معناها أم لا يعتمد على نطاق واسع على مدى اتساع التفسير الذى نحن على استعداد لتخصيصه للمعنى ، وكثيراً — وليس دائماً — ما يقع ما نشير إليه بالظلال الدلالية لمفردة ما فى إطار المعنى التعبيري أو الاجتماعي .

والتراصف غير التام ليس نادراً بآية حال وهو موجود فى مفردات معينة قد

ترادف من الناحية الوصفية دون أن يكون لها المعنى التعبيري أو الاجتماعي ذاته ، وقد تكون هذه هي الحالة الوحيدة التي يتطابق فيها أحد أنواع المعنى ولا تتطابق الأنواع الأخرى التي يمكن تمييزها بشكل واضح ومفيد في حد ذاته ، والترادف الوصفي (ومن الشائع أن يطلق عليه اسم الترادف الإدراكي أو العام) هو ما يعتبره كثير من الداليليين المراد بالترادف على نحو لائق ، ومن أمثلة المترادفات الوصفية في اللغة الإنجليزية ما يلي : « father » ، و « dad » ، و « daddy » ، و « pop » . . . الخ ، و « lavatory » ، و « toilet » ، و « loo » ، و « WC » . الخ ، فكل من هاتين المجموعتين مترادفات وصفية توضح حقيقة أنه ليس من الضروري أن يستخدم كل المتكلمين هذه الكلمات المترادفة رغم أنهم قد يكونون على معرفة بها ، ويوضح المثال الثاني - بصورة أوضح من المثال الأول - حقيقة إضافية إذ قد توجد تابوهات (كلمات معينة تكشف الانتماء إلى مجموعات معينة في الجماعة ، ومندسنوات كان الفارق بين مفردات الطبقة الراقية (U- vocabulary) ومفردات الطبقات الأخرى (non-U vocabulary) موضع حوار يومي في بريطانيا ، وقد أصبح هذا الفارق في متناول الجماهير على يد نانسي متفورد (Nancy Mitford) على الرغم من أنه لم يخترعه ، ولقد كان وما زال موضوعا حساسا على الأخص بالنسبة لأفراد الطبقات الوسطى المنشبهين بأفراد الطبقة العليا (على الرغم من أن المصطلحين : « U » ، و « non - U » أصبحا الآن عتيقين) .

والدور الذي تلعبه التابوهات الاجتماعية في السلوك اللغوي شيء ما يقع في مجال علم اللغة الاجتماعي ، وقد ذكرناه هنا لأنه ذو تأثير على المهنيين التعبيري والاجتماعي للمفردات ، وقد لا يستبعد المرء أن يجازف بإقامة الدعوى القانونية إذا ما استخدم فرد كلمة من الكلمات التي يطلق عليها اسم

الكلمات ذات الأربعة حروف^(١) بيد أنه مازالت هناك اختلافات في اللغتين الاجتماعى والتعبيرى تميز لنقل . Prick . (٢) أو . cock . (٣) عن penis . (٤) أو . breast . (٥) أو . tit . (٦) أو . bosom . (٧) أو . bust . (٨) ، والبحث التاريخى المفردات يوضح مدى أهمية عامل لصف التعبير (عن شيء بغيض) — تجنب كلمات التابوه — في تغيير المعنى الوصفى للكلمات ، وهو ما يتضمن اعتماداً تزامنياً متبادلاً بين كل من المعنى الوصفى والمعنى غير الوصفى .

وأخيراً فإن كلمة ما يجب أن يقال من الترادف بين مفردات تتعلق بألفاظ مختلفة ، فحتى الترادف الوصفى عبر اللغات أقل شيوعاً إلى حد بعيد مما تشجعنا على الاعتقاد به للمعاجم الثنائية باستثناء الجوانب الفهرية المتخصصة إلى حد ما من مفرداتها ، ومن السخف أن نؤكد أنه لا يوجد شيء يعد ترادفاً داخل اللغة (أو فى الحقيقة داخل اللهجة) وعلى الجانب الآخر يجب أن ندرك أن الترجمة الحرفية غير ممكنة بشكل تام بين أى لغتين طبيعيتين ، والأهمية النظرية لهذه الحقيقة صدمتنا فيما بعد .

(١) الكلمات ذات الأربعة حروف كلمات تتصل بالجنس .
 (٢) ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ألفاظ تتصل بالأعضاء الجنسية لدى المرأة والرجل .

ثالثاً: المعنى المعجمي المعنى والدلالة الذاتية

سنغنى في هذا القسم بالمعنى الوصفي وحده ، ويشتمل - على الأقل - على مكونين يمكن التمييز بينهما : المعنى (sense) ، والدلالة الذاتية (denotation) ^(١) والمصطلحان مؤخوذان من الفلسفة أكثر من علم اللغة ، وحق وقت قريب كان اللغويون يميلون إلى عدم الاهتمام بالقضايا الفلسفية التي تؤدي إلى معرفة الفوارق التي ستوضح هنا ، والفلاسفة فيما يتصل بما يخصهم لم يُعْنُوا دائماً - كما يجب على اللغويين - بالإطار الكلي للغات الإنسانية وبالاختلافات البنيوية فيما بينها التي تتصل بالفوارق التي نحن بصدددها ، ويجب أن يُسَلَّم أيضاً بأن مصطلحي « معنى » ، و « دلالة ذاتية » قد استخدمهما لغويون وفلاسفة آخرون استخداماً مختلفاً ، ولن أتعق في هذه الاختلافات لكنني سأقدم ببساطة وجهة نظري الخاصة في القضايا التي تتضمنها ، وهي مثيرة للجدل من

(١) المعنى الحقيقي أو الدلالة الذاتية (denotation) مصطلح يستخدم في علم الدلالة كجانب من تصنيف أنواع المعنى ويقابل المعاني الضمنية أو الظلال الدلالية (connotation) ، والمعنى الحقيقي يشتمل على العلاقة بين الوحدة اللغوية - وعلى الأخص اللفظ المعجمي - والكيونات غير اللغوية (non - Linguistic entities) التي تشير إليها ، ومن ثم يكفي المعنى العام المقصود أو المعنى المرجعي (referential meaning) فعلى سبيل المثال المعنى الحقيقي أو الدلالة الذاتية لكلمة « dog » في اللغة الإنجليزية هو ما يعرفها به المعجم (ذلك الحيوان ذو الأربع) وتشمل معانيها الضمنية أو ظلالها الدلالية معاني مثل الصديق ، والمعين ... الخ .

بعض الجوانب ، وهى أيضا متاحة تماما وهناك الكثير مما يمثلها فى التاريخ الطويل للدراسات الدلالية الفلسفية .

ومن الواضح أن بعض المفردات - إن لم يكن المفردات كلها - ترتبط بالمفردات الأخرى فى اللغة ذاتها (فعلى سبيل المثال ترتبط «بقرة» بـ «حيوان» و «ثور» ، و «عجل») ، وترتبط بالكينونات ، والخصائص ، والموقف ، والعلاقات . . الخ فى العالم الخارجى (فعلى سبيل المثال ترتبط «بقرة» بصنف معين من الحيوانات) ، وسنقول إن المفردة التى ترتبط (بطريقة وثيقة الصلة) بمفردات أخرى ترتبط بها من جهة المعنى ، وإن المفردة التى ترتبط (بطريقة وثيقة الصلة) بالعالم الخارجى ترتبط به عن طريق الدلالة الذاتية ، فعلى سبيل المثال «بقرة» ، و «حيوان» و «ثور» ، و «عجل» . . الخ ، و «أحمر» ، و «أخضر» ، و «أزرق» . . الخ ، و «يحصل» ، و «يحرز» ، و «يسنعر» ، و «يشترى» ، و «يسلب» . . الخ تشكل مجموعات من المفردات يوجد فيما بينها علاقات دلالية بمختلف أنواعها ، وتشير (بقرة) إلى صنف من الكينونات وهو صنف فرعى مناسب لصنف من الكينونات التى تشير إليها (حيوان) ، وتختلف عن صنف الكينونات التى يشير إليها «ثور» أو «حصان» أو «شجرة» أو «بوابة» التى تتشابه مع صنف آخر تشير إليه «عجل» وهلم جرا .

ومن الواضح أن المعنى والدلالة الذاتية يعتمد كل منهما على الآخر ، وإذا كانت العلاقة بين الكلمات والأشياء - أو بين اللغة والعالم - علاقة مباشرة وثابتة كما يفترض أن تكون عادة فسيكون متاحا لنا أن نتخذ من المعنى أو الدلالة الذاتية أساسا أو قاعدة ثم نعرف الثانى من خلاله ، فعلى سبيل المثال يمكن أن نأخذ بوجهة النظر التى تجعل من الدلالة الذاتية أساسا أى أن الكلمات

أسماء أو هناوين لأصناف الكينونات (مثل بقر أو حيوان) للوجود في العالم خارج اللغة ومستقلة عنها ، وأن تعلم المعنى الوصفي للمفردات يعد - ببساطة - تعرفاً على ما تعزى المسميات إليه من أصناف الكينونات ، وتنضج وجهة النظر هذه في المذهب الواقعي التقليدي للأنواع الطبيعية (أى الأصناف الطبيعية والمواد الطبيعية) وتكمن خلف كثير من الدراسات الدلالية الفلسفية الحديثة ذات المسحة التجريبية ، ومن المناح أيضاً أن تأخذ بوجهة النظر التي تجعل المعنى أساساً أى من الممكن إثبات أنه سواء أكانت أنواع طبيعية موجودة أم لا (أى تصنيف الأشياء اعتماداً على اللغة) فإن الدلالة الذاتية للمفردة تحددها معنى هذه المفردة ، ومن الممكن - من حيث المبدأ - أن نعرف معنى المفردة دون معرفة دلالتها الذاتية ، وقد تروق وجهة النظر هذه في حد ذاتها للعقلانى أى ذلك الشخص الذى يختلف عن التجريبى فيتمسك بأن العقل أكثر من الخبرة الحسية - مصدر المعرفة (انظر ٢ - ٢) ، ويمكن أن يور ذلك من الناحية الفلسفية عن طريق المطابقة التقليدية لمعنى الكلمة مع الفكرة أو التصور الذهني المرتبط بها (انظر ٥ - ١) .

وكل ما نحتاج إلى قوله هنا أن البدائل البسيطة الواضحة المعالم الواردة في الفقرة السابقة تصطدم بصعوبات فلسفية لا يمكن التغلب عليها ، وهناك وسائل أكثر تعقيداً للدفاع عن الأولوية السيكلوجية أو المنطقية للمعنى أو للمدلول غير أننا لسنا بحاجة إلى الاهتمام بها ، وما يجب أن يؤكد عليه الأفوي الحقيقةتان التاليتان : الحقيقة الأولى أن معظم المفردات في اللغات الإنسانية كلها لا تشير إلى أنواع طبيعية ، والحقيقة الثانية أن اللغات الإنسالية لا تتناول - إلى حد بعيد - من الناحية المعجمية (أى أنها تختلف في البنية المعجمية) فيما يتعلق بالمعنى والدلالة الذاتية ، ولنتناول تباعاً كل نقطة على حدة .

فبعض المفردات في اللغة الإنجليزية وفي لغات أخرى تشير في الواقع إلى أنواع طبيعية (وذلك مثل أصناف الكائنات الحية ، والمواد الطبيعية) مثل « بقرة » ، و « رجل » ، و « ذهب » ، و « شجرة ليمون » ... الخ ، ولا تشير الأغلبية العظمى من الكلمات إلى مثل ذلك ، وأكثر من ذلك - وهي نقطة حاسمة - فإن المفردات التي تشير إلى الأنواع الطبيعية تفعل ذلك بصورة مرضية غير مباشرة إن جاز التعبير ، وبعد ذلك بصفة عامة فوارق هامة من الناحية الثقافية فيما بين أصناف الكينونات ، وكتلة المادة المتجانسة إلى حد ما وذلك مثل الماء ، والصخر ، والذهب التي تحدد البنية المعجمية للغات ، وهي فوارق قد تتوافق أو لا تتوافق مع الحدود الطبيعية ، فعلى سبيل المثال - تبعاً لبلومفيلد ذي الاتجاه التجريبي القوي - الكلمة الإنجليزية salt تشير بصورة مألوفة إلى كلوريد الصوديوم (NaCl) ، ومن المسلم به أن هذه هي دلالتها الذاتية وإن لم تكن كامل معناها ، وأن كلوريد الصوديوم مادة توجد بصورة طبيعية ، ولا يرجع ذلك إلا إلى الدور المميز الذي يلعبه الملح في ثقافتنا (وبسبب أنه لدينا دائماً مناسبة لأن نشير إليه) إذ إن لكلمة « ملح » الدلالة الذاتية التي لها ، وحقيقة أن « ملح » يشير إلى مادة طبيعية نظرة لاتنصل باللغة .

وفيما يتعلق بعدم التماثل المعجمي فإن أكثر اختبارات مفردات اللغات الإنسانية اتصافاً بالسطحية تكشف سريعاً عن أن المفردات في لغة ما لا تميل إلى أن يكون لها نفس الدلالة الذاتية التي للمفردات في لغة أخرى فعلى سبيل المثال الكلمة اللاتينية « mus » تشير إلى كل من الثران والعِرْس (ولانذكر بعض الأصناف الأخرى من الحيوانات القارضة) ، والكلمة الفرنسية « sing » تشير إلى كل من الفوربلا والفردة وهلم جرا ، ويوجد بطبيعة الحال أمثلة

كثيرة من التكافؤ الدلالى الذاتى بين اللغات ، وبعض هذه الأمثلة نشأت نتيجة الانتشار المتافى من الناحية التاريخية ، وبعضها الآخر يفسره ثبات احتياجات واهتمامات إنسانية معينة عبر الثقافات ، ويمكن أن تُعزى أمثلة قليلة نسبياً إلى بنية العالم المادى كذلك ، وسيكون لدينا الكثير مما نقوله في هذا الموضوع فى الفصل العاشر .

وقد افتتن كثير من اللغويين فى السنوات الأخيرة بما يطلق عليه التحليل العنصرى للمعنى ، وبصفة خاصة بوجهة النظر التى تذهب إلى أن معنى كل المفردات فى كل اللغات مركبة من تصورات عامة متناهية الصغر يمكن تشبيهها بالملاح العامة المزعومة فى الفونولوجيا (انظر ٣ - ٥) ، ومن الواضح الآن مع ذلك أن عدداً قليلاً للغاية من مكونات المعنى التى يستشهد بها عادة فى هذا الموضوع عامة حقاً ، وأكثر من ذلك فإن عدداً قليلاً نسبياً من المفردات مرشحة بصورة مقبولة للتحليل العنصرى ، ونستطيع فى معظمها أن نمثل بعض المعانى الخاصة ببعض المفردات من خلال ما يمكن أن يكون مكونات دلالية عامة ، فعلى سبيل المثال حسب الافتراض المعقول الذى يذهب إلى أن [إنسان] ، و [مؤنث] ، وربما [بالغ] مكونات عامة للمعنى يمكن أن تحمل « امرأة » إلى المجموعة : { [إنسان] ، [أنثى] ، [بالغ] } ، و « رجل » إلى المجموعة . { [إنسان] ، [غير أنثى] ، [بالغ] } ، وبنت إلى المجموعة : { [إنسان] ، [أنثى] ، [غير بالغ] } ، و « ولد » إلى المجموعة : { [إنسان] ، [غير أنثى] ، [غير بالغ] } ، وقليل من للتدبر يظهر أن هذا التحليل ترك بلا تفسير حقيقة أن العلاقة بين « بنت » و « امرأة » فى معظم السياقات تختلف عن العلاقة التى تربط بين « ولد » و « رجل » .

وقد تبين من قبل أثناء مناقشة تعدد المعنى أن ارتباط المعنى بشئ نسبي ،

وهو ما ينطبق في الواقع على جانب المعنى الوصفي (sense) ، لكننا لانستطيع أن نتعرف بصورة مفيدة على مختلف أنواع علاقات المعنى في مفردات اللغات الإنسانية كلها ، ويمكن بصفة خاصة أن نتعرف على ما يعرف بشكل تقليدي بالتضاد (الضد في المعنى) ، وما يشار إليه في هذه الأيام عموماً بالعموم والخصوص ، ويوجد في الواقع أنواع عديدة للتضاد في المعنى يمكن التمييز بينها (انظر : أعزب / متزوج ، وحسن / سيئ ، وبعل / زوج ، وفوق / تحت ... إلخ) ، ومصطلح « التضاد » يمكن أن يأخذ تفسيراً أوسع وأضيق ، وببعض المؤلفين يوسعون هذا المصطلح ليعطى كل أنواع عدم التكافؤ في المعنى فيذهبون على سبيل المثال إلى أن أحمر ، وأزرق ، وأبيض ... الخ متضادات ، ومهما كانت المصطلحات التي نستخدمها ، ومهما كان تحديدنا لمصطلح تضاد ، واسعاً أو ضيقاً فإن النقطة الهامة من الناحية النظرية أن عدم التكافؤ وعلى الأخص التضاد في المعنى من العلاقات البنائية الأساسية في مفردات اللغات الإنسانية ، وتستوى معها علاقة العموم والخصوص (والمصطلح حديث لكن ما يشير إليه يعرفه منذ فترة طويلة المصنفون والمناطقية واللغويون) أى تلك العلاقة التي تربط بين مفردة أكثر عمومية وأخرى أكثر خصوصية (تربط بين التوليب والورد ... الخ والزهور ، وتربط بين الصدق والنقاء ... الخ والفضيلة وهلم جرا .

والتضاد ، والعموم والخصوص علاقتان استبداليتان للمعنى ، والعلاقات اللفظية التي تربط بين المفردات ليست أقل أهمية (انظر ٣ - ٦) كذلك العلاقة التي تربط بين « يأكل » ، و « الطام » ، وبين « أشقر » ، و « شعر » وبين « يركل » ، و « قدم » وهلم جرا ، وعلاقات المعنى الاستبدالية واللفظية (بمختلف أنواعها) تقدم لمجالات معجمية معينة بنيتها الدلالية الخاصة ، ومن

للممكن عادة أن نحدد مجالات دلالية عبر اللغات (وذلك مثل مجال الألوان ،
ومجال القرابة ، ومجال الأثاث ، ومجال الطعام) وأن نثبت أن المجالات ليست
متماثلة ، وفي السنوات الأخيرة استرشدت بحوث دلالية كثيرة بالمبدأ الذى
يذهب إلى أن معنى المفردة تحددها شبكة العلاقات الاستبدالية والأفقية التى
تربط المفردة موضع البحث بجيرانها فى المجال المعجمى الواحد ، والآراء
النظرية لمن أطلق عليهم أصحاب نظرية المجال (مثل أولئك الذين يقومون
بعملية التحليل العناصرى) عادة ما تكون موضع خلاف فلسفى أو غير قابلة
للتصديق إلى درجة كبيرة ، لكن النتائج التجريبية التى حصلوا عليها هم ومن
تابعهم طورت فهمنا للبلية المعجمية بغير حدود .

وكان لنا كيدم على الأولوية للمنطقية للعلاقات البنيوية فى تحديد معنى
للمفردة أهمية خاصة ، فبدلاً من القول بأن مفردتين مترادفتان من الناحية
الوصفية لأن كل منهما له معنى كذا وكذا وأن المعنيين متطابقان فإنهم
سيقولون إن ترادف المفردتين جزء من معنهما ، وبالمثل فيما يتصل بالتضاد ،
والعموم والخصوص ، وفيما يتصل بسائر علاقات المعنى الاستبدالية والأفقية
ذات الصلة ، فنحن - لكي نعرف المفردة يجب أن نعرف علاقات المعنى العديدة
التي تربطها بغيرها .

وهذا العرض كما سنرى فيما بعد فى الأقسام التالية - يتطلب تكملة ، فليست
المفردات وحدها هى التى قد يكون لها معنى وصفى (sense) بل إن التعبيرات
التي تتركب من أكثر من مفردة واحدة قد يكون لها معنى وصفى أيضاً ،
والعلاقات الأفقية والاستبدالية الواحدة تربط المفردة والتعبيرة غير المفردة
(الأكثر تعقيداً) أو بين تعبيرتين أكثر تعقيداً كما تربط بين مفردتين ،
ويبدو أنه من للعقول أن نقول إن معرفة معنى مفردة يتضمن أيضاً معرفة

كيفية ارتباطها بالتعبيرات غير المعجمية ، فعلى سبيل المثال معرفة أن
 spinster . (آسة) معناها « unmarried woman » (للمرأة غير
 للزوجة) أو ربما كانت بمعنى « woman who has never been married »
 (المرأة التي لم تتزوج من قبل) ، ومن الواضح أن المرء لا يستطيع أن تكون
 لديه تلك المعرفة الإضافية دون أن يعرف أيضاً القوانين النحوية للغة وما تسهم
 به - إن كان هناك ما تسهم به - في صياغة معنى التعبيرات المعقدة من الناحية
 النظامية ، ومن أوجه النقص التي تعانيها كثير من الأعمال المبكرة في
 الدراسات الدلالية أنها لم تحصر نفسها لحسب في البنية المعجمية لسكنها فشلت
 في إدراك أن معنى المفردات لا يمكن وصفه وصفاً مناسباً إذا لم نضع في حسابنا
 كذلك علاقات المعنى التي تربط بين المفردات والتعبيرات الأكثر تعقيداً .

رابعاً : الدلالة والنحو

معنى جملة ما حاصل كلا المعنيين المعجمي والنحوي أى معنى المفردات
 المكونة للجملة ، ومعنى الابنية النحوية التي تربط مفردة بأخرى من الناحية
 اللفظية (انظر ٥ - ١) ، ومصطلح « نحو » ، ومصطلح « نحوى » يذكرنا
 بأنهما مستخدمان بالمعنى الضيق خلال هذا الكتاب (انظر ٤ - ١) .

ويتضح المعنى النحوي بمقارنة أزواج الجمل التي تشبه مايلي :

1 - The dog bit the postman الكلب أمسك بالبريد

2 - The postman bit the dog . ساهى البريد أمسك بالكلب .

فهاتان الجملتان مختلفتان في المعنى لكن هذا الاختلاف لا يمكن أن يعزى إلى أى
 مفردة من المفردات المكونة للجملتين كما هو الأمر في الاختلاف بين (1) ، و(3)

3 - The dog bit the journalist الكلب أمسك بالصحفي

أو بين (2) ، و (4) .

4 — The postman pacified the dog ساهى البريد ربت على الكلب
والاختلاف الدلالى بين (1) ، و (2) يفسره تقليدياً القول بأنه فى (1) تكون
(The dog) فاعل ، و (postman) مفعول به ، بينما فى (2) تكون الأدوار
النحوية مفعكسة .

والاختلاف الدلالى بين (1) ، و (2) اختلاف فى المعنى الوصفى أى يمكن
تفسيره — كما سنرى فيما بعد — من خلال شرط الصدق الخاص بها (انظر ٥ - ٦) ،
ومع ذلك فإن المعنى النحوى ليس بالضرورة معنى وصفياً ، فالجملتان الخبرية
والاستفهامية المتناظرتان (1) ، و (5) .

5 — Did the dog bite the postman ?

يمكن أن يقال بشكل مفعول إن لهما معنى وصفياً واحداً لكليهما تختلفان
فى بعد آخر ، وهذا البعد الآخر هو ما سناقشه فى القسم الذى خصصناه
للعلاقة التى تربط بين الجمل والأقوال (٥ - ٥) ، ويمكن أن تندرج الحالة
تحت المعنيين التعبيرى والاجتماعى وتوجد اختلافات نحوية أخرى بين الجمل
التي ترتبط بعلاقة متبادلة مع اختلافات المعنى غير الوصفى .

فعلى سبيل المثال تؤدي رتبة الكلمة وظيفة تعبيرية فى لغات كثيرة ،
وتحدد أيضاً — فى حالات معينة — اختيار (صيغة من صيغ الأفعال) دون أخرى
(وذلك على سبيل المثال صيغة الشرط أو التمنى أو الدعاء بخلاف الصيغة الخبرية
فى أبنية معينة فى اللغة الفرنسية ، واللغة الألمانية ، واللغة الأسبانية) وفيما يتصل
بالمعنى الاجتماعى فمن المعروف جيداً أن معظم اللغات الأوروبية — رغم أن اللغة
الإنجليزية النموذجية ليست كذلك — تفرض على مستخدميها أن يميزوا بين
ضميرى الخطاب (فى اللغة الفرنسية « vous » و « tu » ، وفى اللغة الألمانية

« sie » ، و « du » ، وفي اللغة الأسبانية « used » ، « tu » ، وفي اللغة الروسية « vy » ، « ty » . الخ) ، وأن استخدام أحدهما دون الآخر تحدده - جزئيا - الأدوار والعلاقات الاجتماعية (انظر ١٠-٤) ، واستخدام ضمير دون آخر يرتبط في كل حالة بعلاقة متبادلة مع اختلاف العدد (الأفراد في مقابل الجمع) أو الشخص (المحاطب في مقابل الغائب) ، وهذا الاختلاف النحوي يمكن أن يكون الاختلاف الوحيد بين جملتين لهما معنى وصف واحد ، ويوجد كذلك في لغات كثيرة ما يطلق عليه اسم ضمير الجمع للمتكلم المعظم وهو ما مثله في اللغة الإنجليزية الجملة رقم (6) .

6 — we have enjoyed ourselves

التي تختلف في المعنى الوصفي عن رقم (7) .

7 — we have enjoyed ourselves

وتختلف كما تعلمنا على ذلك الملكية فيكتوريا — (انظر :

“we are not amused”) عن (8)

8 — we have enjoyed myself

في كل من المعنيين التعبيري والاجتماعي ، وسيقال للزبد عن وسيلة نقل للمعنيين التعبيري والاجتماعي في الفصول الأخيرة ، وما يهمني هنا أن أؤكد على أن الاختلاف بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي لا يتطابق مع الاختلاف بين المعنى الوصفي والمعنى اللاوصفي .

ويقتد الاختلاف بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي - من حيث المبدأ - على الاختلاف بين المفردات (أو المعجم) والنحو ، وحق الآن كفا نتعامل وفق الافتراض الذي يذهب إلى أن هذا الاختلاف واضح المعالم ، لكن الأمر ليس كذلك ، ويرسم اللغويون أحيانا طرقا بين كلمات تامة تنتمي إلى معظم أقسام الكلام (الأسماء ، والأفعال ، والصوات ، والأحوال) ، وكلمات معروفة بالكلمات الوظيفية يختلف أنواعها تشمل أداة التعريف (the) ،

وحروف الجر (for ، at ، of ... الخ) ، وأدوات الربط (but ، and .. الخ) ، وأداة النفي (not) (ليبينوا الفارق المميز بينهما من اللغة الإنجليزية ، وتميز مثل هذه الكلمات الوظيفية بأنها تنسب إلى أصناف تتكون من مجموعة أفراد قليلة العدد ، ويميل توزيعها إلى أن تحدده القوانين النظامية للغة لتحديد أقوى إلى حد بعيد ، وتلعب عادة الدور الذي يؤديه التنوع التصريفي في لغات أخرى ، فعلى سبيل المثال (for) في (for three days) في مقابل (in) في (in three days) يمكن مقارنته من الناحية الدلالية مع استخدام حالة للمفعولية دون حالة الأبلتية^(١) في اللغة اللاتينية (res dies : tribus diebus) ومما هو مقبول — بصفة هامة — أن الكلمات الوظيفية أقل اتصافاً بالمعجمية النامة من الأسماء ، والأفعال ، والصفات ، والظروف ، وأكثر من ذلك فإن بعض الكلمات الوظيفية أكثر اتصافاً بالمعجمية من بعضها الآخر ، وفي حالات محدودة لا يمكن للكلمة الوظيفية إلا أن ترد في تركيب نظمي معين دون أن يكون لها معنى معجمي هلى الإطلاق : لاحظ (to) في (He wants to) (go ، أو of في (three pounds of butter) ، لكن بين الحالات المحدودة للكلمات النحوية البهتة غير ذات المعنى للمعجمي من ناحية والمفردات النامة من الناحية الأخرى توجد كثير من الأنواع الفرعية للكلمات الوظيفية التي تسهم — دون أن تكون مفردات تامة — إلى حد ما في المعنى للمعجمي للجمل.

(١) الأبلتية (Ablative) مصطلح يوجد في اللغات التي تعبر عن علاقاتها النحوية عن طريق التصريف ، ويشير هذا المصطلح إلى الصيغة التي تأخذها الكلمة (تكون عادة اسماً أو ضميراً) التي تستخدم للتعبير عن المكان ، ولا توجد هذه الحالة التصريفية في اللغة العربية ولا في اللغة الإنجليزية بينما توجد في اللغة اللاتينية .

التي تذكر فيها ، وما يشار إليه هنا باعتباره اختلاف بين الكلمات النامة والكلمات الوظيفية يناظره في النحو المؤسس على المورفيم الاختلاف بين اللورفيئات النحوية وللورفيئات المعجمية (انظر ٤ — ٣) .

وبناء على ما قيل الآن حول صعوبة وضع فارق حاسم بين نحو لغة ما ومفرداتها فما يمكن أن نؤكد عليه باعتباره قضية نظرية هامة أن ما يكون في إطار مفرداتي في لغة يمكن أن يكون في إطار نحوي في لغة أخرى فعلى سبيل المثال الفارق للمعجمي بين (Kill) و (die) في اللغة الإنجليزية (الذي يرتبط أيضاً بعلاقة متبادلة مع الاختلاف النحوي الخاص بالكافور (انظر ٤ — ٤) يناظره في لغات كثيرة أخرى الفارق النحوي بين الفعل المتعدي والفعل غير المتعدي المناظر له ، أو مرة أخرى فإن ما يمكن أن تنقله بعض اللغات عن طريق الفصيصة النحوية الخاصة بالزمن « وذلك مثل الماضي في مقابل المضارع » يجب أن تنقله لغات أخرى بدون زمن عن طريق مفردات معناها لنقل « في الماضي » في مقابل « الآن » ، وهذان المثالان — مع ذلك — يكشفان عن نقطة إضافية يجب أن تشار عند وصف الأساس الذي يكون الفارق الدلالي الواحد وفقاً له إما معجمياً أو نحوياً .

ومعنى المفردات كما رأينا من قبل يتجه إلى أن يكون غير محدد بدرجة أو بأخرى (انظر ٥ — ٢) ، لكن حق المعنى المرتبط بالميزات التي تقع في إطار فصائل نحوية مثل السببية ، والزمن ، وصيغة الفعل . . . الخ أكثر انصافاً بعدم التحديد ، ونتيجة لذلك فمن المعتاد أن يكون من الصعوبة البالغة أن نقرر ما إذا كان فارق معجمي في لغة ما مكافئاً دلالياً دقيقاً لفارق نحوي في لغة أخرى ، والصيغ السببية للفعل التركي "olmek" (يموت) تستخدم بشكل عام لترجمة الفعل الإنجليزي (Kill) لكن المرء يمكن أن يشبث أنهما

ليساً بمعنى واحد دلي نحو دقيق كما يمكن أن يثبت المرء أن التعبير الإنجليزى المعقد من الناحية المعجمية (cause to die) يختلف عن المفردة (Kill) ، وفيما يتصل بالمعنى فماله مغزاه أن أحداً لم ينجح في تقديم تفسير مرض عن معنى الأزمنة^(١) (التى تحدد تحديداً تقليدياً من خلال مصطلحات مثل « الماضى » ، و « الحاضر » ، و « المستقبل ») فى اللغة الإنجليزية أو أى لغة مدروسة دراسة جيدة ، والزمن - من بين الفصائل النحوية التقليدية - يبدو من الوهلة الأولى أكثرها سهولة من حيث إمكانية تحديده من وجهة نظر دلالية ، وقد ذكر من قبل أن هناك بلا شك أساس دلالى للتمييز بين أقسام الكلام ، والفصائل النحوية (انظر ٤ - ٣) .

وإذا سلطنا بذلك فيجب أن نسلم أيضاً بأن طبيعة العلاقة المتبادلة بين البنية النحوية والبنية الدلالية من الصعوبة البالغة أن نوضحها فيما يتصل بهذه الناحية ، وعلى وجه العموم كلما درست لغة ما أكثر كلما ظهر تعقيد هذه العلاقة أكثر ، ومن الأفضل أن يضع المرء هذه النقطة فى الاعتبار عندما يقرأ تفسيرات لمعنى الفصائل النحوية فى لغات غير مدروسة دراسة جيدة ، وكل المسميات التقليدية للفصائل النحوية فى اللغات الأوربية المشهورة - تقريباً - ملبسة ، فالزمن الماضى لا يشير بالضرورة إلى الوقت الماضى ، والمفرد يستخدم على نطاق أوسع مما يوحي به المصطلح ، وصيغة المطلب

(١) شكلت مسألة الزمن على الدوام قضية محورية أثارت قدراً كبيراً من الجدل بين الفلاسفة حيث ذهب بعضهم إلى أن الزمن أمر حقيقى بينما ذهب آخرون إلى أن الواقع يتخلو من الزمن وأن الزمن مضاف من فهمنا على الواقع ، ولا يشكل الزمن برأى العلم جزءاً من العالم المادى بل هو فكرة يفترضها الفهم كعلاقة بين الأشياء .

تستخدم في أبنية كثيرة لا علاقة لها بالأوامر وهلم جرا ، وليس هناك سبب للاعتقاد في أن الموقف يختلف بأي شكل من الأشكال فيما يتعلق بالمسميات التي يستخدمها اللغويون في الوصف النحوي للغات أخرى .

ولنتناول الآن باختصار جانبا آخر من العلاقة بين الدلالة والنحو : قضية إفادة المعنى والصواب النحوي ، وقد ذكرنا من قبل أن هاتين الخاصيتين للجملة لا يجب أن تكونا متعاقبتين (انظر ٤ - ٢) ، وفي أحوال كثيرة لا يكون الإعلان عن مبدأ عام أسهل من تطبيقه ، وتوجد عوامل عديدة معقدة ، فليس كل شيء موضع قانون نحوي يبدو هكذا من الوهلة الأولى ، فعلى صيبل المثال اللغة الإنجليزية بخلاف ما يكون عادة لا تشمل على فصيلة نحوية خاصة بالجنس ، وما يوصف بشكل عام على أنه موافقة جنسية في اللغة الإنجليزية لا يعتمد - بقدر ما يلقى الرجوع إلى الكائنات الإنسانية البالغة من اهتمام - إلا على الجنس الذي يعزى إليه المقصود بالكلمة (أى إلى السكبان المشار إليه انظر ٥ - ٥) في وقت النطق بواسطة المتكلم ، (والجنس المعنى في الحياة الواقعية الخاصة بالمقصود بالكلمة غير ذي صلة من حيث المبدأ ، وإذا أخطأت رجلا فجعلته امرأة أو أخطأت امرأة فجعلتها رجلا ، واستخدمت ضميرا خطأ للإشارة إليه أو إليها فلن أفنتك نتيجة ذلك أى قانون في اللغة الإنجليزية) جملة مثل :

9 - My brother had a pain in her stomach

يمكن أن تبدو على نحو معاكس لما ذكرناه منذ لحظات حول ما يعرف بالتوافق في النوع ، لكن (٩) ليست شاذة من الناحية النظامية ولا من الناحية الدلالية فعلى صيبل المثال إذا عرف (أو باستخدام الكلام على نحو دقيق إذا علم) من أن ص فتاة ، وأنها تلعب دور الزميل له في مرحلة فإن

(٩) تكون جملة يمكن أن يكون من المقبول تماماً أن ينطق بها س ، وما يقبل المناقشة أن هذه الجملة يمكن أن تختلف في المعنى عن :

“My brother had a pain in his stomach”

إذا ما قيلت في ظروف مماثلة ، ولكن ذلك وضع آخر ، ويمكن أيضاً أن يكون من المناسب لـ س أن ينطق بالجملة (٩) إذا كان ص متغير من الناحية الجنسية : الارتياح في الحقائق ، قبول س الموقف . . . الخ يفترض أن يحدد بشكل مسبق ملائمة (٩) أو عدم ملائمتها ، واختلافها فيما يتعلق بأناس مختلفين ، وعلى الجانب الآخر فإن :

(10) He had a pain in her stomach

شاذة شذوذاً لا شك فيه ، لكنها لا تنتهك أى قانون من القوانين النظامية البحتة في اللغة الإنجليزية ، وفي الواقع يمكن للمرء أن يثبت على نحو معقول أنها أيضاً جملة صحيحة التركيب من الناحية الدلالية ، والغرابية في (10) أن القول فيها يتضمن - بافتراض أن he ، و her تشير إلى شخص واحد - أن القول فيها يتضمن تناقضاً (أو تغييراً ذهنياً في سياق القول) لدى المتكلم ، وممة قضية أخرى هامة تنشأ هنا - الاختلاف بين صحة التركيب الدلالي والملائمة السياقية ، وسوف نعود إلى هذه القضية عند مناقشتنا للملاقة بين معنى الجملة ، ومعنى القول ، وقد قدمنا مثالا واحداً لتوضيح قضية أن سلاسل الكلمات التي يقال عموماً إنها تنتهك قوانين نحوية للغة من اللغات يمكن في الحقيقة أن تكون جملاً صحيحة التركيب من الناحيتين النحوية والدلالية ، ويمكن تقديم أمثلة أخرى كثيرة بلا حدود تشتمل على أمثلة عديدة مأخوذة من أعمال حديثة في الدلالة والنحو تبدو عجلة مؤلفيها إلى حد ما في نعتهم لسلاسل الكلمات التي استشهدوا بها بعدم الصحة النحوية .

وهناك عامل معتد يتصل بقضية الفصل فيما إذا كانت مصاحبة معينة شاذة « أى مجموعة مفردات مترابطة من الناحية النحوية » يرجع شذوذها إلى معنى المفردات المكونة والأبنية النحوية التى تجمع هذه المفردات الواحدة بالأخرى أو إلى أسباب أخرى ، فعلى سبيل المثال : (the blond (— haired boy ، و (٢) "the bay (coloured) horse" من المصاحبات المعتادة ، بينما "the blond horse" و (٣) "the bay (— haired, coloured) boy" ليست كذلك ، هل يرجع ذلك إلى معنى - أو بالأخص المعنى الوصفى والدلالة الذاتية - لكلمتي "bay" ، و "blond" ، فحقى لو كان شعر شخص ما باللون البنى المائل إلى الحمرة مثله فى ذلك مثل جلد فرس كميث اللون (bay) فإننا بكل تأكيد لن نستخدم المفردة (bay) فى وصفه أو وصف شعره ، وبالعكس إذا كان شعر رأس حصان ما أو جلده يكافئ تماماً لون شعر شخص أشقر (blond) فإننا سنظل نمانع فى أن ننسب إليه الصفة "blond" مريض المناقشة التى فى الفرس ، والقصد أن هناك مفردات كثيرة للغاية فى كل اللغات لها معان لا يمكن أن تعد مستقلة تماماً عن المصاحبات التى ترد فيها بشكل أكثر تمييزاً . والملاذ الأخير أن يكون الفارق بين اتجاه المصاحبة والقانون النحوى من المستحيل أن يظهر شيئاً سوى العشوائية .

وفى النهاية هناك مشكلة عامة عاناها لغويون كثيرون ، واحترار بها فلاسفة فترة طويلة تتعلق برسم الحدود بين المحددات اللغوية والمحددات غير اللغوية للصواب النحوى ، ويصوغ القضية عادة أولئك الذين يؤيدون الأفكار

(٢) الولد الأشقر الشعر

(٣) الحصان كميث اللون

التوليدية عن طريق وضع فارق مميز بين معرفة اللغة ومعرفة العالم أو فيا يمكن إثبات أنه إساءة لاستعمال فارق تقنى مفيد بين القدرة والأداء (انظر ٧ - ٤) ، فعلى سبيل المثال يمكن أن نفترض أن سلسلة الكلمات التالية (مع منحني تطريزي مناسب مركب عليها) :

(11) The president of the united states has just elapsed

يحكم عليها معظم متكلمي اللغة الإنجليزية بأن لا معنى لها ، لكن هل هي عملية التركيب من الناحية النحوية ؟ وإذا كان الأمر كذلك فإن عدم صوابها النحوي يتضح بسهولة من خلال تكافؤ « elapse »^(١) ، والفعل « elapse » يمكن أن نقول إنه واحد من صنف معين من الأفعال اللازمة التي يجب أن يكون المسند إليه معها متعلقاً بالزمن مثل سنة ، شهر ، يوم ، قرن . . . الخ .

وإذا كانت (11) تنتهك هذا القانون المفترض ومن ثم لا تكون جملة إنجليزية متفقة مع القواعد النحوية فإن الجملة (12)

12— Three presidents have elapsed and nothing has changed

يجب ألا تكون جملة كذلك ، غير أن (12) لا يمكن تفسيرها بشكل مؤكد ، وبطبيعة الحال يمكن إثبات أنه لكي نفسرها - أو نقدم معني لها - علينا أن نأخذ كلمة « president » أو كلمة « elapse » بمعناها غير الحرفي أو المجازي ، وربما كانت أكثر التفسيرات وضوحاً أن نأخذ كلمة « president »^(٢)

(١) انقضى .

(٢) رئيس .

بمعنى « presidency »^(١) (انظر : three president later . . . الخ) ،
 الأمر الذى يعده النحاة ذوا الاتجاه التقليدى إما مجازاً مرسلأ أو كناية ،
 والمصطلحان قليلا الاستعمال فى هذه الأيام ، والإطار المقدم لما يعرف بالصور
 البيانية (مثل التصنيف التقليدى لأجزاء الكلام) يكشف عن كل أنواع النقد
 المفصل ، والقضية إذن هى حقيقة أننا نستطيع بسهولة أن نفسر (١٢) اعتماداً على
 فهمنا للاعتماد المتبادل لمعنى elapse وتكافؤها النحوى ، وما إذا كانت
 (١١) ، و (١٢) مطابقتين للقواعد النحوية أم لا لا يتهدى كونه حكماً نظرياً أو
 منهجياً ، ونستطيع إذا قررنا أن نعدهما جملتين مطابقتين للقواعد النحوية أن
 نستمر فى توضيح حالتيهما الشاذتين ، وإمكانية تفسير (١٢) أكثر سهولة من
 تفسير (١١) على الأساس الدلالى .

والطريقة التى ترتبط بها البنية النحوية للغات معينة ولغة عموماً بالعالم
 قضية فلسفية شاقة فى الواقع ، وسنعود إليها فى الفصل العاشر ، ولقد ذكرنا
 هذه القضية هنا بسبب ما تتضمنه فيما يتصل بالمالفة بين الدلالة والنحو ،
 وعموماً فإن اللغويين يميلون إلى الحديث بثقة كبيرة إلى حد ما عن الفارق بين
 للمعرفة اللغوية ، وللمعرفة غير اللغوية ، وأقل ما يقال عن كنه من سلاسل
 الكلمات التى تصنف باعتبارها غير صحيحة نحوياً أن عدم صحتها يقبل الأخذ
 والرد ، وثمة سلاسل أخرى مثل (١١) ، (١٢) يقال إن معناها غير حرفى وربما
 قيل أيضاً إنها غير مطابقة للقواعد النحوية وهى أمثلة مثيرة للاهتمام من الناحية
 النظرية ، لكن الكنه من سلاسل الكلمات التى استشهدت بها للمقالات
 والكتب الأساسية لا يحوم شك حول صحتها النحوية والهلالية رغم ما قاله
 عنها مؤلفو تلك المقالات والكتب .

وقد بدأنا هذا القسم بقولنا إن معنى جملة ما محصلة المعنيين المعجمي والنحوي ، ونرى الآن أنه على الرغم من وجود فارق مميز بين هذين النوعين من المعنى في حالات واضحة فإن الحدود بينهما ليس من السهل دائماً تحديدها كما نريد أن تكون ، وقد رأينا أيضاً أن التمييز بين صفة إضافة للمعنى والصواب للنحوي للجمال بعيدة — لأسباب عديدة — عن القطع والحسم ، ولننظر الآن عن قرب فكرة معنى الجملة .

خامساً: معنى الجملة ومعنى القول

أول ما يجب عمله أن نضع فارقاً مميزاً بين معنى الجمل ومعنى الأقوال ، وكثير من الفنوين وللناطق الذين يتعاملون مع مصطلح دلالة بتفسير أضيق مما هو متعارف عليه في علم اللغة ومما نأخذ به في هذا الكتاب يذهبون إلى أنه بينما يقع معنى الجملة في مجال علم الدلالة فإن بحث معنى القول يعد جزءاً من البراكاتية^(١) « دراسة الأقوال الفعلية » (انظر ٥ - ٦) ، ويميل التوليديون النشومسكيون إلى المطابقة بين كل من الفارق للميز بين الجملة والقول ، والفارق

(١) البراكاتية : أحد أقسام ثلاث في الصيميوتية (علم الرموز) مع الدلالة ، ونظام الكلام . وينطبق المصطلح في علم اللغة على دراسة اللغة من وجهة نظر مستخدميه ، وعلى الأخص الاختيارات التي يقومون بها والقيود التي يواجهون بها عند استخدامهم لها في صلاتهم الاجتماعية ، وتأثير استخدامهم للغة فيمن يشاركونهم عملية الاتصال ، ويرى بعض الدالين الآن أن البراكاتية تقابل علم الدلالة المتصفة بشروط الصدق ويفترض أن الصعوبات التي تنشأ فيما يتعلق بالثاني (مثل كيفية معالجة مفهوم الافتراض المتقدم - لاحقاً) تكون أكثر سهولة من حيث قابلية الشرح والتفسير إذا ما جعنا إلى الأول .

المميز بين الدلالة ودراسة الأقوال الفعلية من ناحية ، والقدرة والأداء من ناحية أخرى (انظر ٧ - ٤) .

ويتفق الذين يميزون بين الجمل والأقوال - بشكل عام - على أن الأولى بخلاف الثانية كيانات تجريدية مستقلة عن السياق أى أنها لا ترتبط بزمان معين أو مكان معين فهم وحدات فى النظام اللغوى الذى تنتمى إليه ، ولا يكون منيراً للاعتراض بقدر ما يتسع ذلك ، ومصطلح قول (utterance) - لسوء الحظ - (مثل كلمات إنجليزية أخرى كثيرة مشابهة لها من الناحية النحوية) ملبس فهو قد يستخدم ليشير إلى النشاط ذاته أو إلى نتاج هذا النشاط أى الجانب من السلوك اللغوى أو للعلامة التى يمكن تفسيرها واتى أنتجها الجانب السلوكى موضع للملاحظة ، وتحرر من للرسل إلى المستقبل عبر قناة الاتصال (انظر ١ - ٥) ، وليس هناك من يخلط الجمل بأنشطة القول ، لكن من السهولة التامة أن تتطابق الجمل سواء أكان ذلك بغير قصد أم لا مع ما نطقه ، وفى الواقع هناك معنى معناه تماماً لمصطلح (جملة) نجعل فيه ذلك مطرداً فى هلاقتنا اليومية باللغة ، فعلى سبيل المثال يمكن أن نقول إن الفقرة الأولى فى هذا القسم تتركب من ثلاث جمل^(١) وبهذا المعنى تكون الجمل إما أقوالاً (وينتجها مصطلح قول إلى أن يغطى كلا من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة) أو أجزاء متصلة لقول مفرد ، وبهذا المعنى أى كون جملة ما هو ما نطقه تكون الجمل - بشكل واضح إلى درجة ما - معتمدة على السياق ، لكن من الممكن أيضاً تكرارها فى أوقات مختلفة وفى أماكن مختلفة ، والاعتماد على السياق لا يتضمن - بناء على ما سبق - تفرداً زمانياً مكانياً أو تجريداً أى أنه لا يرتبط بزمان ومكان معين ، ولا يتضمن استقلالاً سياقياً تاماً .

وهناك نقطة إضافية فكثير من أقوال (أئى الأتوال المُنْتَجَة) الحديث
اليومى وربما معظمها ليست جملا تامة لكنها بشكل أو بآخر جمل موجزة ،
فعلى سبيل المثال :

(1) Next Friday , if I can manage it .

(2) How about peter's ?

(3) You'll just have to , won't you ?

نماذج لما يصفه معظم اللغويين (مثل النحوى التقليدى) باعتبارها جملا ناقصة
أو موجزة ، ومعانى هذه الجمل هى نفس معانى الجمل التامة التى يمكن أن يقال
إنها قد اشتقت منها فى مناسبات معينة من القول .

ولن نتمق فى مشكلات ارتباط جمل نظام لغوى ما بالأقوال الفعلية
والكاملة واستطيع إذا ما تسامحنا بشأن التعقيدات التى ذكرناها آنفا أن
نقول إن معنى القول محصلة معنى الجملة والسياق ، وعموما فإن معنى قول ما أكثر
نراء من معنى الجملة (أو الجمل) التى اشتقت منه .

وفى الوقت ذاته يجب أن ندرك تماما أن للتكلمين الأصليين لغة ما ليس
لديهم وسيلة للاقتراب - قدر علمنا - من معنى الوحدات التجريدية غير ذات
الصلة بالسياق للوجود فى النظام اللغوى التى يسميها اللغويون جملا ، والجمل
بهذا المعنى - فى الواقع - يمكن ألا يكون لها شرعية سيكولوجية على الإطلاق ،
فهى أبنية نظرية فى علم اللغة وبصورة أدق فى النظرية النحوية العامة ، وعندما
نضع أمام التكلمين الأصليين ما لسميه جملا ونختبر ردود أفعالهم (« هل
هذه الجملة مقبولة ؟ » ، و « هل هذه الجملة لها معنى تلك الجملة نفسه »)
فإن ما نفعله فى الواقع أننا نطلب منهم أن يدلوا بحكم بدى أو مسبب على أقوال
كامنة ، ونستطيع - نحن اللغويين - أن نرسم فارقا مميذا بين معنى الجملة ،

ومعنى القول بأن نجرد الأول (معنى الجملة) وأن ننسب إلى الثاني (معنى القول) الجانب الذى لا يتعلق بالجملة وهو كل شيء يتعلق بالسياقات الخاصة بالقول مثل معتقدات أشخاص معينين ، ومواقفهم ، والإشارة إلى كيانات معينة فى المجتمع ، وتقاليده التعامل للذهب بين جماعات معينة وهم جرا ، لكن لا يوجد سبب يجعلنا نفترض أن متكلمى لغة ما يستطيعون فعل ذلك بفضل قدرتهم اللغوية ، فالقدرة اللغوية بمعنىها : « القدرة فى لغة ما » ، و « القدرة على اللغة » يحددها دائماً الأداء .

وقد رأينا أن أنواعا معينة من الجمل ترتبط بأنواع معينة من الأقوال فالجمل الخبرية ترتبط بالنصريحات والجمل الاستفهامية ترتبط بالأسئلة ... الخ ، وطبيعة هذه العلاقة يوضحها الاستشهاد بفكرة الاستخدام المميز ، ومن المسلم به - ومن الواجب أن يكون الأمر كذلك - أنه فى أى مناسبة مفترضة يمكن أن يستخدم المتكلم جملة على نحو غير مميز ليعنى شيئا ما يختلف - أويزيد - عن معنى ما يستخدم استخدامها مميزاً ، وهناك مع ذلك ارتباط جوهري بين معنى جملة ما واستخدامها المميز فعلى سبيل المثال يمكن أن تستخدم الجمل الخبرية استخدامها غير مباشر لتوجيه الأسئلة ، ولإصدار الأوامر ، ولنحو الوعود ، ولبيان مشاعر المتكلم ... الخ ، بيد أنه إذا كانت الجمل ذات البنية النحوية المعينة التى نسميها خبرية لا يشعر بأن المتكلمين للغة يربطون بينها وبين الحدث الكلامي الخاص بصياغة الأخبار - وهذه العلاقة الرابطة بين الشكل النحوي والوظيفة الاتصالية يؤسسها ويدعمها الاستخدام الهام -- فإن هذه الجمل المعينة لا تسمى جملا خبرية ، وأكثر من ذلك فإنها الاستخدام غير المميز لجملة ما يمكن توضيحه بشكل هام على أساس الاستخدام المميز ، ولناخذ مثالا مشهورا :

(4) It's cold in here^(١).

فهذه الجملة الشكل النحوي الخاص بالجملة الخبرية لكن قد يحسن استخدامها في ظروف مناسبة استعمالاً غير مميز وغير مباشر بدلاً من :

(5) Close the window (please)^(٢)

وذلك لحل المخاطب على عمل شيء ما أى على أنها توجيه ، وذلك لأن (4) تستخدم استعمالاً مميزاً لصياغة خبر ما ، وهذا الخبر يستطيع المخاطب أن يفسره وأن يستنتج منه على ضوء العوامل السياقية المصاحبة له أنه من الممكن أن يستخدم كذلك عند الاقتضاء استعمالاً غير مميز وغير مباشر .

ويجب أن نؤكد أن الاستخدام المميز لا يعنى الاستخدام الأكثر تكراراً كما أن فكرة الاستخدام المميز لا ترتبط - من حيث المبدأ - بالجل الفردية بل بجميع أصناف الجمل ذات البنية النحوية الواحدة ، وتستخدم جمل كثيرة جداً استعمالاً غير مميز وغير مباشر بصورة عظيمة التكرار في السلوك اللغوي اليومي فعلى سبيل المثال :

(6) Can you tell me the time?^(٣)

تذكر على الأرجح كطلب أكثر من أن تكون سؤالاً ، وإذا استجاب المخاطب بقوله : نعم دون أن يشرح في الاستجابة للطلب فهو حينئذ يحاول أن يدفع عن نفسه تهمة الخشونة أو السلوك الفعلي الغريب عن طريق محاولة إثبات أن لديه إجابة على السؤال ، ويمكن أن يكون بشكل معقول متهما بالحرفية ، ويمكن أن يكون قد تلقى القول بصورة غير مناسبة بهناه الحرفى أى بالمعنى الذى يحدده

(١) الجو بارد هنا .

(٢) أغلق الشباك من فضلك .

(٣) هل يمكنك أن تخبرنى ما الوقت؟

الاستخدام المميز لجمل ذات بنية نحوية معينة (وبذلك يبدو بشكل واضح أنها استفهامية) .

والحقيقة الفعلية أن الحرفية موجودة كظاهرة يمكن تعيينها (وتستحق التوبيخ من الناحية الاجتماعية) — وينزع الفلاسفة واللغويون إليها على المستوى المهني وتعد مبرراً لافتراض أفكار محددة نظرياً عن الاستخدام المميز والاستخدام غير المميز من ناحية ، والأحداث الكلامية المباشرة وغير المباشرة من ناحية أخرى ، لكن توجد أفكار نظرية ، ولا تفترض هذه الأفكار النظرية أنه في كل مناسبة وفي جميع المناسبات الخاصة بالاستخدام المميز — بمعناه الخاص هذا — الجملة ما يجب أن يقوم المخاطب بالاستنتاج التدرجي للمعنى المقصود قصداً غير مباشر أو المعنى غير الحرفي على أساس معناه الحرفي أو المباشر ، وتوجد درجات من عدم المباشرة فعلى سبيل المثال تنصف (4) بهذه الصفة أكثر من (6) من ناحية كونها طلباً وهي في حاجة إلى دعم سياقي أكثر حتى يؤخذ في الاعتبار أنها كذلك ، وكثير من الجمل — جزئياً أو كلياً — متعارف على معانيها التي يقصد إليها بصورة غير مباشرة فعلى سبيل المثال : Can you ... ? ، و would you mind ... ? (خلافاً لما يرادها إلى حد ما : Are you able to ... ? ، و would it trouble you to ... ?) متعارف عليها بدرجة عالية فيما يتصل باستخدامها في الطلب .

والنقطة التي أثبتت حول العلاقة الجوهرية بين معنى جملة ما واستخدامها المميز في الأقوال يمكن تعميمها ، ويُرمز بشكل عام لارق مميز بين المعنى المتأصل التعبير ما ، وما يعنيه المتكلم باستخدامه هذا التعبير (وفي الواقع هناك قوارق عديدة متصلة بهذه المسألة تشمل المعاني المترابطة للمصطلح « معنى » التي ناقشها الفلاسفة لكن هذا الفارق يكفي لفرضنا الحالي) ،

ويمكن للمتكلم في أى مناسبة أن يستخدم تعبيراً ما ليعنى به شيئاً يختلف عن معناه الذى يدل عليه بفضل المعنى المعجمى والنحوى ، بيد أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك دائماً ، كما أنه ليس حراً فى استخدام تعبير ما مع أى معنى يختار أن يعطيه إياه ، وإذا لم يصل إلى اتفاق مسبق إلى حد ما مع المخاطب حول التفسير المقصود للتعبير ، وما يعنيه به يجب أن يكون مرتبطاً بصورة نظامية بمعناه المتأصل ، ومعناه المتأصل يحدده استخدامه المميز ، ورغم أننا قد نرفض المطابقة المباشرة بين المعنى والاستخدام ، وانفس السبب الذى جعلنا نرفض المطابقة بين معنى الجملة ومعنى القول قد نرغب فى التأكيد على أن معنى التعبيرات والجملة يثبتته استخدامهما المميز ، وعلم الدلالة - على النحو المشار إليه - بمعناه الضيق ليس سابقاً من الناحية المنطقية على علم دراسة الأقوال الفعلية فكلاهما يعتمد على الآخر .

وحتى نختتم هذا القسم يجب أن يقال شئ ما عن العلاقة بين السكامة ومقصودها (reference) والحدوثية (deixis) ، وما يسهمان به فى معنى القول ، فالعلاقة بين الكلمة ومقصودها مثل الدلالة الذاتية (denotation) علاقة تربط بين التعبيرات والكيانات أو الصفات المميزة ، أو الأوضاع الموجودة فى العالم الخارجى (انظر ٥ - ٣) ، لكن هناك اختلاف هام بين الدلالة الذاتية والعلاقة بين الكلمة ومقصودها فالأخيرة بخلاف الأولى مقيدة بسياق القول ، فعلى سبيل المثال التعبير « تلك البقرة » يمكن أن يستخدم فى سياق مناسب ليشير إلى بقرة معينة - وهو المقصود بالكلمة ، ويمكن أن يستخدم فى سياقات مختلفة ليشير إلى بقر متنوع ، والعلاقة بين الكلمة ومقصودها فى أى سياق معين يحددها جزئياً المعنى الأصلى للكلمة (ويشمل الدلالة الذاتية لكلمة « بقرة ») ، ويحدده أيضاً جزئياً السياق الذى تنطق فيه ، والأغلبية العظمى من التعبيرات الإشارية فى اللغات الطبيعية معتمدة على السياق بطريقة أو

بأخرى ، وحتى أسماء الأعلام ليست ذات مدلول متفرد مستقل عن السياق ، وهذه الحقيقة منسية عادة :

والاعتماد على السياق في معظم التعبيرات الإشارية له نتيجة دلالية هامة إذ إن الظاهر الذي يحمله قول مايميل إلى التنوع وفق سياق القول فعلى سبيل المثال صديقي وصل لتوه (7) My friend has just arrived يمكن أن تستخدم لصياغة خبر عن أفراد مختلفين كـ « زهيرين » بلا حدود تبعاً لما تشير إليه (My friend) في سياقات معينة للقول ، وعندما نتكلم عن العلاقات الدلالية التي تربط بين الجمل بفضل محتواها الظهري فنحن نفعل ذلك وفق الافتراض العربيح أو الضمني الذي يذهب إلى أن مدلول كل التعبيرات الإشارية ثابت لا يتغير .

والتعبير الواحد لا يمكن أن يشير إلى كيانات مختلفة في مناسبات مختلفة فحسب بل قد تشير التعبيرات المختلفة إلى كيان واحد ، فعلى سبيل المثال الضمير « he » ، والعلم « جون » ، وأي عبارة وصفية من العبارات الكثيرة بلا حدود مثل « الرجل الذي يشرب المارتيني » ، و « بائع الثبن » ، و « بعل ماري » : . . الخ ، يمكن أن يكون لها مدلول واحد ، أو كما هو الحال في « my friend » في ظروف مناسبة ، وهذه الحقيقة يجب أيضاً أن تؤخذ في الاعتبار .

وبناء على ما تقدم فإن المدلول الكامن للتعبيرات لا يحدده معناها المتأصل والعوامل السياقية مثل الافتراضات التي يتقاسمها كل من المتكلم والمخاطب فحسب ولكن تحدده كذلك القوانين النحوية من ناحية ، والأعراف أو الاتجاهات الأسلوبية من ناحية أخرى ، وتمارس تلك القواعد والأعراف أو الاتجاهات الأسلوبية فعاليتها في إطار الجمل ، وعلى امتداد النص أو الكلام ،

وهذه القواعد والأعراف أو الاتجاهات بصفة خاصة (وليس من الواضح دائماً ما إذا كان ذلك وضعاً نحوياً أو أسلوبياً) تضبط ما أصبح يطلق عليه المدلول المشترك أى الإشارة إلى كيان واحد (أو مجموعة من الكيانات) بواسطة تعبيرات مختلفة أو الحدوث المختلف للتعبير الواحد فعلى سبيل المثال (٨) ، (٩)

(٨) My friend missed the train and he has just arrived

(٩) Since he missed the train , my friend has just arrived

فكل من (my friend) ، و (he) يمكن لكن ليس من الضروري - أن تكون ذات مدلول مشترك^(١) ، إلا أنه ليس من المعتاد أن تكون كل منهما ذات مدلول مشترك (بدون ملامح تطريزية وإيمائية إضافية خاصة) فى (١٠)

(١٠) He missed the train and my friend has just arrived

ومن المعتاد - وربما كان من الصواب - القول بأن وضع القانون النحوى يرتبط بالاختلاف بين الربط المتناسق^(٢)

(١) المدلول المشترك co-refer tial أو الاشتراك فى المدلول الإشارى (co-referentiality) مصطلح يستخدم فى علم اللغة وبصفة خاصة فى النحو التولىدى ليشير إلى الوحدات النحوية الموجودة فى جملة ما وتحمل مدلولاً واحداً فى الجملة (I said I would leave) تشترك الأولى I والثانية فى المدلول الإشارى ، وفى الجملة : (he said he would come) ليس من الواضح ما إذا كان هناك اشتراك فى المدلول الإشارى إذ إن ، he ، الثانية قد تشير إلى شخص آخر ، وقد تستخدم وسائل للتمييز بين الاحتمالين فى مثل هذه الجملة : he₁ said he₂ would come (اشتراك فى المدلول الإشارى) فى مقابل :

he₁ said he₂ would come عدم اشتراك فى المدلول الإشارى)

(٢) الربط المتناسق (co-ordination) مصطلح فى التحليل النحوى يشير إلى العملية أو النتيجة الخاصة بربط الوحدات اللغوية المتكافئة من حيث الحالة اللغوية مثل العبارات الإسمية ، والعبارات الفعلية ، والكلمات وتميز فى :

والتبعية^(١)، ومن الجهة الأخرى لا يوجد قانون نحوي في اللغة الإنجليزية (على الرغم من أن بعض اللغويين يذهبون إلى غير ذلك) يمنع بناء جمل مثل (11).

(11) John loves John

ويوجد في الأغلب اتجاه أسلوبى يفضل (12) أو (13)

(12) John loves himself

(13) John loves him

تبعاً لما إذا كان المسند إليه (subject)، والمفعول (object) ذوى مدلول مشترك أم لا، وظاهرة المدلولية المشتركة الكائنة درست دراسة شاملة في إطار النحو التوليدى في السنوات الأخيرة.

== هذا الشأن عادة عن علاقة التبعية (subordination) حيث لا تنكافئ الوحدات، وتوضح العبارات الإسمية ذات الربط المتناسق في الجملة:

(John came and Mary left) وعلامة الربط هي : and وهى أداة الربط المتناسق ويمكن أن تحمل الأبنية أيضاً باعتبارها ذات ربط متناسق بدون علامة واضحة كما فى : there was an awkward, depressing silence حيث يمكن أن تختبر دور النسق المترابط للصفتين بإدخال : and بينهما.

(١) التبعية (subordination) مصطلح يستخدم فى التحليل النحوى ليشير إلى العملية أو النتيجة الخاصة بربط الوحدات اللغوية التى تختلف أوضاعها اللغوية أو التى تعتمد الواحدة منهما على الأخرى وهو ما يميزها عن علاقة الربط المتناوب وتوضح علاقة التبعية في الجملة :

John came when Mary left

وعلامة الربط هي when وهى أداة الربط فى علاقة التبعية وثمة أدوات أخرى فى اللغة الإنجليزية مثل : although ، و since ، و because ، و while ، و after .

والحدوثية^(١) تشبه العلاقة بين الكلمة ومقصودها reference من حيث ارتباطها — مع ما يتطابق جزئياً معه — بسياقات ورودها إلا أن الحدوثية (deixis) أكثر وضوحاً وأكثر تحديداً من العلاقة بين الكلمة ومقصودها (reference) فالدلالة قد تكون حدوثية (deictic) أو غير حدوثية (non — deictic) ، والحدوثية لا تتضمن بالضرورة العلاقة بين الكلمة ومقصودها ، والصفة الأساسية للحدوثية (والمصطلح جاء من كلمة إغريقية معناها «التحديد» أو «البيان») أنها تحدد بنية الأقوال وتفسرها فيما يتصل بزمان حدوثها ومكانه ، وهوية المتكلم والمخاطب ، والأشياء ، والأحداث في السياق الفعلي للقول ، فعلى سبيل المثال المقصود بالتعبير « ذلك الرجل في هذه الناحية » لا يمكن تحديده إلا فيما يتعلق باستخدام شخص ما لهذا التعبير في مكان معين وفي مناسبة معينة ، وكذلك الأمر بخصوص « أمس » ، وتعبيرات حدوثية كثيرة أخرى ، والحدوثية مقننة نحوياً في لغات كثيرة في فصيلتي الشخص^(٢) والزمن^(٣) ففي اللغة الإنجليزية على سبيل المثال يكون تحديد اختيار الضمير « I » (أنا) أو « you » (أنت) وتفسيره (في هذه الحالة التي تتصل بالعلاقة بين الكلمة ومقصودها) وفق الدور الذي يتخذه المتكلم ، وما يخصه من دور للمخاطب ، واستخدام زمن معين يحدده (ولنفترض أنه أكثر صعوبة من

(١) الحدوثية deixis والوصف منها deictic مصطلح يستخدم في النظرية النحوية ليصنف الملامح اللغوية التي تشير مباشرة إلى الخصائص الزمنية والمكانية للسياق الذي يحدث فيه القول ، ومن ثم يرتبط معناها بهذا السياق وذلك مثل I ، و you ، و this ، و that ، و now ، و here ، و there ، و them ، وكذلك الكلمات التي تشير إلى الخلف أو الأمام . . . الخ .

(٢) في الضمائر مثل المتكلم والمخاطب ،

(٣) مثل الماضي ، والحاضر ، والمستقبل .

ذلك) ما يتصل بلحظة النطق ، وأسماء الإشارة : « هذا » ، و « ذاك » ، وأداة التعريف : « ال » في بعض استخداماتها حدوثية أيضاً ، وكذلك الظروف المكانية والزمانية مثل (الآن) ، و (حينئذ) ، و (غداً) ، و (هنا) ، و (هناك) ، وهناك أمثلة أكثر جلاء بصورة مباشرة من الفصائل والمفردات الحدوثية ، والحدوثية — في الواقع — تميل إلى الانتشار التام في نحو اللغات الطبيعية ومفرداتها .

سماي سدا : علم الدلالة الشكلي

مع أن مصطلح « علم الدلالة الشكلي » يمكن أن يستخدم — بمعنى عام إلى حد بعيد — ليشير إلى مجموعة كاملة من المداخل المتنوعة لدراسة المعنى فهو يستخدم بصفة عامة — في هذه الأيام — بدلالة خاصة لرؤية معينة لعلم الدلالة المشروط الحقيقة التي ترجع أصولها إلى بحث لغات شكلية بناها المناطقة على نحو خاص ، وطبقت حديثاً في بحث لغات طبيعية ، وهو ما يعني هنا ، علم الدلالة الشكلي — وفق هذا المعنى — بعد بصفة عامة متمماً للبراغماتية (دراسة الأقوال الفعلية) أي دراسة الاستخدام أكثر من المعنى ، دراسة جانب المعنى غير المنتصف بشروط الصدق بصورة بحثية ، دراسة الأداء أكثر من القدرة . . . الخ

ولنبداً بتمييز قيم الصدق الخاصة بالخبر من شروط الصدق الخاصة بالجملة ، وكل ما يحتاج إلى قوله عن الأخبار أنه من الممكن تأييدها أو إنكارها ، وأنه من الممكن معرفتها على نحو مشكوك فيه أو معتقد به ، وأنه من الممكن أن تظل ثابتة مع إحادة الصياغة والترجمة ، وأن كل خبر إما أن يكون حقيقياً أو زائفاً ، وحقيقة الخبر أو زيفه هي قيم الصدق فيه وهي لا تتغير ، وقد تغير رأينا في صدق خبر ما فعل سبيل المثال كان الاعتقاد في وقت ما أن الأرض منبسطة ثم أصبح

الاعتقاد — سواء أكان ذلك صواباً أم خطأ — أن الأرض ليست كذلك ، لكن هذا لا يعنى ضمناً أن خبراً حقيقياً ذات مرة قد يصبح زائفاً ، ومن الأهمية أن ندرج هذه المسألة ^(١) .

ومعظم الجمل — فى حد ذاتها — ليست ذات قيم صدق ، وكما رأينا فى القسم السابق فإن الخبر الذى تحملُه سيَعتمد بصفة عامة على دلالة التعبيرات الإشارية الحدوثية وغير الحدوثية التى تحتوى عليها فعلى سبيل المثال الجملة :

(1) My friend has just arrived ^(٢)

يمكن أن تستخدم لتوكيد أخبار كثيرة بلا حدود حقيقية أو زائفة بفضل الدلالة المنفردة لـ « my friend » (التى تحتوى على التعبير الحدوثى « my ») ، وصفة الحدوثية فى « just » وفى « الزمن الماضى » ، لكن الجمل قد تكون ذات شروط صدق أى تفسير يمكن تحديده بوضوح للشروط التى تحدد قيم صدق الأخبار التى تحملها الجمل عندما تستخدم فى صياغة التصريحات ، ولتستخدم مثالا كلاسيكياً نموذجياً (يرجع إلى عالم المنطق البولونى الأصل تارسكى « Tarsky ») :

(2) "Snow is white" is true if and only if snow is white

فى (2) لدينا تصريح صيغ باللغة الإنجليزية عن اللغة الإنجليزية لكننا نستطيع من حيث المبدأ أن نستخدم أى لغة (ماوراء اللغة) للحديث عن هذه اللغة ذاتها أو أى لغة أخرى (اللغة المدروسة) بشرط أن يشتمل ماوراء اللغة على

(١) ما قبل هنا عن الأخبار يعتمد — فى جانب منه — على وجهة نظر معينة والتعريفات البديلة للخبر لا تؤثر على كل حال فى جوهر النقاط المطروحة فى هذا القسم (المؤلف) .

(٢) صديق وصل لتوه .

المفردات النظرية الضرورية التي تضم مصطلحات مثل « حقيق » ،
و « معنى » ... الخ ، وما وضعناه في علامات تنصيب في (2) جملة خبرية
في اللغة الإنجليزية ، ونخبرنا (2) وفق الشروط التي قد تستخدمها الجملة (في
اللغة المدروسة) لصياغة خبر حقيق عن العالم عن الشروط التي يجب أن
يتلائم معها العالم — إن جاز التعبير — فيما يتعلق بالخبر الذي تحمله
« Snow is white » ليكون صحيحاً ، وما تقوم به (2) أو أى مثال مشابه هو
تحديد العلاقة الواضحة وضوحاً بدهياً بين الصدق (truth) والواقع (reality)
ويسلم علم الدلالة الشكلي بوجود هذه العلاقة ، ويسلم كذلك بمبدأ آخر يذهب
إلى أنه لكي نفهم معنى جملة ما علمينا أن نعرف شروط صدقها .

بيد أن ذلك لن يأخذنا بعيداً ، فنحن لانتعلم شروط صدق الجمل بمزاوجة
كل جملة بحالة مافي العالم ، وبعيداً عن أى شيء آخر فإن كل من الجمل في
اللغات الطبيعية وأحوال العالم يكونان مجموعات ضخمة إلى حد كبير وقد تكون
غير محدودة ، ووظيفة علم الدلالة الشكلي تحديد معنى المفردات من خلال
ماتسهم به في صياغة شروط صدق الجمل وتقديم نهج واضح الصياغة لتقدير
شروط صدق أى جملة اعتبارية على أساس معنى مفرداتها المكونة لها ،
وبنيتهما النحوية ، وسيتضح أن علم الدلالة الشكلي أكثر ارتباطاً من حيث
طبيعته بصورة أو بأخرى من صور النحو التوليدي (انظر ٧ — ٤) .

وتمة علاقة جوهرية — لا ريب فيها — بين المعنى الوصفي والصدق ،
ويمكن أن يسلم أيضاً بأنه إذا كان جملة ما شروط صدق فيجب أن نعرف الحالة
الموجودة في العالم التي تهدف الجملة إلى وصفها حتى نعرف معنى هذه الجملة
(هل فرض أن الجملة تستخدم لصياغة خبر) ، بيد أن ذلك ناتج بأية حال
عن كون الجمل كلها ذات شروط صدق وأن كل معانيها متصفة بشروط
الصدق .

ويجب أن نفرق - كما رأينا في القسم الأخير - بين معنى الجملة ، ومعنى القول ، فالأول يحدده - تحديداً نهائياً - الثاني من جهة مفهوم الاستخدام المميز ، ويبدو - من النظرة الأولى على الأقل - أن الجمل الخبرية وحدها ذات شروط صدق (وذلك بفضل استخدامها المميز في صياغة الأحكام الوصفية) ، والجمل غير الخبرية تختلف أنواعها - وبصفة خاصة الجمل الطلبية ، والاستفهامية - لاستخدام في صياغة الأخبار حسب استخدامها المميز ، وفوق ذلك فإننا ما لم نكن مهتمين لتقبل مفهوم للمعنى محصور على نحو منافي للعقل فيجب أن نقول إنها لا تنقل دلالة عن الجمل الخبرية ، وأكثر من ذلك فإن الاختلاف في المعنى بين الجمل المتناظرة الخبرية وغير الخبرية - حيث يوجد تناظر كهذا - (على سبيل المثال بين « My friend has just arrived » ، و « Has my friend just arrived ? » نظامي ومطارد ، وقد اقترحت حلول متنوعة لهذه المشكلة في إطار علم الدلالة الشكلى .

ومن هذه الحلول ما يتضمن معالجة الالخبيرية كمكافئة منطقى للخبرية من النوع الخاص إلى حد ما الذي أطلق عليه الفيلسوف أوستن (J. L. Austin) اسم التعبيرات الأدائية (performatives) الواضحة فعل سبيل المثال الجملتان :

(3) I promise to pay you 5 pounds

(4) I name this ship the "Mary jane"

ليست وظيفتهما الأساسية وصف حدث ظاهر ومستقل بل أن يكونا مكونين مؤثرين ومؤلفين للحدث الذى يتضمنهما ، ومفهوم أوستن عن التعبيرات الأدائية نقطة بدء لنظرية الأحداث الكلامية (وقد ذكرت وإن لم تشرح فى • - •) ويتبنى الافتراض الذى يذهب إلى أن الجمل غير الخبرية تأخذ الوضع المنطاقى نفسه باعتبارها عبارات أدائية واضحة يمكن أن نقول إن « Is the door open ? »

مكافئ منطق (أى له شروط الصدق ذاتها) ل (5)

(5) I ask whether the door is open

وإن « Open the door » مكافئ منطق ل (6)

(6) I order you to open the door

وهلم جرا ، غير أن أوستن ذكر أن جملا مثل (3) ، و (4) ليس لها شروط صدق عندما تستخدم كمبارات أدائية (ويمكن كذلك بشكل واضح أن تستخدم فى صياغة أحكام وصفية مباشرة) ووجهة نظر أوستن عارضها عدد من علماء الدلالة الشككيين ، وعلى كل حال سواء أذهبنا إلى أنهما ذوا شروط صدق أم لا فإن وضعهما يظل مميزا لهما عما يمكن أن نشير إليه - بشكل فضفاض - باعتباره جملا خبرية عادية ، وقد حاول كثير من اللغويين والفلاسفة إثبات فساد محاولة التعامل مع (5) ، و (6) باعتبارهما أكثر أساسية من « Is the door open » ، و « Open the door » .

وتطرح التعبيرات الحدوثية قضايا أخرى (تعرف عادة بالمؤشرات indexicals^(١)) ، وكل الجمل الخبرية فى اللغة الإنجليزية (بالإضافة إلى جمل كثيرة غير خبرية) ذات زمن ، ومعظمها يحتوى على تعبيرات معتمدة على السياق مختلفة أنواعها تحدد الحدوثية دلالاتها ، وحتى مثال نارسكي (2) بسيط بصورة مخجلة فى هذه الناحية بالإضافة إلى أنه لا يمثل الجمل الخبرية فى اللغة الإنجليزية بدرجة كبيرة ، ويستثمر افتراضاتنا عن التفسير المقصود لكل من جملة الفسة المدروسة « Snow is white » ، وهبارة ماوراء الفسة « if and only if snow is white » لكن كل منهما يمكن أن يكون ذا تفسير

(١) المؤشرات (indexicals) مصطلح استخدمه بعض اللغويين ليشير إلى ملامح الكلام أو الكتابة التى تكشف من الخصائص الشخصية (البيولوجية أو الاجتماعية) المستخدم اللغة .

حدوثي (د الثلج) (بشكل هارض) أبيض في زمان القول ومكانه) ، بالإضافة إلى التفسير اللاحدوني أو العام (د الثلج) (حسب طبيعته) أبيض دائماً وفي كل مكان) الذي يفترض أن يكون ماقصده تارسكي إليه ، ووجود الحدوثية - ونفسيها في اللغة الطبيعية - لا يعطل تطبيق نظرية شروط الصدق لعلم الدلالة في علم اللغة ، لكنها تدخل بالتأكيد مكملات فنية جديدة بالاعتبار إلى حد بعيد .

وثمة حقيقة أخرى تتمخض عن ذلك فالكثير من مفردات اللغات الطبيعية يكون معناها - بدرجة تزيد أو تنقص - غامض أو غير محدد ، فعلى سبيل المثال يمكن أن نتمسك في سياق قولي محدد بأن (1) تحمل خبراً حقيقياً أو زائفاً ، لكن ما المعيار الزمني الذي يمكننا الحكم على أساسه بصدق ما نشير إليه بـ (just) حين نقول « My friend has just arrived » وليست كلمة « just » غير نموذجية .

وهناك بعض المشكلات تعقد - إن لم تعطل تماماً - تطبيق نظرية الدلالة الشكلية في تحليل المعنى في اللغات الطبيعية ، ونحن نميل إلى تفضيل المفهوم الأكثر شمولاً من المعنى ، والمفهوم الذي لا يجعل المعنى الوصفي أكثر أساسية من الناحية النظرية من المعنى غير الوصفي معروف الآن (انظر ٥ - ١) ، ويجب أن أؤكد على أن محاولة حقيقية لبسط مفاهيم علم الدلالة الشكلية على معطيات اللغة الطبيعية فيما يتصل بما لا يبدو متهيئاً لها - سواء أُنهجنا هذه المحاولة أم فشلت - تشعبد فهمنا للمعطيات ، وقد ثبت هذا مرة ، ومرة في السنوات الأخيرة .

وأكثر من ذلك حتى لو أمكن أن نقرر وجود ما هو أكثر مما يقع في (١٦٢ - اللغة)

إطار هلم الدلالة المشروط الحقيقة ويخص المعنى فإن ذلك لا يغير بطبيعة الحال حقيقة أن المعنى والدلالة الذاتية للتعبيرات المفرداتية ، والتعبيرات غير المفرداتية يمكن أن تصاغ من خلال شروط الصدق ، ويجب أن يُسلم بإبهام مفردات كثيرة (انظر ٥ - ٣) ، وإذا كان لجملتين شروط صدق واحدة (في العالم بكل احتمالاته) فإن لهما معنى وصفى واحد انظر :

« The door was opened by John » ، « John opened the door »

وإذا أمكن استبدال تعبيرين استبدالاً داخلياً في الجمل التي لها شروط صدق واحدة فإن هذين التعبيرين مترادفان من الناحية الوصفية أي أنهما ذوا معنى واحد ، وعلم الدلالة الشكلى جهل مالم يكن متصفاً بالدقة دقيقاً أو ببساطة أصبح مسلماً به في أكثر المناهج تقليدية في دراسة المعنى ، وهو - بما لا يقل أهمية - يقوم بمحاولة جادة لتفسير ما عرض في مستهل القسم الأسبق (٥ - ٤) عرضاً تصويرياً إلى حد ما : معنى جملة ما محصلة معنيها المعجمي والنحوي ، وهو يقوم بهذه المهمة بمحاولة صياغة الطريقة التي يتفاعل بها هذان المعنيان بشكل واضح .

قائمة مصطلحات

adjacency	الجارورة
arbitrariness	الاعتباطية / العشوائية / العرفية
biologically priority	الأولية البيولوجية
body language	لغة الجسد
boundary signals	علامات تحديد
bracketing	التقويس
channel	قناة الاتصال
characteristic use	الاستخدام المميز
citation—form	الصيغة الاستشهادية
classical American phonemics	علم الفونيات الأمريكي الكلاسيكي
closing full-stop	النقطة التي تختتم الجملة
codable	إمكانية الرمز اللغوي
combinatorial and contrastive relations	علاقات التضام والتضاد
composie	الجملة المؤلفة (المعقدة والمركبة)
constituency relations	علاقات الاحتواء
creolization	عملية التوليد (لغة ما)
decode	يفك الشفرة
dependency	التبعية
diacritics	العلامات الصوتية المميزة
discontinuity	الانفصالية
discreteness	التمايز

distinctions	العلامات المأركة
elaborated code	النظام الرمزى الموسع
elliptical	موجز / مختصر
encode	يرمز / يحول إلى رمز
entity	كينونة
euphemism	لطف التعبير عن الشيء
extended sense	معنى موسع / مجازى
extensibility	ممدودية
figurative meaning	المعنى المجازى
figures of speech	الصور البيانية
flexibility and versatility	المرونة وتعدد الاستعمالات
food — gathering society	مجتمع جامع الغذاء
formal semantics	علم الدلالة الشكلية (الصورية)
free from stimulus-control	متحررة من تحكم المنبه
free variants	البدائل الحرة
functional priority	الأولوية الوظيفية
functional sentence perspective	الرسم المنظورى الوظيفى للجملة
functionalism	الوظيفية
genetically related	الارتباط التطورى
gestural signals	الإشارات الإيمائية
governor	المتحكم
grammaticalized	فى إطار نحوى
hierarchical structure	بنية متسلسلة

historical priority	الأولوية التاريخية
human language—faculty	الملكية اللغوية عند الإنسان
idiolect	لهجة شخصية
immanent rules	قوانين داخلية / فعلية
intercomprehensibility	الفهم المتبادل
isomorphic	النشاكل أو التماثل في الشكل
language	اللغة (موصفاً)
a language	اللغة من اللغات
language-deficit	النقص اللغوي
language—maintenance	الإعالة اللغوية
language—medium	وسيلة لغوية
letter—symbol	الرمز الحرف
lexical non-isomorphism	عدم التماثل المعجمي
lexicalized	في إطار مفرداتي
linguistic determinism	التحديدية اللغوية
linguistic universals	العالميات اللغوية (ما تشترك فيه جميع اللغات)
macrolinguistics	علم اللغة الموضع
medium—transferability	قابلية التحول في الوسيلة
microlinguistics	علم اللغة البحت
modifiability	القدرة على التحوير
neutral (unmarked)	محايد / غير مميز
non—arbitrariness	اللاعتباطية
non—discreteness	اللاممايز

non—language	لا لغة
non—lexemic	غير مفرداتي
paralinguistic features	ملاح إيمائية مصاحبة للغة
performatives	عبارات أداءية
phatic communion	المشاركة الانتباهية
phonetically	مشروط صوتياً
pidgins	اللغات الهجينة
pidginization	عملية التهجين (لغة ما)
pragmatics	البراكماتية / علم دراسة الأقوال الفعلية
proportional regularity	الأطراد التناسبي
restricted code	النظام الرمزي المحدود
segments of speech	قطع من الكلام
socialization	العملية الاجتماعية
species—specific	نوعى (خاص بالبشر)
spoken medium	الوسيلة المتطوقة
structural priority	الأولوية البنائية
structure—dependency	تبعية البنية
stylistic incongruity	التنوع الأسلوبى
stylistically marked	مميزة أسلوبياً
subordinate	تابعة
subordination	التبعية
subphonemic	دون الفونيمى

substitutional relations	العلاقات الإحلاية أو الاستبدالية (الرأسية)
synecdoche	مجاز مرسل
systematic	منظومة (مصوغة في صورة نظام)
temporal locative adverbs	الظروف الزمانية والمكانية
thematic meaning	المعنى الجذري
transcendent rules	قوانين خارجية (دخيلة) / صورية
truth—conditions semantics	علم الدلالة المتصفة بشروط الصدق
uncharacteristic use	الاستخدام المميز
verbal noun	الاسم الفعلى / المصدر
verification principle	مبدأ التحقق والإثبات
vocal—auditory communication	الاتصال السمعي المنطوق

المحتوى

صفحة

٤٣ - ١

الفصل الأول : اللغة

١

١ - ما اللغة ؟

٤

٢ - بعض تعريفات اللغة

١١

٣ - السلوك اللغوي والنظم اللغوية

١٥

٤ - اللغة والكلام

٢٣

٥ - وجهة نظر سيميولوجية

٣٤

٦ - تصور التجانس

٣٨

٧ - لانوجد لغات بدائية

٨٧ - ٤٤

الفصل الثاني : علم اللغة

٤٤

١ - فروع علم اللغة

٤٩

٢ - هل « علم اللغة » علم

٦٢

٣ - المصطلحات والرموز

٦٥

٤ - علم اللغة وصفي وليس معياريا

٧٤

٥ - أولوية الوصف التزامني

٨٠

٦ - البنية والنظام

صفحة

١٣٨ - ٨٨

الفصل الثالث : أصوات اللغة

٨٨

١ - الوسيلة الصوتية

٩٣

٢ - التمثيل الصوتي والهجائي

٩٨

٣ - علم الأصوات المنطقي

١١٨

٤ - الوحدات الصوتية والصور الصوتية

١٢٤

٥ - الملامح المميزة والفونولوجية النظرية

١٣٤

٦ - البنية الفونولوجية

١٣٩ - ١٨٣

الفصل الرابع : النحو

١٣٩

١ - النحو والتصريف والصرف

١٤٦

٢ - الصواب النحوي والإنتاجية والاعتباطية

١٥٤

٣ - أجزاء الكلام وأصناف الصيغ والفصائل النحوية

١٦٠

٤ - بعض التصورات النحوية الإضافية

١٦٦

٥ - مكونات البنية

١٧٦

٦ - النحو التوليدي

١٨٤ - ٢٤٢

الفصل الخامس : الدلالة

١٨٤

١ - اختلاف المعنى

١٩٦

٢ - المعنى المعجمي : التجانس وتعدد المعنى والتعريف

صفحة

٢٠٧

٣ - المعنى المعجمي : المعنى والدلالة الذاتية

٢١٤

٤ - الدلالة والنحو

٢٢٥

٥ - معنى الجملة ومعنى القول

٢٣٦

٦ - علم الدلالة الشكلي

٢٤٣

قائمة بالمصطلحات

٢٤٩

المختص

استدراك

سقطت سهواً البقرة التالية ، وهى الفقرة الثانية فى صفحة ٥٦

ونمة مبدأ أن أكثر تهديداً يشكلان محور هذا العرض ، الأول مبدأ التحقيق والإثبات وهو مبدأ مشهور الآن وينذهب إلى أنه لافعى لآى حكم مالم يمكن أن تحققة الملاحظة ، أو أن المناهج العلمية المعيارية تنطبق على المعلومات التى تمدنا بها الملاحظة ، والثانى مبدأ الرديّة وينذهب إلى أن بعض العلوم أكثر أساسية من بعضها الآخر - فالفيزياء والكيمياء أكثر أساسية من علم الأحياء ، وعلم الأحياء أكثر أساسية من علم النفس وعلم الاجتماع وهلم جرا - وأنه فى الجمعية^(١) الإجتالية للمعرفة الموحدة ترد التصورات والقضايا الخاصة بالعلوم الأقل أساسية إلى التصورات والقضايا الخاصة بالعلوم الأكثر أساسية (أى يعاد تفسيرها من خلالها) ، ومبدأ الرديّة خلافاً لمبدأ التحقيق والإثبات ميز مجموعة من الباحثين أوسع بكثير من أعضاء دائرة فينمان أربعين سنة .

(١) الجمعية (synthesis) نتيجة الجمع بين الطريجة (thesis) والنقيضة (antithesis) فى الديالكتيك الهيجلى .